موسوعة الإمام علي (ع)

إمام العارفين (ع)

المجلد الحادي عشر

المركز الثقافي اللبناني

موسوعة الإمام علي(ع)

موسوعة الإمام علي(ع)

علي بن أبي طالب عليه السلام
إمام العارفين

العالم المحدث الحجة
أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسني

الجزء الحادي عشر

المركز الثقافي اللبناني

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٢ - ٤٢٧
التاريخ / ٢٠ / ٢٠١٥

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

المركز الثقافي اللبناني
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - الحدث هاتف: ٠٥/٤٦١٧٧٧ - ٠٥/٤٦١٨٨٨
خليوي: ٠٣/٧٥٣٦٦٣

مكتبة الروضة الحيدرية
النجف الاشرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدي رسول الله الأمين سيدنا محمد النبي الصادق الكريم وآله وسلم تسليماً كثيراً.

يشرفني أن أقدم لأول مرة ـ أمانة لشيخي وعرفاناً بفضل الله عليّ وأداء لرسالة المؤتمن على بعض خزائنها العلمية والروحية ـ هذا المؤلف النفيس العزيز لكتاب ـ علي بن أبي طالب إمام العارفين ـ سلام الله تعالى عليه ورضاه ـ والمعنون بكتاب البرهان الجلي على صحة انتساب الصوفية إلى علي عليه السلام ـ ومعه كتاب ـ فتح الملك العلي في صحة حديث باب مدينة العلم علي عليه السلام ـ لشيخي العارف بالله ـ العالم المحدث والقطب الروحاني ولي الله الذي يسري نور النبوة والسنة بين جنبيه ـ الشيخ أحمد بن محمد الصديق الحسني الإدريسي رضوان الله تعالى عليه ـ شيخي الذي تشرفت بلقائه وصحبته والاقتداء به ـ ما وفقني ربي ـ والذي لا يزال حياً بالنسبة لي ـ وما زلت بحمد الله والصلاة والسلام على سيدي رسول الله وآله متشرفاً بصحبته ـ ملتمساً لمدده وإمداده الموصول بسيد الأنام صلوات الله تعالى وتسليمه عليه وعلى آله وهو عين الوجود وفضل صحابتي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً تاماً مباركاً فيه.

أحمد الصديق بن محمد ... يا أطيب أنوار الدوحة الحسنية
حجة العلماء وتاجهم بحضر ... وبيداء تلألأت أنوارها المدينة
والفضل فيما أرى للمنان ... أضاء بنور أحمد أركان البرية

ذلك الكتاب نفحة من علمه ورشفة من بحره الزاخر في العلوم

والحديث والسيرة والسنة المنيرة والتاريخ وبيان لحفظه الفريد رضي الله تعالى عنه. ومتانته الظاهرة والباطنة وقدرته على إسناد العلوم والمعارف إلى أصول خزائنها وينابيعها ـ فانتساب الصوفية إلى سيدنا الإمام علي عليه السلام ـ أمر يعرفه أولو البصائر من السادة الصوفية الغارقين في بحور معارفه ـ ويحققه هنا بجلاء وصفاء ولي الله الوارث المحمدي أحمد بن الصديق رضوان الله تعالى عليه ـ ليستيقن الذين أوتوا العلم من قبل ويزداد الذين آمنوا آيماناً، ويسعد المؤمنون به ـ وليكون حجة على زائغي القلوب والأبصار أو ضُعافها ممن لم يتذوقوا بعد من هذا المنهل الصافي ولم يتمكنوا من معرفة التاريخ الصحيح ـ أو أولئك الذين ينكرونه بلا علم أو دراية.

يا أسفي على نفس ما تذوقت بكأس الهوى مدامة قربتي

والله المستعان على كشف الغشاوة عن الأبصار لتستنير القلوب بمرآة البصائر والأذواق. والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله الفاتح لما أغلق.

وإن كان التصوف أصلاً هو العمل بالعلم على وجه الإخلاص ـ كما قال شيخي أحمد الصديق ـ والأخذ بالغرائم دون الرخص فذلك ـ عمل أهل اليقين ـ وهم أعلى مراتب الخلق العابدين ـ وأقربهم إلى الله تعالى إيماناً وتسليماً وتسبيحاً وتنزيهاً ـ فقول سيدنا علي عليه السلام ـ لو كُشِف الغطاء ما ازددتُ يقيناً ـ مدلول ضخم على قدر ما تجلى في مرآته عليه السلام من علوم الدنيا والآخرة ومعارفها وحقائقها ومسالكها وعلو منزلته باليقين عند الله عز وجل ـ وما أودع في علمه وما اختصه الله تعالى من أسرار ومعارف رأى بها ما لم يره بشر مثله حتى كان يقول عليه السلام ـ سلوني..

وفي حياة سيدنا الإمام علي عليه السلام الوضوح الكافي على أنه عليه السلام قدوةُ أمتنا بعد رسول الله ﷺ ـ وقرابتنا إليه ـ عليه الصلاة والسلام وعلى آله ـ وُرِّث وأرتي علوم الأنبياء وحجتهم ويقين العارف بالله والعالم بالحق وبنوره ـ وجاهد جهاد أولى العزم من أصحاب الرسالات ـ وزهد زهدَ الراغبين عن كل شيء إلا وجه الله تعالى ـ أبو تراب ـ وكانت حياته الدنيوية على هامش معارفه الإلهية وكانت دنياه ـ على عظم رسالته التي حملها واطّلع

بها منذ شبابه ﷺ - وإنجازاته وأعبائه فترة خلافته ﷺ - كانت الدنيا بالنسبة له أياماً تُقْضَى يؤدي فيها الأمانة وينقل بها الرسالة إلى خلفاء أمتنا المحمدية متوارثين في أقطابها وأبدالها يحملونها بنور الله إلى يومٍ تُسَلَّمُ فيه الأمانات ويلقون فيه ربهم بالتحيات - رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

هو الله نور جامع ... تراه العين بنور بصيرتي
هو هو النور الحق ... ما تجلى المؤمن بمرآة حقيقتي
هو النور لي يقيناً ... فعلى نوري صفت هدايتي
وهو نوري أنا يقيناً إذا ... ما تخلت عني شريعتي
هو نور على نور ... حال التجلي المطلق كديمومتي
مولاي صلي وسلم دائماً ... أبداً على حبيبك خير البرية

وطريق الصوفية واضح لا زيغ فيه ولا لبس - طريق مجاهدة النفس مع العبادة والذكر وصِدْق التوجه حتى تقوى البصيرة فَتُدْرِكُ بواطن الأمور وحقائق الأحوالِ والتجلياتِ - وتنجلي إرادة الحق تعالى في مرآة بصيرتهم فلا يرون فيها وبها سوى الأنوار الربانية - فتتجلى في مرآة الذاكرين حقيقة تجليات الوجود اللدنية (المؤمن مرآة المؤمن) فينعمون بالأنوار الإلهية وهم لا يزالون في خلقة الأشباح الدنيوية - سلوكاً على معبر الروح - يرون بنور الله واليقين به ما لا يراه غيرهم - فهم خاصة عباد الله في الأولى والآخرة - ويوم القيامة يتمم الله لهم نورهم بالتجلي الأعظم فيلتقي النور بالنور والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله الأعظم وحبيبه الأكرم ونوره الأكمل - وهو النور الذي يعرفه الذاكرون في دنيانا قبل الآخرة - ألا بذكر الله تطمئن القلوب - إلى ربها - في حياتها ومآلها - سبحانك اللهم صلي وسلم وبارك دائماً أبداً على سيدنا محمد النبي الكريم وآله صلاة وتسليماً تاماً مباركاً فيه - ما ذكره الذاكرون وما غفل عن ذكره الغافلون - اللهم وارزقنا حُسْنَ الأدب وصِدْقَ التوجه والتأدبَ في الذكر.

ذكر الله باسم الكمال ... من بنوره انشقت الورود
سناه يجلو كل ذرة ... شذاه أطيب ما في الوجود
ذكر الله الذي اجتبى ... قطب الزمان مشكاة الودود

وما من ذرة في الكون إلا بنوره قائمة في الوجود
مولاي صلي وسلم دائماً أبداً على حبيبك عين الوجود

رضي الله سبحانه وتعالى عنك ـ يا سيد أحمد الصديق ـ وأرضاك ونفع بك عباد الله المخلصين والعلماء العاملين والصوفية على وجه اليقين والحمد لله رب العالمين.

حسن محمد التهامي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترجمة المؤلف

هو الإمام المجتهد، خاتمة الحفاظ، فارس المعاني والألفاظ. محيي السنة، والداعي إليها. ومميت البدعة، والناعي عليها. أبو الفيض أحمد بن الشيخ الإمام المجتهد القدوة، الحافظ الحجة. مربي المريدين، وقطب الواصلين: أبي عبد الله شمس الدين محمد بن الولي الكبير، والبدل الشهير: محمد الصديق بن القطب الغوث الجامع بين علمي الشريعة والحقيقة: أبي العباس أحمد بن محمد آل عبد المؤمن التُّجكاني المنصوري، الشريف الحسني الإدريسي. ينتهي نسبه إلى إدريس بن عبد الله المحض أبي الحسن المثنى بن الحسن بن علي عليهم السلام.

نسب كأن عليه من شمس الضحا نوراً وفي فلق الصباح عمودا

ووالدته بنت العارف بالله، الذاكر الله، التالي لكتاب الله، عبد الحفيظ ابن الولي الكبير، والعلامة الشهير: أحمد بن القطب الكبير، لسان الصوفية، المعبر عن أذواقهم ومواجيدهم، بأفصح عبارة، وأعذب إشارة: أحمد بن محمد الحجوجي الحسني الإدريسي، الشهير بابن عجيبة. صاحب التفسير وشرح الحكم وغيرهما.

فقد جمع المؤلف الشرف من الجهتين، وضم أسباب المجد من الطرفين.

ولد سنة ١٣٢٠هـ، بقبيلة بني سعيد، في بيت عمته، حيث كان الشيخ الإمام والده في زيارتها. وسماه باسم جده سيدي الحاج أحمد بن عبد

المؤمن الذي كان إلى جانب حفظه للقراءات السبعة، وإمامته في الفقه وعلوم العربية، يحفظ صحيح البخاري فعادت عليه بركة تلك التسمية، وسرى فيه سر صاحبها. فصار من كبار حفاظ الحديث، بل أمير المؤمنين فيه.

نشأ في بيت علم وتصوف، ووالاه الشيخ الإمام والده بعنايته في تربيته على الأخلاق الفاضلة، وتعويده على الفتوة والرجولة الكاملة، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وصلى تراويح رمضان بوالديه في البيت، بالختمة كلها. وعادة أهل المغرب في صلاة التراويح، قراءة الختمة كلها في رمضان، بواقع جزء من القرآن كل ليلة. وكان في صغره يحضر دروس الشيخ الإمام والده في صحيح البخاري، فيسمع منه الحض على جهاد الكفار، ووجوب الاستعداد لذلك، فاتجه إلى تعلم الرماية، ومهر فيها حتى صار يصيب من العشرة عشرة، واقتنى أجود المسدسات والبندقيات، استعداداً للجهاد الذي كان يتوق إليه. ويقتني ـ إلى جانب ذلك ـ كتاب التفسير والحديث والفقه والتصوف، حتى جمع مكتبة عظيمة أنشأ لها غرفة خاصة في الزاوية الصديقية. ولما أمر الشيخ الإمام والده الإخوان الصديقين المقيمين بالزاوية: أن يحفظوا القرآن، كتب المؤلف لهذه المناسبة كتاب «رياض التنزيه في فضل القرآن وفضل حامليه» وهو باكورة إنتاجه العلمي، وكان سنه حين كتبه أقل من التاسعة عشرة. وإذا رأيت ذلك الكتاب، ورأيت ما فيه من فصول ممتعة، وبحوث قيمة. ثم رأيت العارف الشيخ عبد الرحمن الأخضر يعتذر في آخر منظومة السلم، بصغر سنه حيث يقول:

ولـبـنـي إحـدى وعـشـريـن سـنَـهْ مـعـذرة مـقـبـولـة مـسـتـحـسـنـهْ

عرفت فضل الله على المؤلف، وعظم ما وهب له. ولا عجب في ذلك. فإن آل الصديق هيأهم الله للعلم، وجعلهم أهلاً له. كان الشيخ الإمام والد المؤلف رضي الله عنه يقول ـ متحدثاً بنعمة الله تعالى ـ: العلم مضمون لنا. وظهر مصداق كلامه، في مؤلفنا العظيم. ذلك أن جملة سني حضوره، سنتان. هما سنة ٣٩ ـ ٤٠ هجرية. حصل فيهما من العلم، ما لم

يحصله غيره، في عشرات السنين. ومما ألفه في شبابه ـ وهو دون العشرين ـ كتاب: «تنوير الحُلْبوب بمكفرات الذنوب» وهو ثاني تأليف له.

ولما وصل إلى الأزهر، لحضور العلم. اشتغل أثناء ذلك بتخريج أحاديث الشهاب للقضاعي، وكتاب الشهاب، فيه مائتان وألف حديث. من غير ذكر صحابي، ولا عزو إلى أي كتاب. وقد شرع في تخريج أحاديثه العلامة المحدث السيد محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله. لكنه لم يتمه، لأنه وجد فيه أحاديث غريبة لم يجد لها مخرجاً. فجاء المؤلف وخرج تلك الأحاديث كلها حديثاً حديثاً، مع بيان رتبتها، وذكر شواهد لها. بل كتب تخريجين لها: أحدهما صغير، في مجلد، سماه: «بغية الطلاب بتخريج أحاديث الشهاب»، ثم سماه أيضاً «فتح الوهاب» والآخر. كبير في مجلدين، سماه «الإسهاب في تخريج أحاديث الشهاب» يذكر فيه الحديث بإسناده منه إلى النبيﷺ. على طريقة الحافظ ابن عساكر في تاريخ الشام. وأضرابه من الحفاظ الذين يروون في كتبهم، الأحاديث بأسانيدهم، وهي طريقة عزيزة لم يسلكها أحد بعد ابن عساكر (٥٧١هـ) إلا المؤلف. وهي تدل على كثرة الحفظ، وسعة الرواية. وله غير هذا مؤلفات كثيرة، بلغت عشرين ومائة كتاب، كلها ما بين حسن وأحسن، وجيد وأجود. وكثير منها أنشأه جواباً لسؤال، أو تسجيلاً لمناقشة، أو رداً على منكر بغير حجة.

سئل عن حديث: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً» فألف رسالة سماها: «إياك من الاغترار بحديث أعمل لدنياك».

وفي إحدى زياراته لفاس، حصلت مناقشة بينه وبين بعض العلماء هناك في رفع اليدين في الدعاء عقب الصلاة. وادعى ذلك العالم أنه بدعة، فألف رسالة سماها: «المنح المطلوبة في استحباب رفع اليدين في الدعاء بعد الصلوات المكتوبة» طبعت بفاس.

وبلغه أن شيخاً يسمى الرماني من أهل الغريبة ـ قبيلة بجوار مدينة أصيلاً بالمغرب ـ ينكر حديث: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» بانياً إنكاره على أن الطائفة غير ظاهرة اليوم، ولا موجودة فكتب رسالة سماها «الأجوبة الصارفة عن أشكال حديث الطائفة» أثبت فيها تواتر

الحديث، وبين معناه بما أزال عنه كل إشكال: وكتب المحدث السيد عبد الحي الكتاني رسالة ذكر فيها أن حديث «ومن لغافلاً جمعة له» غير موجود في كتب الحديث وأنه بحث عنه في عدة كتب حديثية فلم يجده: فرد عليه المؤلف برسالة بيّن فيها أن الحديث موجود في تاريخ واسط للحافظ أسلم بن سهل الواسطي أحد شيوخ الطبراني: ونقل الحديث بإسناده من الكتاب المذكور، وهو كتاب نادر. وصحف الكتاني حديث «من فارق الدنيا على الإخلاص» فكتبه «من رزق الدنيا» وبنى عليه أن الحديث يحض على اقتناء الدنيا، فرد عليه المؤلف برسالة سماها «وسائل الخلاص من التحريف في حديث من فارق الدنيا على الإخلاص».

وأمره الشيخ الإمام والده بالرد على ابن خلدون في الفصل الذي عقده في مقدمة تاريخه، للكلام على المهدي، حيث ضعف أحاديثه، وجرح رجال أسانيدها. فألف كتاب «إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون» أثبت فيه تواتر أحاديث المهدي. وأبدى براعة في الكلام على الرجال في التوثيق والتضعيف. وناقش في ذلك مناقشة دلت على بلوغه درجة الاجتهاد في علم الرجال. وقد طبع في دمشق، ونقل عنه علامة حلب ومؤرخها المرحوم الشيخ محمد راغب الطباخ، في المقدمة التي كتبها لمعالم السنن. وإذا قابلت هذا الكتاب بما كتبه المرحوم الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، في المهدي وعيسى عليه السلام. وهي رسالة مطبوعة بمصر، وجدت فرقاً واسعاً بينهما، وتأكدت أن ما كتبه الشنقيطي إنما يصدر عن طالب مبتدىء، لم يعرف شيئاً من قواعد العلم.

ومما ألفه ولم يسبق إليه كتاب: «حصول التفريج بأصول العزو والتخريج» تكلم فيه على بدء تخريج الأحاديث متى كان؟ وبيّن شروطه وقواعده. والمؤلف يعتبر منشىء هذا الفن ومخترعه، كما كان الإمام الشافعي منشىء علم الأصول. ولم يتكلم أحد من الذي اشتغلوا بالتخريج، في هذا الفن، ولا حاموا حوله. كالبيهقي والزركشي وابن الملقن والزيلعي والعراقي وابن حجر والسيوطي وغيرهم.

ومن مؤلفاته التي لم يسبق إليها أيضاً كتاب سماه «ليس كذلك»

وموضوعه التعقيب على الحفاظ في بعض إطلاقاتهم، كأن يقول الإمام أحمد أو ابن معين في حديث ليس له إلا طريق واحد، فيقول المؤلف: ليس كذلك، بل له طريق آخر، ويذكره. أو يقول: ليس له طريق صحيح، فيقول المؤلف: ليس كذلك، بل له طريق صحيح، ويبينه. أو: الراوي فلان، ليس له متابع، فيقول المؤلف ليس كذلك، بل تابعه فلان، ويذكر متابعته.

وهو يدل على سعة حفظه، وشدة اطلاعه. إذ لا يقدر على إثبات ما نفاه الحفاظ الكبار، كأحمد وابن معين والذهبي والعراقي وابن حجر، إلا من كان واسع الحفظ، شديد الاطلاع.

ومن غرائب مؤلفاته رضي الله عنه التي لم يسبق إليها: كتاب مسند الجن، وهو كتاب غريب، ذكر فيه الأحاديث التي رواها الجن عن النبيﷺ. ومنهم زوبعة الجنى الصحابي وهو مذكور في الإصابة.

وكتب حاشية على شرح المناوي للجامع الصغير، المسمى بالتفسير. وسماها: «المداوي لعلل المناوي» ناقش فيها أغلاط المناوي في التصحيح والتضعيف، وفي الكلام على الرجال، وهي في أربعة مجلدات كبار.

وخرّج أحاديث بداية المجتهد، لابن رشد، وسمى تخريجه «هداية الرشد بتخريج أحاديث بداية ابن رشد» وهو في مجلدين. لا يستغنى عنه علماء الشريعة، والباحثون في الخلاف العالي. بل من أراد الاجتهاد، فهذا الكتاب يكْفيه.

وشرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني المالكي بالدليل، وسماه مسالك الدلالة. وعلى كثرة شروحها التي بلغت مائة شرح أو أكثر، لم يشرحها أحد بالدليل قبل المؤلف. يذكر المتن، ويعقبه بذكر دليله: إما آية أو حديث أو قياس أو إجماع، أو دليل من الأدلة التي يعتمدها المالكية، كعمل أهل المدينة أو قول الصحابي والاستصلاح.

ومن هذا الشرح كتب أصغر أشقائه شرحاً على العشماوية بالدليل أيضاً.

ولما ألف الشيخ محمد الخضر الشنقيطي، رسالة «إبرام النقض لما قيل من أرجحية القبض» رد عليه المؤلف بكتاب كبير سماه «المثنوني والبتار في نحر العنيد المعثار الطاعن فيما صح من السنن والآثار» اطلع الشيخ الخضر على ملازم من مقدمته فأفحم وأخذه العي والحصر.

نشأ منذ صغره ميالاً لمعرفة الدليل، لا يقبل قولاً بغير دليله، وذلك لما كان يسمع من الشيخ الإمام والده، في دروس صحيح البخاري، من تقرير الأدلة، والترجيح بين المذاهب، حسب موافقتها للدليل. وكان يسمعه وهو يحض على العمل بالسنة؛ فنشأ محباً لها، ولذلك ترك مذهب المالكية، لأنهم يذكرون الفقه أحكاماً مجردة عن الدليل، إلا في كتب ابن عبد البر والباجي وأضرابهما، وتمسك بمذهب الشافعية، لأن كتبهم تذكر لكُل حكم دليله. ثم رأى وجوب الاجتهاد عليه، فترك التقليد، ودعا إلى العمل بالسنة، ولاقى في دعوته، من متعصبة المقلدين، وجهلة المتعلمين. إسفافاً في القول، ورمياً بالبهتان، وعناداً يؤدي إلى الضلال. فلم يثنه ذلك عن عزمه، ولا فتَّ في عضده. بل صبر وصابر، وقابل إسفافهم بالجد، وبهتانهم بالصدق وعنادهم بالحجة الدامغة. فاستنارت بكلامه عقول، وتفتحت له قلوب، وأوجد مدرسة للعمل بالسنة، لا ثاني لها في شمال أفريقيا.

وكان يحب الإمام الشافعي رضي الله عنه محبة خاصة، لأسباب، منها: أنه كان يدعو إلى السنة والعمل بها، ولقي من تعنت الحنفية بالعراق، والمالكية بمصر، مثل ما لقي المؤلف من المقلدين اليوم، ومنها: أن الشافعي كان يحب أهل البيت، وكلامه يومىء بتفضيل الإمام عليّ على جميع الصحابة، ومنها: أن الصوفية يعدون الإمام الشافعي منهم، ويقولون: إنه نال رتبة البدلية، وقد كان شقيقه العلامة الكبير المحدث الخطير السيد عبدالله الصديق، رأى له رؤيا تدل على أنه يكون خليفة الإمام الشافعي ويسير على نهجه، وقد حصلت هذه الرؤيا، وهو لا يزال في الكُتاب يحفظ القرآن. فتحققت ـ فيما بعد ـ باجتهاد المؤلف، ونصرته للسنة، ودعوته للعمل بها. كما اجتهد الشافعي بعد أن كان مالكياً، ونصر

السنة بالعراق، بين متعصبة الحنفية، وبمصر مقر المالكية، في ذلك الوقت.

أملى المؤلف مجالس حديثية، في طنجة بالزاوية الصديقية، وفي مصر، بجامع سيدنا الحسين عليه السلام، ومسجد الكيخيا، فأحيا سنة الإملاء، بعد انقراضها بسنين عديدة.

وطريقة إملائه: أن يلقي الحديث بإسناده منه إلى النبي ﷺ، ويشرع في شرحه وذكر شواهده، وما يتصل به من فوائد وآداب، في مدى ثلاث ساعات. فيدهش السامعين بقوة حفظه، وفصاحة لسانه وحسن بيانه، ومن الطرائف أنه أملى مرة بالزاوية الصديقة، حديثاً في سنن البيهقي، وكان إسناده عجيباً، يتسلسل برواية مرضى: حدثنا الأعمش عن الأعرج عن الأصم عن الزمن.. إلخ؛ فلما انتهى الإملاء. قال له بعض الظرفاء: أخبرني في أي مستشفى روي هذا الحديث؟ وإن المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الذي وصف إملاء السيد مرتضى الزبيدي، وأثنى عليه، لو شاهد إملاء المؤلف لاعترف بأنه أكبر وأوفى من إملاء صاحبه. ولقد رأيت مجالس إملاء، لبعض كبار الحفاظ، فوجدناها ضئيلة، لا يبلغ مجموعها مجلساً واحداً من إملاء المؤلف.

وكان رضي الله عنه جميل الصورة، بهي الطلعة، إذا قابلته، رأيت في وجهه تلك البهجة التي دعا بها النبي ﷺ لحفاظ حديثه، حيث قال: «نضّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها» بشوش الوجه، سخي اليد، كريم النفس، مرضي الخلق. شجاعاً جريئاً، لا يهاب الموت، ولا يخشى السلطان، وله وقائع مع السلطات الاستعمارية الفرنسية والأسبانية، نشرتها الجرائد الأجنبية في أوروبا، منوهة بجراءته، وكان عالي الهمة، لا يعطى الدنية، ولا يرضى الضيم، يتواضع مع الضعفاء والمساكين، ويساعدهم بماله وبجاهه وكان يكره تقليد الأفرنج في أكلهم ولبسهم وعاداتهم التي تنافي روح الإسلام؛ دعاه المرحوم الشيخ الظواهري شيخ الأزهر إلى حفلة غداء، احتفالاً بالشيخ عبد الحي السكتاني عند عودته من الحج، وكان من جملة الحاضرين المدعوين الشيخ محمد الخضر

حسين والشيخ عبد المجيد اللبان والشيخ التفتازاني، ودُعُوا إلى المائدة، فإذا عليها شوك، فأكل بيده، ولم يستعمل الشوكة، فقال الشيخ الظواهري: وأنا آكل بيدي كما فعل الشيخ ابن الصديق، وإن كان النبي ﷺ قد أكل التمر، بشوك النخل، فسأله المؤلف: أين يوجد هذا الحديث؟ قال: في الجامع الكبير، قال: لا يوجد فيه هذا الحديث. قال: هل أحطت بأحاديث الجامع الكبير؟ قال: نعم، وهذا الشيخ الكتاني بجانبك فاسأله، فسأله فوافق المؤلف على أن الحديث غير موجود، وهكذا كان في التمسك بالحق، لا يجابي فيه أحداً، ولا يجامله، وله في هذا الباب حوادث كثيرة مع علماء الأزهر، يغلبهم بقوة حجته، ويصكهم صك الجندل، وبالجملة فهو مجتهد العصر وإمامه. قام بفريضة تجديد الدين، وتحمل عبء الدعوة إلى السنة ونشرها، جزاه الله خير ما يجزى به المجتهدين المجددين، آمين.

هذا الكتاب

المؤلف رضي الله عنه، صوفي بفطرته، شاذلي المشرب منذ نشأته، يحب الصوفية ويعتقدهم، ويدافع عنهم بلسانه وقلمه، ويعترف بما وهبهم الله من أذواق ومعارف وأسرار، ويزور الأولياء أحياء وأمواتاً، يلتمس بركتهم.

وكان لا يحب ابن تيمية، لانحرافه عن أهل البيت، وعن الصوفية، ويرى أن الله عاقبه، فجعل كتبه عمدة للمبتدعة، فلا تجد ناصبيًّا ولا وهابيًّا ولا غيرهما، ألا وهو يستند إلى ابن تيمية، ويحتج لابتداعه وضلاله بما في مؤلفاته.

وكان ـ مع إعجابه الحافظ ابن حجر ـ يكره منه انحرافه عن الصوفية، وإن كان لم يجرد قلمه لشتمهم وتكفيرهم كما فعل ابن تيمية.

ولما رد على ابن خلدون في الفصل الذي كتبه عن المهدي، وجده تعرَّض للصوفية، واعترض عليهم في أشياء، منها: انتسابهم للإمام عليّ عليه السلام، وأنكر سماع الحسن البصري من عليّ، كما أنكره كثير من الحفاظ، فألّف هذا الكتاب للأغراض الآتية:

(١) بيان سماع الحسن البصري من عليّ عليه السلام، بالطرق المعروفة عند أهل الحديث.

(٢) مناقشة ابن تيمية وابن خلدون، ورد كلامهما بالحجة والبرهان.

(٣) بيان سبب اختصاص الصوفية بعليّ، وانتسابهم إليه.

(٤) بيان كثير من الخرق الصوفية، ومنها ما هو غير معروف اليوم.

(٥) بيان سند الشاذلية بطريق الصحبة، وبطريق الخرقة.

(٦) بيان أن سند الصوفية متصل بعليّ عليه السلام، ليس في انقطاع، ولا إرسال.

وإذا أردت أن تعرف فضل هذا الكتاب، وما ضمه بين دفتيه من بحث وتحقيق، فاقرأ رسالة «إتحاف الفرقة برفو الخرقة» للحافظ السيوطي، فإنك حين تقرأها لا تملك إلا أن تعترف بأن المؤلف هبة، ادخرها الله لهذا العصر، ليبين لعباده أن فضله ممدود، وأن عطاءه غير محدود. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

أحمد محمد مرسي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

علم التصوف من أشرف العلوم وضعاً، وأكثرها نفعاً، جليل المقدار، عالي المنار. علم يزكي النفوس، ويخلصها من أدوائها، ويصفي مرآة القلوب، فتشرق عليها أنوار بارئها. علم يرقي الأرواح، في مراقي الفلاح، ويهذب الطباع الخبيثة الردية، فتصير أخلاقاً حميدة رضية.

أهله خيرة الله من خليقته، والصفوة الممتازة من بريته، عبدوه بصدق الإخلاص وإخلاص الصدق، فبدا لهم من لوامع تجلياته، وطوالع نفحاته، ما أشهدهم سر الحق في الخلق، وعرفهم حكمته في مقام الجمع والفرق.

أهل التصوف هم ـ كما يقول الغزالي ـ السابقون لطريق الله وخاصته. سيرتهم أحسن السير، وطريقتهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء، وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم، ويبدلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إليه سبيلاً. فإن جميع حركاتهم وسكناتهم، في ظاهرهم وباطنهم، مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به. وبالجملة فماذا يقول القائلون في طريق، طهارتها ـ وهي أول شروطها ـ تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى. ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة. استغراق القلب بالكلية، بذكر الله. وآخرها: الفناء بالكلية في الله.

ويقول أيضاً: حاصل عمل الصوفية قطع عقبات النفس، والتنزه عن

أخلاقها المذمومة، وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى، وتحليته بذكر الله انتهى.

فبداية التصوف تخلية عن مذموم الأخلاق والعادات، وتحلية بمحاسن الأفعال والصفات. ونهايته فناء في مشاهدة الله، وصرف النظر عما سواه، وسالكه لا بدّ له من شيخ يعلمه كيفية السلوك، ويجنبه آفات النفس ودخائلها.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الأنصاري في شأن المريد:

يصحب شيخاً عارف المسالك ... يقيه في طريقه المهالك

يذكره الله إذا رآه ... ويوصل العبد إلى مولاهُ

وهكذا يتلقى كل شيخ منهم عمن فوقه أخذاً وتلقيناً، حتى تنتهي السلسلة إلى الحسن بن أبي الحسن البصري، الذي تربى في بيت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، حيث كانت أمه خيرة مولاة لها، ولطالما ألقمته أم سلمة ثديها. ولما حنكته بشعرة من لحية النبيﷺ، كانت تحتفظ بها، بلعها الحسن، وهو يتلمظ بها، فرزق ببركة ذلك فصاحة في العبارة، وحكمة في القول، حتى كان الناس يقولون عنه إذا سمعوا وعظه: كلامه يشبه كلام الأنبياء، وهو قد تلقن عن أكثر الصحابة علماً، وأقدمهم سلماً: الإمام عليعليه السلام. فإليه تنتهي سلسلة الصوفية، أو خرقتهم كما يقولون. وعنه تلقيتْ حقائق التصوف ودقائقه ورقائقه. وهذا وإن كان متفقاً عليه بين الصوفية رضي الله عنهم، لا يختلفون فيه، فإن غيرهم من العلماء وقف إزاء هذه السلسلة مواقف مختلفة: منهم من أنكر اتصال السلسلة، وزعم أنها منقطعة، اعتماداً على تصريح كثير من الحفاظ بأن الحسن لم يلق عليّاً عليه السلام، بل صرحوا بأنه لم يلق بدرياً قط. وهذا موقف ابن تيمية من الحفاظ، وابن خلدون من الفقهاء والمؤرخين. زاد ابن تيمية، فأنكر اختصاص عليعليه السلام بعلم لا يكون عند الشيخين رضي الله عنهما.

وهذا نتيجة حقد دفين في قلبه. ومنهم من اعترف بانقطاع السلسلة أيضاً، لكنه لا ينكر على أصحابها تمسكهم بها، بل نراه يتلقنها منهم،

تبركاً بهم، والتماساً لفضلهم. وهذا موقف الحافظ ابن الصلاح، والحافظ السخاوي وغيرهما. ومنهم من أيَّدَ الصوفية في كلامهم، وبيّن اتصال السلسلة بلقى الحسن لعليّ عليه السلام. وهذا موقف الحافظ السيوطي الذي ألّف رسالة إتحاف الفرقة برفو الخرقة، وذكر فيها عشرة أحاديث، يرويها الحسن عن عليّ عليه السلام، لكنها معنعنة لم يقع التصريح بالتحديث إلا في حديث واحد منها. والحسن مدلس كما هو معروف، لا يقبل منه إلا ما صرح فيه بالتحديث تصريحاً لا يحتمل تأويلاً، وذلك الحديث الذي صرح فيه بالتحديث، نسب الغلط فيه إلى راوٍ قبل الحسن. وعلى ذلك لم تقطع رسالة الإتحاف حجة المنكرين، وبقيت الخرقة في حاجة إلى رفو متين. وكل من جاء بعد السيوطي ممن كتب عن الصوفية وخرقتهم، لم يزد على ما في رسالة الإتحاف جملة، ولا أتى بما يروي غلة، ولا يشفي علة، حتى جاء مؤلفنا الإمام بكتابه «البرهان الجلي» فرفا الخرقة فيه رفواً محكماً، صارت به أصح وأمتن، وأقوى وأمكن، وبيّن فيه أن معظم الذين حكموا بانقطاعها ـ وفيهم الحافظ ابن حجر ـ بنوا حكمهم على تقليد واسترواح، ولو استعملوا حفظهم في البحث عن مرويات الحسن وتمحيصها، لعلموا أنه سمع عليًّا عليه السلام ولقيه. ثم ذكر أحاديث من مسند أبي يعلى، وسنن البيهقي وغيرهما، ويصرح فيها الحسن بالسماع من عليّ، تصريحاً لا احتمال فيه ولا غلط.

ثم عطف على ابن تيمية وابن خلدون فبيّن لهما بأدلة كثيرة اختصاص عليّ بالتصوف، وبعلوم أخرى لم تكن عند الشيخين رضي الله عنهما. وبسط تلك الأدلة، ووضحها توضيحاً لا يدع مجالاً للشك والتردد:

منها: أن علم عليّ عليه السلام، تواتر مثل شجاعته، حتى صار مضرب المثل بين الناس جميعاً.

ومنها: أن الصحابة ـ وفي مقدمتهم الشيخان ـ اعترفوا له بالتقدم في العلم، ورجعوا إليه فيما أشكل عليهم.

ومنها: أنه لم يسمّ أحد من الصحابة بالإمام غيره.

ومنها: قول النبي عليه الصلاة والسلام: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها».

وهذا الحديث هو الأصل في الباب، وهو السر اللباب، فهو يشيد إمامة عليّ عليه السلام وتقدمه في العلوم. كما يفيد أنه في الحقيقة باب النبي صلى الله عليه وآله، وليس السيد البدوي رضي الله عنه، كما يشاع عند العامة بمصر.

وهذا الحديث اختلفت فيه أنظار علماء الحديث، فالناصبية والمنخدعون بهم من أهل السنة جزموا بوضعه. واقتصر آخرون على تضعيفه. ومنهم من سلك سبيل التوسط، كالحافظ ابن حجر فإنه قال: ليس بموضوع ولا ضعيف، ولكنه حديث حسن، ولم يصححه إلا قليل من الحفاظ، رمى بعضهم بالتشيع من أجل تصحيحه له، لكن مؤلفنا الإمام ألّف كتاب «فتح الملك العلي بصحة حديث، باب مدينة العلم عليّ» أثبت فيه صحة الحديث بتسعة مسالك، لو رآها الحافظ ابن حجر، لجزم بأن الحديث بلغ أعلى درجات الصحيح.

ثم عطف على الذين قالوا بوضع الحديث أو ضعفه أو تحسينه، فناقشهم مناقشة طبيب بعلل الحديث، خبير بقواعد التعديل والتجريح، ماهر في تطبيقها أحسن تطبيق، ومكنه إطلاعه الواسع من أن يلزمهم بقواعد أصّلوها، ثم غفلوا أو تغافلوا عنها.

وسلك فيه أسلوباً مبتكراً، لم يسبق إليه، فقد ألّف الحفاظ قبله أجزاء مفردة في تصحيح أحاديث أو تحسينها، كالحافظ العلائي ألّف جزءاً في تحسين حديث «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

وألّف الحافظ العراقي جزءاً في صحة حديث التوسعة يوم عاشوراء.

وألّف الحافظ ابن حجر جزءاً في صحة حديث عموم المغفرة للحجاج.

لكن أسلوبه يفوق أسلوبهم تنسيقاً وترتيباً، وتفريعاً وتبويباً، بل طريقة

تخريجه للأحاديث في كتبه، تخالف طريقة من قبله على نحوٍ أمتع، وبأسلوب أنفع، لا نستثني من ذلك ابن حجر شيخ الحفاظ بدون منازع، ولا غيره.

ولقد قال بعض أفاضل العلماء المعاصرين: إنه لاحظ أن كلام مؤلفنا الإمام في تخريج الأحاديث، أوسع من كلام الحافظ في التلخيص الحبير، وهكذا تجد كل تخاريجه ممتعة نافعة، وكلما قرأت مؤلفاً من مؤلفاته، ازددت يقيناً ببلوغه درجة الاجتهاد بجدارة واستحقاق، ولو ذهبنا نذكر مؤلفاته، ونبين ما امتاز كل مؤلف منها في موضعه، أو أسلوبه، أو جمعه وترتيبه، لم تكف هذه المقدمة لذلك.

فلنقصر حديثنا على كتاب «البرهان الجلي، وفتح الملك العلي» فهما أوضح دليل على صحة ما نقول، لأنك لا تجد لهما نظيراً في كتب التصوف والحديث، لا في موضوعهما، ولا في أسلوبهما، ولا فيما اشتملا عليه من قواعد وفوائد، يعز وجودها في شيء من الكتب، لأنها نتيجة خبرة واسعة، وملاحظة دقيقة في تطبيق القواعد، وذهن وقاد. ومواهب أفاضها الله على مؤلفنا الإمام العظيم، وأهله بها لأن يكون حجة العصر وإمامه، يجدد أمر الدين ويقيم أعلامه.

ثم إن كتاب «فتح الملك العلي» يعتبر أصلاً لكتاب البرهان الجلي، وأساساً له، لأن صحة حديث «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» ينبني عليها صحة انتساب الصوفية إليه، وأنهم أخذوا علومهم وحقائقهم عن إمام شهد له المعصوم ﷺ.

بل أمر بالتلقي عنه، حيث قال في آخر الحديث السابق: «فمن أراد العلم فليأت الباب» ولذلك كان طبع الكتابين معاً، غاية التوفيق، وعين الصواب، لأنهما كما قَدَّمنا بمثابة أصل وفرع، أو دليل ومدلول، أو علة ومعلول.

فالتلازم بين موضوعيهما واضح للعيان، والتناسب بينهما لا يحتاج إلى بيان، والله الموفّق وعليه التكلان.

مصطفى المصطفى من الأنبياء ... يا عليّ العالين في الأسماء
يا عليّ العالين في كل وصف ... من صفات الكمال في الأعلياء
في الوغ سيفك العليّ المعلى ... في النّهي رأيك العلي الضياء
مفرد أنت في السماحة والتقى ... وفي الدين والحجا والذكاء
شهد الله أن شخصك قد كا ... ن أنقى الأشخاص دون مراء
صلة الأرض بالسماء تجلت ... بل تحلت في ذاتك العصماء
مثلما كنت للخلافة أقضى ... كل من حازها بلا استثناء
ليلة الهجرة المنيفة تبقى ... لك ذكرى وآية للفداء
يا أخاً للنبي أنعم وأكرم ... بإخاء أعظم به من إخاء
إنما الناس دائماً لم يكونوا ... غير ما هم عليه من أهواء

أحمد محمد مرسي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، ملك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين، لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فلما كانت خرقة التصوف وأسانيد طرق الصوفية رضي الله عنهم أكثرها يتصل بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه ورضي عنه من رواية الحسن البصري عنه، وكان الناس مختلفين في سماعه منه على قولين: فأثبت سماعه منه قوم، ونفاه آخرون، تقليداً لمن قال ذلك من المحدثين بدون دليل ولا برهان، واستند إلى نفيهم جماعة فطعنوا في خرقة التصوف وأسانيد الصوفية بالانقطاع وعدم الاتصال. أحببت أن أبين خطأهم في ذلك وأحقق سماع الحسن من علي عليه السلام، واتصال السند من جهته بما لا يبقى معه شك ولا ارتياب، وأجعل الكلام في ذلك مع ابن تيمية وابن خلدون اللذين طعنا في خرقة التصوف المتصلة بعلي عليه السلام، وأبين أغراضهما الفاسدة من ذلك، وأبدأ أولاً بالكلام على سند طريقتنا الشاذلية، وأحقق اتصالها بأبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، وأبين ما وقع فيه من الاختلاف والاضطراب، ثم اتصال أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه بالنبي ﷺ من الطريقين: طريق التحكيم والإرادة المتصل بعلي من جهة ابنه الحسن عليه السلام، وطريق الخرقة والتبرك المتصل بعلي عليه السلام من جهة الحسن البصري رحمه الله تعالى.

وسميته (البرهان الجلي، في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي، والاتصال بأبي الحسن الشاذلي) فأقول، ومن الله تعالى أستمد العون والتوفيق:

مقدمة

قال والدي قدس سره في بعض ما كتبه من الإجازات في الطريق.

أما بعد فلا يخفى على ذوي البصائر والعقول أن الفنون كلها لا بد فيها من واسطة، ومن لا واسطة له في فنه لا بركة له فيه ولو حصل فيه على الغاية القصوى، فبركة الفن وسره وروحه وجود الواسطة فيه. فمن رزقها رزق الفن وبركته. ومن حرمها حرم الفن وبركته، وهو أمر لا يحتاج إلى برهان إذ ليس الخبر كالعيان.

ولما كان التصوف أولاها بذلك وأحقها بما هنالك، وكان من لا شيخ له فيه لا يعبأ به ولا يلتفت إليه. بل هو عندهم لقيط لا أب له وسقيط لا طعم فيه. بل حتى لو فرض أن شيئاً من المعارف والأذواق حصل لأحد على سبيل خرق العادة بلا واسطة. فالمتعين عليه أن يستند إلى الواسطة أدباً مع الشريعة المطهرة، إذ جاءت باعتبارها وأمرت بشكرها، وأيضاً فإن الاستناد إليه فيه كمال ورفعة قدر وجلال لأن فيه خروجاً من رعونات النفس والأنانية إلى رفعة التواضع والعبودية. وناهيك بها عزاً وشرفاً ورفعة وفخراً. إذ هي سبب للحرية. بل هي في الحقيقة عينها، ولو صح لأحد شيء بلا واسطة لما كان لمولانا رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام واسطة مع أنه عليه الصلاة والسلام أجل منه وأفضل وأعلى وأعز وأكمل ففي تقديم المفضول على الفاضل رفعة لمقام الفاضل وتنويه بعبودية الكامل، وانظر إلى أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم مع أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون يفتح لك الباب وتفهم سر الخطاب. فما عظمت الحرية في أحد إلا وكانت العبودية فيه أعظم. إذ ما تشرف من تشرف إلا بها،

وما طرد من طرد إلا بالدعوى والركون إلى الحرية والأنانية، وما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح. وقد قال الجنيد رضي الله تعالى عنه سبق في علم الله القديم ألا يدخل أحد لحضرته لا على يد عبد من عباده.

وقال القطب أبو العباس أحمد المرسي رضي الله عنه ما صارت الأبدال أبدالاً إلا بمجالسة أمثالنا. لذلك وجب علينا أن نذكر سندنا ونبين نسبتنا في هذه الطريق الدرقاوية التي هي لب الطرق الاتصالية الجامعة بين الجيلانية والشاذلية المؤسسة على الكتاب والسنة والمخصصة بالنفحات الربانية. إذ في اتصال سببنا بسببهم ونسبتنا بنسبتهم استمطار للرحمات الإلهية واستنزال للنفحات القدسية وتحريك للسلسلة النبوية. مع أن الإسناد من الدين في كل وقت وحين طال الزمان أو قصر وقل عدد الوسائط أو كثر ثم ذكر سنده الآني ثم قال وليكف الإنسان شرفاً وفخراً أن يعرف رجال هذه السلسلة النورانية المحمدية فإنها سلسلة الذهب الإبريز التي من تمسك بمحبة رجالها نال رضى الملك العزيز. وأما من دخل فيها وكان حلقة من حلقاتها فلا يصف الواصف فضله ولا يلحق أحد شاؤه وقدره. فقد قال القطب الشعراني رضي الله عنه في فوائد النسبة العامة أن المنتسب يكون كالحلقة في السلسلة لا يتحرك في أمر إلا تحركت السلسلة كلها معه إلى مولانا رسول الله ﷺ بخلاف غير المنتسب فإنه يتحرك وحده ويسكن وحده اهـ.

وقال العارف الشعراني في مدارج السالكين إلى رسوم طريق العارفين اعلم أيها المريد وفقنا الله وإياك لمرضاته أن من لم يعرف آباءه وأجداده في الطريق فهو أعمى وربما انتسب إلى غير أبيه. فيدخل في قوله ﷺ «لعن الله من انتسب إلى غير[1] أبيه» ومرادنا بمعرفة الآباء صحة الاقتداء بهم في الأخلاق الشرعية، وقال سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه:

---

(١) في صحيح مسلم «من ادعى - أي انتسب - إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدل» فالحديث يشمل - بطريق الإشارة - أدعياء الطريق كلهم.

نسب أقرب في شرع الهوى بيننا من نسب من أبوي

وذلك لأن الروح ألصق بك فأبو الروح يليك وأبو الجسم بعده. فكان بذلك أحق أن تنسب إليه دون الجسم. وقد درج السلف الصالح كلهم على تعليم المريدين آداب آبائهم ومعرفة أنسابهم. وأجمعوا كلهم على أن من لم يصح له نسب القوم فهو لقيط لا أب له في الطريق، ولا يجوز له التصدر والجلوس لإرشاد المريدين إلا بعد أخذه آداب الطريق عن شيخ كامل مجمع على جلالته وخبرته بالطريق، ثم يأذن له صريحاً بأن يرشد ويلقن ويلبس الخرقة على شروط ما كان عليه السلف رضي الله عنهم أجمعين اهـ. وبعد هذا فلنشرع في المقصود بعون الله فنقول:

فصل

اعلم أن الاتصال بالشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه اشتهر من طريق الشيخين الإمامين العارفين الكبيرين أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان الجزولي صاحب دلائل الخيرات، وأبي العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنوسي الفاسي المعروف بزروق رضي الله عنهما.

فمن طريق أبي عبد الله الجزولي تتصل الطريقة العيساوية والحمدوشية والوزانية والريسونية والبقالية وغيرها، فإن سيدي محمد بن عيسى أخذ عن سيدي أحمد بن عمر الحارثي السفياني عن سيدي محمد بن سليمان الجزولي وأخذ أيضاً بإذن شيخه المذكور عن سيدي عبد العزيز التباع عن الجزولي.

وأخذ عن سيدي علي بن حمدوش العلمي العروسي المجذوب عن سيدي محمد الحفيان عن والده عن سيدي محمد أبي عبيد الشرقي عن والده أبي القاسم الجابري الزعري وعن سيدي عبد الله بن ساسي كلاهما عن التباع عن الجزولي. وقيل إن سيدي عبد الله بن ساسي أخذ عن سيدي عبد العزيز التباع بواسطة تلميذه العارف الكبير سيدي عبد الله الغزواني والصحيح أنه أخذ عن التباع بدون واسطة.

وأخذ العارف مولاي عبد الله الشريف العلمي الوزاني عن سيدي علي بن أحمد الصرصري عن سيدي عيسى بن الحسن المصباحي عن سيدي محمد بن علي الزمراني المعروف بالطالب عن سيدي عبد الله الغزواني عن التباع عن الجزولي.

وأخذ سيدي عبد الرحمن بن عيسى بن عبد الرحمن بن ريسون وشقيقه سيدي علي بن عيسى كلاهما عن العارف الغزواني عن التباع.

وأخذ سيدي محمد بن علي بن عيسى بن عبد الرحمن بن ريسون عن سيدي عبد الله بن حسين امغار عن الغزواني أيضاً.

وأخذ سيدي محمد بن علال الحاج البقالي عن سيدي أبي الشتاء دفين فشتا له عن الغزواني وكذلك يتصل به كثير من أولياء المغب.

فصل

والشيخ الجزولي أخذ عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله امغار عن أبي عثمان سعيد الهرتناني عن أبي زيد عبد الرحمن الرجراجي عن أبي الفضل الهندي عن عنّوس (بتشديد النون) البدوي راعي الإبل عن أبي العباس القرافي عن أبي عبد الله المغربي عن أبي الحسن الشاذلي.

قال: أبو العباس بن أبي المحاسن الفاسي في المنح الصافية هكذا نرى هذه السلسلة كثيراً عند فقراء العصر وما رأينا عندهم غيرها ولست أعرف من هؤلاء الشيوخ الذين بين الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الشريف امغار والشيخ أبي الحسن الشاذلي واحداً، وأما الشيخ أبو عبد الله امغار فلا نزال نسمع أنه لقيه الشيخ أبو عبد الله الجزولي بدكاله وأنه أخذ عنه وسمعت أنه يذكره باسم الشيخ في بعض ما جمع عنه من الكلام والمناقب. قال والإمام القرافي المذكور لا أعلم هل هو صاحب القواعد والذخيرة وشرح الأربعين وغيرها والتاريخ يوافقه إن كان هو أم غيره، وأبو عبد الله المغربي لم نجده فيمن وقع ذكره من أصحاب الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه في لطائف المنن وكتاب ابن الصباغ وكتاب الإمام

الشريف أبي محمد عبد النور على أنه لم يستوف ذكر واحد منهم وإنما ذكروا ما تيسر لهم من أعيانهم وعظمائهم اهـ.

وقال حفيد أخيه أبو عيسى في تحفة أهل الصديقية والقرافي العالم المعروف لا يعرف بهذا الشأن فيؤخذ عنه طريق الصديقية وإنما يعرف له العلم الظاهر وإن كانت له مع ذلك ديانة وصلاح فهو أمر زائد على ذلك أخص منه اهـ.

قلت: ويبعده أيضاً كون القرافي أدرك أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأخذ العلم عن طبقته وأقرانه كالعز بن عبد السلام، بل مات القرافي قبل أكبر أصحابه وأشهرهم أبي العباس المرسي رضي الله عنه بسنتين فإنه مات سنة أربع وثمانين وستمائة وكانت وفاة أبو العباس المرسي سنة ست وثمانين فيبعد أن يأخذ عن الشاذلي بواسطة مع اشتهاره وكونه معه في بلد واحد وتوفر الدواعي على الأخذ عنه، لا سيما وقد كان شيوخه يترددون إلى الشاذلي ويجالسونه، ويأخذون عنه. ثم على احتمال أن يكون فاته الأخذ عنه فاستدرك ذلك بواسطة بعض أصحابه فهو أخذ خرقة وتلقين لا أخذ صحبة واقتداء، وطريق الشاذلية مبنية على الصحبة والاقتداء لا على الخرقة والتلقين، التي هي أقصى ما يصل إليه علماء الظاهر عند الميل إلى طريق التصوف واعتقاد الظاهرين من شيوخ الطريق في عصرهم.

ثم وجدت الشيخ ابن عطية السلاوي قال في كتابه سلسلة الأنوار عنوس البدوي عن شيخه القطب الشهير الجامع أبي الحسن على القرافي صاحب القرافة، فهذا لو صح لكان صريحاً في تعيين كونه غير القرافي الفقيه لكنه مما انفرد به صاحب السلسلة ولم يذكره غيره، بل كلهم اتفقوا على ذكره باسم أبي العباس القرافي أو الإمام القرافي. وأما أبو عبد الله المغربي فقد نقل صاحب دوحة الناشر عن شيخه الولي الصالح أبي الحجاج يوسف بن عيسى الفجيجي أن القرافي المذكور أخذ عن أبي العباس المرسي فإن صح ذلك من جهة النقل فالغالب على الظن أنه أبو عبد الله المغربي كناه بعضهم بذلك جهلاً بكنيته ونسبته لأن أبا العباس أندلسي والأندلس من المغرب في عرف المشارقة بل والجغرافيين

والمؤرخين وإلا فهو أبو عبد الله بن سلطان المغربي التونسي أخو الشيخ ماضي أبي العزائم أو أبو عبد الله البجائي الخياط أو أبو عبد الله القرطبي الذي أرسله الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه من الإسكندرية إلى تونس ليربي أبا عبد الله بن سلطان ويكمل حاله حيث تركه صغيراً وكان يمده غيباً، فالعجب من قول أبي العباس الفاسي أنه لم يجد ذكر أبي عبد الله المغربي في أصحاب الشيخ أبي الحسن الشاذلي المذكورين فيما سمى من الكتب وكل هؤلاء مذكورون في كتاب درة الأسرار لابن الصباغ.

ثم وجدت القادري قال في المقصد الأحمد وما قاله أبو العباس بن الشيخ أبي المحاسن الفاسي في مؤلف له في أسانيد أبيه وتبعه حفيد أخيه سيدي المهدي في التحفة والإلماع من أنه لا يعرف من هؤلاء الشيوخ أحد سوى الشيخ أبي عبد الله أمغَارْ وأن القرافي المذكور لا يدري هل هو العالم المشهور أو غيره وأن أبا عبد الله المغربي لم يوجد في لطائف المنن ولا في كتاب ابن الصباغ وسيدي عبد النور لا يوجب شيئاً في هذا السند ولا يكسبه ضعفاً ولا علة لما علم في أن علماء الظاهر لا يعتنون بمعرفة رجال هذه الطريق ولا بالتعريف بهم لعدم ترتب حكم شرعي على ذلك كما يترتب عليه في نقل الحديث، وإنما يعتني بذلك أهله المنتسبون. وقد تواطأت هذه الطريقة الجزولية على حفظ هذا السند ونقله بعضهم عن بعض وكفى بذلك معرفة لرجاله وشهرة لهم لا سيما وقد تظافرت جماعة من أهل العلم الظاهر والصلاح على روايتهم لهذا السند أخذا وإجازة حتى تلميذ الشيخ الجزولي رضي الله عنه المؤذَن بأنه أخذ ذلك عن الشيخ نفسه وهو أعرف شهادة وغيباً وناهيك تعريفاً بهم معرفته هو لهم. والتردد في أن القرافي هو العالم المعروف أو غيره لا ينبغي إذ من المعلوم أنه لا يعرف له أخذ في الطريق ولو كان لوصفه به الأسيوطي في حسن المحاضرة عندما عرف به كما وصف كثيراً في العلماء بذلك وهو حافظ الدنيا وعالمها مع كونه من أهل بلده وعدم وجوده أبا عبد الله المغربي في الكتب المذكورة لا يؤذن بكونه منفياً ولا مجهولاً. لأن تلك الكتب الثلاثة لم تتعرض لذكر أصحاب الشيخ الشاذلي كلهم ولا استوفت منهم بعض البعض، هذا وقد ذكر الأبي في شرح مسلم أن ابن البراء كان يقرأ في مسجد القبة من تونس

فأتاه رجل فقال له رأيت البارحة النبي ﷺ فقال لي: قل لفلان يعطيك جبة، فقال له ابن البراء قال لي أنا في اليقظة لا أعطيك شيئاً فذهب الرجل فدخل على الرجل الصالح أبي عبد الله المشتهر بالمغربي في موضعه القريب من المسجد المذكور فأعطاه الجبة فقيل له إن الرجل يتخرص فقال الشيخ لو علمت أنه صادق أعطيته الدنيا، ومعلوم أن الشاذلي كان بتونس وترك أصحاباً هنالك وابن البراء كان معاصراً له فأبو عبد الله المغربي المذكور في الحكاية ليس هو إلا ذاك والله أعلم، وهو دفين خارج تونس وقبره شهير هنالك يزار، ثم العلم بهؤلاء السادات الماضين من حيث الظاهر إنما هو بالشهرة والسماع وقد يكون الإنسان في قطر شهير وأهل قطر آخر لا يعرفونه وهو لم يطأ تلك الأقطار كلها حتى يستقرىء المجهول من المعلوم وهذا أبو زيد الرجراجي له شهرة عظيمة في أرضه لم يصله خبره، وهل الآخرون بالقياس عليه إلا كذلك. وحيث لم يعرفهم ولا عرف شهرتهم فليستند إلى من عرفهم وعرفها حتى لا يحكم على معلوم بجهالة ولا على مستور بخمالة اهـ. ولما نقله حفيده العلامة محمد بن الطيب القادري في الزهر الباسم في مناقب سيدي قاسم قال: وكأن أبا العباس الفاسي وحفيد أخيه سيدي المهدي ومن تبعهما لم يكفهم هذا القدر في التعريف بهؤلاء الشيوخ إلا أن يقال هو كاف في هذا الباب اهـ.

(قلت) أبو العباس الفاسي يتكلم على الإسناد من حيث الاتصال والانقطاع والمعرفة والجهالة في الظاهر لا في الباطن. فلا يلزمه أن ينتقل مما هو فيه إلا غيره وإلا كان خروجاً عن الموضوع لأن البحث في الإسناد. بل مجرد ذكره من علم الظاهر لا من علم الباطن الذي يسلم لأهله ولا يبحث معهم فيه. ثم إنه لم يجزم بجهالة المذكورين بل ولا نطق بها وإنما نسب الجهل إلى نفسه بهم وعدم وقوفه على تراجمهم، وذلك لا يستلزم أن يكونوا في نفس الأمر مجهولين فاعتراض أبي محمد القادري رحمة الله تعالى عليه غير وجيه كما هو ظاهر والله أعلم.

وأبو زيد الرجراجي ذكر في (دوحة الناشر) أنه المعروف عند العامة بأبي زيد والياس المقبور بوادي شفشاوه من أعمال مراكش وأنه أقام بمكة

عشرين سنة مجاوراً وكان من كبار العارفين الواصلين إلى مقام القطبية وقد تقدم في كلام القادري أنه مشهور ببلاده.

فصل

وللشيخ الجزولي طريق آخر إلى الشاذلي فيما ذكره العارف الغزواني في جواب أجاب به العلامة محمد اللقاني المالكي المصري ذكر له فيه أن إمامه وقدوته في هذا الشأن، هو الشيخ العارف أبو محمد عبد العزيز التباع وقدوته هو وإمامه الشيخ أبو عبد الله الجزولي وقدوته هو وإمامه الشيخ أبو محمد عبد العزيز العجمي أخذ عنه بالجامع الأزهر وقدوته هو وإمامه الشيخ أبو الحسن الشاذلي اهـ وهو منقطع جزماً فإن بين وفاة الشاذلي وولادة الجزولي نحو مائة وخمسين سنة تقريباً وهو زمان لا يمكن الأخذ فيه بواسطة بل ولا واسطتين، فلعل العارف الغزواني يقصد أن العجمي المذكور تنتهي طريقته إلى أبي الحسن الشاذلي كما يقول الصوفية المتأخرون شيخنا أبو الحسن الشاذلي وكما يقول الشيخ الأكبر في الفتوحات المكية عن بعض المتقدمين شيخنا في هذا المقام فلان كالحلاج والغزالي والجيلاني، فليس المراد أنه شيخ بدون واسطة بل محمول على ما ذكرنا والله أعلم.

فصل

ومن طريق الشيخ زروق تتصل بالشاذلي رضي الله عنه الطريقة الناصرية والغازية والصادقية والفاسية اليوسفية والجملية والدرقاوية ذات الفروع الكثيرة بالمشرق والمغرب التي منها طريقتنا الصديقية المنسوبة إلى والدنا الشيخ الإمام العلامة المجتهد العارف الكبير القطب الغوث الجامع أبي عبد الله سيدي محمد بن الصديق بن أحمد بن عبد المؤمن الشريف الحسين رضي الله عنه، فإنه أخذها عن شيخه نور الملة والدين قطب الواصلين سيدي محمد بن إبراهيم الفاسي عن العارف الرباني سيدي عبد الواحد بناني عن العارف المولع سيدي محمد بن الغالي أيوب عن القطب

الكبير سيدي أحمد بن عبد المؤمن جد مولانا الوالد عن إمام الأولياء مجدد الطريق في الألف الثاني مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي عن العارف الكبير سيدي على الجمل العمراني عن سيدي العربي بن عبد الله عن والده أحمد بن عبد الله عن سيدي أحمد اليمني وسيدي قاسم الخصاصي أخذ عن الأول الجيلانية وعن الثاني الشاذلية وهو عمدته وسيدي قاسم أخذ عن سيدي مبارك عبابو وعن سيد محمد بن عبد الله الفاسي معن وهو عمدته وسيدي محمد بن عبد الله عن سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي عن أخيه سيدي يوسف بن محمد الفاسي عن سيدي عبد الرحمن المجذوب عن سيدي علي الدوار عن سيدي إبراهيم إفحام الزرهوني عن الشيخ زروق رضي الله عنهم أجمعين وأنا تلقنت وصحبت واقتديت بوالدي رضي الله عنه كما لبست وتبركت من غيره.

فصل

والشيخ زروق يتصل بالشاذلي رضي الله عنه من طرق متعددة فيما ذكره جماعة من أصحاب الفهارس والإثبات وتراجم الشيوخ، إلا أنهم وهموا فيها فجعلوها طريق صحبة واقتداء وهي طريق خرقة وتبرك، بل منها ما هو مجرد رواية لكتاب الحكم العطائية بطريق الإجازة لا بالسماع والتلقي كما ستعرفه.

الطريق الأول منها: عن أبي عبد الله محمد بن قاسم الغوري عن عبد الله بن حَمَد بفتح الحاء والميم عن سيدي علي وفا عن والده سيدي محمد عن شرف الدين أبي سليمان داود بن عمر الباخلي عن تاج الدين أحمد بن عطاء الله عن أبي العباس المرسي عن أبي الحسن الشاذلي هكذا ذكره صاحب المنح البادية في سلسلة الطريقة الوفائية وهو سند صحيح معروف الرجال، إلا أنه ليس سند صحبة واقتداء، بل هو سند خرقة وتبرك، فإن أبا عبد الله القوري الفقيه المشهور لم يكن من أهل هذا الشأن وإن كان من الصالحين. أما شيخه سيدي عبد الله بن حمد فكان من الأولياء المعتقدين المتبرك بهم في حياتهم وبعد مماتهم وهو مترجم في الجذوة والسلوة ونيل

الابتهاج وغيرها مات بمكناسة الزيتون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة فالسند متصل صورة منقطع معنى لوجود الغوري فيه وهو من علماء الظاهر لا من علماء الباطن.

الطريق الثاني: ذكره الشيخ زروق نفسه ونقله عنه جماعة منهم ابن حجر الهيثمي في فهرسته قال الشيخ زروق ألبسني الخرقة وأرخى لي العذبة العارف أبي حفص عمر النبيتتي ولقنني الذكر وصافحني وشابكني قال ألبسني العارف المجد صالح الزواوي وهو لبس من محمد بن محمد بن مخلص الطيبي وهو من الحافظ علاء الدين مغلطاي وهو من شريف الدين أبي بكر المغربي والشريف محمد بن القطب أبي الحسن الشاذلي وهما من والد الثاني القطب الغوث الفرد الجامع أبي الحسن الشاذلي وهو كما ترى صريح في لبس الخرقة. وسيأتي سند أبي الحسن الشاذلي فيه.

الطريق الثالث: عن العارف المجذوب سيدي أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن عروس التونسي صاحب الكرامات والخوارق وشيخ الطريقة العروسية عن سيدي محمد المجاهدي عن سيدي سليمان الجزار عن الشيخ الجبتياني عن سيدي محمد الحنفي عن ابن عطاء الله عن أبي العباس المرسي عن أبي الحسن الشاذلي وهو سند غير صحيح من جهتين:

إحداهما: أن الحنفي ولد بعد وفاة ابن عطاء الله بأزيد من ستين سنة.

وثانيتهما: أنه يتصل بالشاذلي من جهة ياقوت العرشي عن المرسي لا من جهة ابن عطاء الله كما هو معروف.

وقد ذكروا لسيدي أحمد بن عروس طريقاً آخر وهو أنه أخذ عن الشيخ فتح الله بن يوسف العجمي عن سيدي ياقوت العرشي عن أبي العباس المرسي عن أبي الحسن الشاذلي، كذا ذكره جماعة منهم الشيخ الشهير أبو محمد عبد السلام[1] بن سليم الأسمر في سلسلة طريقته. ونظم

---

(١) كثير من الصوفية هنا يعتقدون أن هذا هو الشيخ عبد السلام بن مشيشي صاحب الصلاة المشيشية وهو خطأ.

ذلك منه إلى النبيﷺ من الطريق المشهورة لأبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وهو سند منقطع أيضاً فإن فتح الله العجمي لم يدرك ياقوت العرشي بل ولد بعد وفاته بنحو خمس وثلاثين سنة لأن العرشي مات سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة والعجمي ولد بعد سنة سبع وستين كما يستفاد من الضوء اللامع للسخاوي فإنه قال توفي سنة ثمان وأربعين ورأيت من أرخ وفاته سنة سبع وقد قارب الثمانين فيكون ولد بعد العرشي بالزمن المذكور، ثم إن المعروف في طريق فتح الله العجمي أنها جُشتيه أخذها عن صدر الدين الناكوري عن نصير الدين محمود الأودهي عن نظام الدين الدهلوي عن فريد الدين شكر كنج عن قطب الدين الدهلوي عن معين الدينا الجشتي بسنده المعروف المتصل بإبراهيم بن أدهم عن الفضيل بن عياض عن عبد الواحد بن زيد عن الحسن البصري عن عليعليه السلام.

وقد ذكر هذا السند أيضاً الشيخ عبد السلام الأسمر في نفس المنظومة إلا أنه صدر بالأول وجعله عمدته، بل صرح هو وغيره من شيوخه بأن طريقتهم شاذلية، بل قالوا إن طريقتهم العروسية هي لب الطريقة الشاذلية، والواقع إنها طريقة جشتية إذ كانت ولادة سيدي أحمد بن عروس في الطريق على يد الشيخ فتح الله العجمي أو عروسية منفردة إن كان سيدي أحمد بن عروس وصل من طريق الجذب الإلهي والله أعلم.

الطريق الرابع: عن الحافظ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي عن عبد الرحمن بن عمر القِبَابي بكسر القاف وفتح الموحدة نسبة إلى القباب الكبرى موضع[1]. عن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي عن تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري عن أبي العباس المرسي عن أبي الحسن الشاذلي كذا ذكره ابن حجر الهيثمي في فهرسته فقال: «وللشيخ زروق طريقة أخرى إلى الشاذلي قيل ما فيها رجل إلا وتقطب» ثم ذكر هذا السند وذكره أيضاً العلامة محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي في المنح البادية فقال في أسانيد

(١) هي إحدى بلاد مركز دكرنس محافظة الدقهلية.

الطريقة الشاذلية: «وهي طريقتان طريق الصحبة والاقتداء وطريق التبرك والتلقين أما طريق الصحبة والاقتداء فقد صحبت شيخنا الإمام أبا البركات يعني عبد القادر الفاسي واقتديت به وسمعت عليه أحزاب الشاذلي وكثيراً من كلامه وهو يرويها من طريق الشيخ زروق عن الشمس السخاوي» فذكر السند إلى الشاذلي وسبقهما إلى ذلك الشيخ طاهر بن زيان القسنطيني نزيل المدينة المنورة وهو تلميذ الشيخ زروق فنظم سلسلة الطريقة الشاذلية عن شيخه زروق عن السخاوي إلى الشاذلي ثم منه إلى النبيﷺ، ونقل منظومته بتمامها العلامة الصومعي في كتابه المعزي بمناقب أبي يعزى، ثم قال فالشيخ السخاوي رضي الله عنه أخذ هذه الطريقة بحقوقها وشروطها عن الشيخ الكامل أبي زيد عبد الرحمن بن عمر القبابي، وأخذها أبو زيد عن الشيخ المحصل الجامع للشريعة وَالحقيقة أبي الحسن علي بن عبد الكافي والكل معروف عند الأصوليين وأهل علم البيان وأئمة هذا الشأن اهـ.

وكل هذا خبط وتخليط وتهور قبيح. أما أولاً فإن هذا ليس سنداً للطريق ولا للخرقة وإنما هو سند لكتاب الحكم العطائية لمجرد الإجازة، فقد ذكره الشيخ زروق في أول شرحه السابع عشر للحكم فقال: وأما الإسناد فقد أخبرنا به إجازة شفاها الشيخ شمس الدين السخاوي سنة ست وسبعين وثمانمائة بداره بالقاهرة قال أخبرنا به إجازة من بيت المقدس الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن عمر القبابي قال أخبرنا به في جملة كتب الشيخ ابن عطاء الله شيخ الإسلام تقي الدين أبو الحسن علي ابن عبد الكافي السبكي عن مؤلفها اهـ.

وأما ثانياً فإن السخاوي لم يلق القبابي ولا رآه بعينه فضلاً عن أن يكون صحبه وأخذ عنه الطريق بشروطها وآدابها كما يقول الصومعي، وإنما استجازه له الشمس بن قمر فأجاز له من بيت المقدس وهو بالقاهرة بل لما مات القبابي كان السخاوي ابن سبع سنين لأن القبابي مات سنة ثمان وثلاثين ببيت المقدس وكانت ولادة السخاوي سنة إحدى وثلاثين، وبهذا الطريق أيضاً كان أخذ القبابي عن التقي السبكي فإن القبابي كان لما مات التقي السبكي ابن سبع سنين أيضاً لأنه ولد سنة تسع بتقديم التاء وأربعين

وسبعمائة وكانت وفاة التقي السبكي سنة ست وخمسين وإنما أجاز له إجازة عامة دخلت فيها مؤلفات ابن عطاء الله، وللرغبة في علو الإسناد يتعلق المحدثون في الرواية بمثل هذا إذ كان القبابي قد عمر وألحق الأحفاد بالأجداد وشارك الشخاوي فيه كبار شيوخه، كالحافظ وأقرانه فإنه ممن أخذ عن القبابي بالسماع وذكره في معجم شيوخه، وبسبب أخذ القبابي في صغره بالإجازة عن التقى السبكي وأقرانه علت روايته وحصلت الرغبة في الأخذ عنه للمحدثين، فأين هذا من طريق الصحبة والاقتداء بآدابها وشروطها.

وأما ثالثاً فإن الحافظ السخاوي رحمه الله ما شم لطريق الصوفية رائحة فضلاً عن الولاية فضلاً عن القطبية بل هو عدو لكثير من أهل الله كابن الفارض وابن سبعين وابن العربي وتلك الطائفة. وَله في إكفار الشيخ الأكبر ابن العربي رضي الله عنه مجلد كَبير سماه القول المبني اعتمد فيه على فتاوى علماء الظاهر أمثاله بإكفار الشيخ الأكبر وتضليله بدون ذكر علم ولا دليل، فكيف يوصف بالقطبية هو والقبابي كما يحكيه ابن حجر الهيثمي مع أنه ممن يعرف جيداً مواقف السخاوي ضد الصوفية العارفين وردود الحافظ السيوطي عليه وعلى أمثاله والانتصار لهم.

فصل

وطريق الصحبة والاقتداء للشيخ زروق رضي الله عنه هو ما أخذه عن الشيخ العارف الكبير أبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي عن أبي زكريا يحيى القادري عن سيدي علي وفا عن والده سيدي محمد وفا عن أبي سليمان داود بن عمر الباخلي عن تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله عن أبي العباس المرسي عن القطب أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهم.

فصل

فأما أخذ الشيخ زروق عن أبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي أخذ صحبة واقتداء وإرادة وتحكيم فأمر مجمع عليه بين أهل الطريق وَصرح به

الشيخ زروق نفسه، فذكر أنه اجتمع به في أوائل رجب سنة ست وسبعين بالقاهرة فصحبه سبعة أشهر أو نحوها، ثم رحل إليه في سنة ثلاث أو أربع وثمانين فصحبه نحو ثمانية أشهر أو نحوها، قال وانتفعت به فيها انتفاعاً لا يخفى وقال إنه ما لقي أعرف بالله منه ولا أكبر منه، وصدر به في أول طبقات شيوخه الذين رتبهم على سبع طبقات: الأولى العارفون أهل التمكين، الثانية العارفون أهل التلوين، الثالثة أهل السلوك من المريدين، الرابعة أهل الورع، الخامسة الزهاد، السادسة العباد، السابعة أهل النسك. ولا ينقل في كتبه إلا عنه بل أفرده بالترجمة في كتاب مستقل فيما يقال، فإنه يوجد كتاب في ترجمة أبي العباس الحضرمي لم يعرف مؤلفه ويشاع إنه للشيخ زروق.

فصل

وأما أخذ الحضرمي عن أبي زكريا القادري فمشكل من وجوه، منها أنه وجد بخط الشيخ زروق أنه سأل شيخه الحضرمي عن خرقته فقال نحن لا نعرف شيئاً من هذا، ولكن طريق أمي وسلفها تنتهي إلى الشيخ أبي مدين المغربي اهـ فقد يفهم من هذا أن الحضرمي لا شيخ له وهو مدفوع بأن السؤال إنما وقع عن الخرقة وسندها لا عن صحبة من اقتدى به وسلك على يديه أو سرى من جهة المدد فإن الشيوخ ثلاثة: شيخ التلقين، وشيخ الخرقة، وشيخ الصحبة والاقتداء. وهذا الأخير هو الذي عليه الاعتماد[1] ولا سيما عند الشاذلية، فإنهم لا يعتمدون الخرقة، بل ولا يعرفونها، كما قال الحضرمي لا سيما شيوخ المغرب، فلو سئل الجمل أو تلميذه مولاي العربي الدرقاوي، بل وشيوخ الجمل إلى المجذوب والدوار وإفحام لأجابوا بما أجاب به الحضرمي من كونهم لا يعرفون الخرقة أصلاً ولا لبسوها من يد أحد كما هو أيضاً حال شيوخنا وأشياخهم لأنهم إنما يعرفون الصحبة والاقتداء والسلوك والاجتماع الذي يصح به الانتساب ويحصل به النفع من الأعلى للأدنى.

---

(١) وينقسم إلى مربي ومرقي.

قال القسطلاني في المواهب اللدنية: وكثير من السادات يكتفي بمجرد الصحبة كالشاذلية وشيخنا أبي إسحاق المتبولي اهـ.

وقال ابن حجر الهيثمي في فهرسته: ثم إن السادات الشاذلية لا يعتبرون في طريقتهم لبس الخرقة وإنما المعول عليه عندهم الصحبة الصادقة مع الاقتداء اهـ.

وقال ابن عطاء الله في لطائف المنن سمعت شيخنا أبا العباس أحمد المرسي رضي الله عنه يقول: طريقتنا هذه لا تنسب للمشارقة ولا للمغاربة بل واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب وهو أول الأقطاب، وإنما يلزم تعيين المشايخ الذين يستند إليهم طريق الانتساب من كانت طريقته بلبس الخرقة فإنها رواية والرواية تتعين بتعيين رجال سندها، وهذه هداية، وقد يجذب الله العبد إليه فلا يجعل عليه منة لأستاذ، وقد يجمع شمله برسول الله ﷺ فيكون آخذاً عنه وكفى بهذا منة اهـ.

فصل

ومنها: أن الشيخ أبا زكريا القادري هذا غير معروف، فمنهم من جعله قادري النسب والطريقة فقال عن أبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي عن أبي زكريا يحيى عن والده أبي السعود أحمد عن والده أبي صالح نصر عن والده أبي محمد عبد الرزاق عن والده القطب الشهير مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه بسنده المعروف إلى الحسن البصري عن علي عليه السلام، نقله أبو العباس الفاسي في (المنح الصافية) عن بعض التقاييد، ثم قال: والذي يغلب على ظني أنه سقط شيء من هذا الإسناد، فإن الشيخ تاج الدين البكري الشريشي صاحب القصيدة الشريشية روى ببغداد عن أبي صالح نصر هذا. وقد توفي الشريشي سنة إحدى وأربعين أو ثلاث وأربعين وستمائة على الخلاف فيه. والشيخ أبو الحسن علي بن محمد وفا شيخ الشيخ أبي زكريا يحيى توفي سنة سبع وثمانمائة، فانظر في ذلك اهـ.

وقال أخوه أبو حامد (في مرآة المحاسن): إن التاريخ يأبى ذلك، فقد ذكر جلال الدين الكركي في كتابه (نور الحدق في لبس الخرق) أن

شيخه شمس الدين البكري لبس الخرقة من الشيخ فتح الدين المالغي سنة إحدى وعشرين وثمانمائة وهو لبسها من الشيخ صلاح الدين الفُويّ المعروف بالميقاتي، وهو لبسها من الشيخ علاء الدين علي وأخيه زين الدين عبد القادر، وهما لبساها من والدهما الشيخ شمس الدين محمد، وهو لبسها من والده الشيخ سيف الدين يحيى، وهو من والده الشيخ ظهير الدين أحمد، وهو من والده الشيخ عماد الدين أبي صالح نصر، وهو من والده تاج عبد الرزاق. وكانت وفاته سنة ثلاث وستمائة، وهو لبسها من والده الشيخ عبد القادر، فقد لبسها البكري قبل ولادة الشيخ ابن عقبة بثلاث سنين من المالقي الذي لبسها من الميقاتي الذي لبسها من حفيد الشيخ سيف. فواضح أن الشيخ سيف الدين يحيى في طبقة متقدمة لا يمكن أن يأخذ عنها الشيخ ابن عقبة، انتهى.

قلت: وهو استدلال طويل أوجبه عدم الوقوف على تاريخ وفاة أبي زكريا يحيى بن أحمد القادري الذي مات بمدينة حماه سنة أربع وثلاثين وسبعمائة، وذلك قبل ولادة ابن عقبة بتسعين سنة بتقديم التاء لأنه ولد سنة أربع وعشرين وثمانمائة ثم إنه سقط من النسب الذي ذكروه رجل، وهو محمد بن أبي صالح نصر، فالصواب أبو زكريا يحيى بن أبي السعود أحمد بن محمد بن نصر بن عبد الرزاق، كما ذكره ابن قاضي شهبة في كتابه (الإعلام بتاريخ الإسلام) والحافظ تقي الدين محمد بن رافع السلامي وغيرهما.

وقال أبو عيسى في (تحفة أهل الصديقية) وأما أحمد بن عقبة الحضرمي فقد تعدد وجدان اتصاله بالشيخ ابن وفا، فتأكد كونه شاذلي الطريقة إلا أنه في بعضه بالواسطة وفي بعضه بدونها، وإذا لم يصح دون واسطة فتتعين الواسطة وفي بعض ذلك جعل الواسطة الشيخ أبا زكريا يحيى بن أحمد القادري، ولا يبعد أن يكون ذلك وهما ويُشْبِه والله أعلم أن يكون المراد بالشيخ أبي زكريا يحيى ابن الشيخ أبي العباس أحمد أخي الشيخ أبي الحسن علي بن وفا، وهو أخذ عن والده سيدي أحمد عن والده سيدي محمد اهـ.

قلت: وهذا الذي ذكره ظنا قد صرح به جماعة تحقيقاً، فذكر (في المنح البادية في سند الطريقة الوفائية) أن العارف الشعراني أخذها عن الشيخ شاهين المتوفى سنة أربع وخمسين وتسعمائة عن أبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي عن يحيى بن أحمد الوفائي عن إمام الطريقة عمه سيدي علي.

وذكر الملا إبراهيم الكردي الكوراني في كتابه (أنباه الأنباه) بسنده إلى سيدي محمود مرداش المحمدي عن أبي العباس أحمد بن عقبة عن أبي زكريا عن أبي الحسن علي بن وفا، إلا أنه اقتصر على ذكر كنية أبي زكريا بدون وصف لا بالقادري ولا بالوفائي، لكن يشكل عليه أمور، منها أن يحيى بن أحمد الوفائي كنيته كما ذكر السخاوي (في الضوء اللامع) أبو السيادات لا أبو زكريا، إلا أن يقال: لعل أول من كناه بذلك في السلسلة لم يعرف كنيته الخاصة، فكناه بكنيته، ومنها أنه غير قادري لا نسباً ولا طريقة، بل هو إدريسي النسب، شاذلي الطريقة، إلا أن يكون اشتهر بذلك لأمر اقتضاه ويبعده كون السخاوي لم يصفه بذلك، مع اعتنائه بالأنساب والألقاب، وكونه من معاصريه وأهل بلده، ويمكن أن يكون تحريفاً من القاهري وهو أيضاً بعيد لاتفاقهم على وصفه بالقادري.

فصل

ومنها: أن الشيخ أبا العباس أحمد بن عقبة الحضرمي رحل من بلده حضرموت إلى مكة سنة ست وأربعين وثمانمائة، وأقام بها عشرين سنة كما ذكره الشيخ زروق فيكون انتقاله إلى القاهرة بعد سنة ست وستين وفي ذلك الوقت كان يحيى بن أحمد الوفائي قد مضى لوفاته نحو تسع سنين لأنه مات سنة سبع وخمسين اللهم إلا أن يكون الحضرمي رحل إلى القاهرة في حياة أبي السيادات، ثم رجع إلى مكة، وهو بعيد، أو رحل أبو السيادات إلى الحجاز وهو بعيد أيضاً، لعدم تعرض السخاوي لذلك في ترجمته وهو شديد الاعتناء بذكر رحلة المترجمين فيه إلى الحج.

فصل

ومنها أنهم اتفقوا على أن أبا زكريا القادري أخذ عن سيدي علي وفا وأبو السيادات يحيى بن أحمد الوفائي لم يصحب عمه سيدي علي ولا تأدب به في الطريق، لأن عمه مات وهو ابن تسع سنين لم يبلغ سن الصحبة والاقتداء لأنه ولد سنة ثمان وتسعين بتقديم التاء وسبعمائة، ومات عمه سيدي على سنة سبع وثمانمائة فإن كان هو المذكور في السند، فلا بد من واسطة أخيه، أبي الفتح محمد، فإنه كان تلميذاً له كما يستفاد من كلام السخاوي. إذ قال وقال بعد موت أخيه أبي الفتح مكانه، وتكلم على الناس فرزق القبول، فإنه يفيد كونه تلميذاً لأخيه حيث خلفه في مجلس التذكير، ولم يعقد ذلك في حياته كما أن أخاه أبا الفتح قام مقام عمه سيدي علي بعد وفاته، كما في ترجمته من (الضوء اللامع) لكن يعكر على هذا كون أبي الفتح تلميذ أبيه أحمد بن محمد وفا لا عمه سيدي علي والسند من طريق سيدي علي، لا من طريق أخيه أحمد، فقد ذكر السخاوي أن سيدي علياً كان يشير إلى أن مدد أبي الفتح من أبيه، ويؤيده كون الطريقة الوفائية تروى من طريق أبي الفتح عن أبيه أحمد لا عن عمه علي.

فصل

فبان من هذا أن أبا زكريا القادري هو غير يحيى بن أحمد الوفائي أبي السيادات، كما فهمه أبو عيسى الفاسي، ومن صرح به بعده فإنما اعتمد على ظنه فحققه بل هو شيخ آخر قادري النسب شاذلي الطريقة من أصحاب سيدي علي وفا أخذ عنه أبو العباس أحمد بن عقبة الحضرمي بمكة أو غيرها ولم تعرف له ترجمة والله أعلم.

فصل

وأما من يقول عن أبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي عن أبي الحسن على ابن وفا بدون واسطة أبي زكريا المذكور فقوله باطل، فإن الحضرمي ولد بعد وفاة أبي الحسن علي بن محمد وفا بنحو سبع عشرة

سنة لأنه ولد سنة أربع وعشرين وثمانمائة وتوفي سيدي علي وفا سنة سبع وثمانمائة وأبطل من هذا قول من قال عن زروق عن ابن وفا.

فصل

واتفقوا على أن سيدي علياً وفا أخذ عن والده سيدي محمد مع أنه لم يدرك من حياته إلا أربع سنين على ما يستفاد من كلام الشعراني، في تاريخ ولادته، أو ست سنين على ما يستفاد من كلام السخاوي، لكن ذكر العارف الشعراني أن سيدي محمداً وفا أوصى بمنطقته أن تخلع على ولده عند كبره، فلما خلعت عليه وقع له الفتح، وهذا يدفع الإشكال في نسبته إلى والده في الفتح، مع أنه تركه في السن المذكور، وقد وقع مثله لكثير من الأولياء، كسيدي العربي الفشتالي مع سيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله عنهما فإن الأول أوصى للثاني بقلنسوته قبل أن يولد، فقال لوالدته إنه سيولد لك ولد فإذا كبر فادفعي إليه هذه الأمانة، فلما لبسها سرى إليه المدد وحصل له حال، فكان ذلك بداية فتحه، وكذلك الشيخ بابا جرج التبريزي، مع الشيخ نجم الدين الكُبرَا كما سيأتي في سر الباس الخرقة عند العارفين.

فصل

ولأبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي طريق آخر إلى أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه فإنه أخذ عن الشيخ عبد الكبير الحضرمي، عن عمر العرابي عن عبد الرحمن الشافعي، عن ابن الميلق، عن ياقوت العرشي، عن أبي العباس المرسي عن أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهم.

فصل

وأما الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه فله طريقان: طريق إرادة وتحكيم، وطريق خرقة وتبرك، أخذها قبل أن يأخذ الأولى.

أما طريق الإرادة والتحكيم، فعن القطب الكبير أبي محمد مولانا عبد

السلام بن مشيش عن سيدي عبد الرحمن المدني العطار ويقال له الزيات، عن تقي الدين الفقير بالتصغير فيهما، عن القطب نور الدين، عن القطب تاج الدين، عن القطب شمس الدين بأرض الترك عن القطب زين الدين القزويني عن القطب أبي إسحاق البصري عن القطب أبي القاسم أحمد المرواني، عن القطب أبي محمد سعيد، عن القطب سعد عن القطب أبي محمد فتح السعود، عن القطب سعيد الغزواني عن القطب أبي محمد جابر، عن أول الأقطاب وأجل الأصحاب سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن والده باب مدينة العلم عن النبي صلى الله عليه وسلم ويتعلق بهذا السند مباحث.

الأول: اختلف في هذا السند هل هو من أخذ الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو من أخذه عن والده علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره ابن مغيزل (في الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء بسيد الدنيا والآخرة) وابن عسكر في (دوحة الناشر في أخبار أهل القرن العاشر) وأبو حامد العربي الفاسي (في مرآة المحاسن بإخبار أبي المحاسن) وأبو علي اليوسي وأبو سالم العياشي وأبو العباس أحمد بن العربي ابن الحاج، والشهاب أحمد بن العجمي وأبو الحسن البوتيجي والشمس البديري الستة في إثباتهم والملا إبراهيم الكردي والكوراني في (أنباه الأنباه) بتحقيق إعراب كلمة لا إله إلا الله، وابن عياد (في المفاخر العلية) والصومعي (في المعزى في أخبار أبي يعزى) وأبو محمد القادري (في المقصد الأحمد) في أخبار سيدي أحمد بن عبد الله وأبو عيسى المهدي الفاسي في (تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطريقة الجزولية والزورقية) وأبو الصلاح علي بن محمد الصعيدي (في تعطير الأنفاس بمناقب أبي العباس) وأبو علي ابن رحال المعداني (في الروض اليانع الفايح في مناقب أبي عبد الله محمد الصالح) وأبو عبد الله السنوسي (في السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين) وغيرهن إلى الحسن بن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ويؤيده، قول أبي العباس المرسي، كما ذكره تلميذه ابن عطاء الله في طريقة الشاذلي رضي الله عنهم أنها تنسب إلى الشيخ عبد السلام بن

مشيش، والشيخ عبد السلام ينسب إلى الشيخ عبد الرحمن المدني، ثم واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

وسمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول: طريقنا هذه لا تنسب للمشارقة ولا للمغاربة بل واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب وهو أول الأقطاب اهـ.

وذكره جماعة منهم الشيخ زروق فيما نقله عنه ابن حجر الهيثمي في (فهرسته) وابن عطية السلاوي (في سلسلة الأنوار) والشيخ عبد السلام بن سليم الأسمر (في نصيحة المريدين) وأبو العباس أحمد بن أبي المحاسن الفاسي (في المنح الصافية في الأسانيد اليوسفية) وأبو العباس أحمد بن عجيبة في (فهرسته)، وشرحه على الحكم، وأبو عبد الله الحراق في شرحه عليها أيضاً، وأبو محمد الكوهن في (فهرسته)، والشيخ الفاسي المكي (في الفتوحات الربانية) وتلميذه العلامة السندي في ترجمته، وآخرون يطول عدهم بزيادة ذكر علي عليه السلام.

ويؤيده كون جميع الطرق تنتهي إليه، إلا ما لا يصح سنده، وكان من طريق الاتصال الروحاني وكونه أول من تكلم في التصوف ومعارف القوم، كما سيأتي بسطه.

وذكر بعضهم أنها تروى من الطريقين من جهة الحسن عن النبي ﷺ ومن جهته عن علي لأن الحسن كان أول فتحه ومدده من يد النبي ﷺ ثم صحب واقتدى بوالده عليه السلام، كما وقع لكثير من أهل الله تعالى، حصل لهم الفتح من يده ﷺ مباشرة، برؤيا منامية أو اجتماع روحاني، ثم صحبوا بعد ذلك الشيوخ للسلوك والتهذيب، أو انتسبوا إليهم للأدب مع الشريعة والركون إلى الواسطة.

وذكر بعضهم أن الحسن ورث القطبية من والدته سيدة نساء أهل الجنة ﷺ وهي أول الأقطاب على الإطلاق، وكل هذا صحيح فإنهم بيت النبوة، ومنبع المعارف والكمالات والأسرار، وقد ألبسهم النبي ﷺ جميعاً بكسائه الشريف، وسقاهم بمدده العظيم، وشملهم بنوره الفخيم، فحازوا منه ﷺ أعلى مراتب الولاية، وأقصى ما يصله البشر من درجات العرفان.

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فألقى عليهم ثوباً فقال (اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنه الرجس وطهرهم تطهيراً) فدنوت منه فقلت يا رسول الله وأنا من أهل بيتك فقال: تنحى فإنك على خير.

رواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة وأحمد ومسلم وابن جرير وابن أبي حاتم واللفظ له، والحاكم والبيهقي في الدلائل والشعب، وغيرهم باختلاف يسير.

ورواه الترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه على شرط الشيخين وابن مردويه من طرق عن أم سلمة رضي الله عنها قالت هذه الآية نزلت في بيتي ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وفي البيت علي وفاطمة والحسن والحسين فجللهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فقلت: أنا معهم يا رسول الله، فقال إنك على خير أنت من أزواج رسول الله ﷺ، فالسر في هذا الإلباس الذي منع أن يدخل معهم فيه غيرهم، هو سريان المدد إلا لاهي الفايض فيه ﷺ منه إليهم بواسطة ذلك الثوب كما سيأتي بيانه في الكلام على سر الباس الخرقة عند العارفين وإلا فلا معنى لإلباسهم الثوب عند الدعاء بالتطهير، فإن دعاءه ﷺ مستجاب، والإلباس لا تعلق له به، لولا إرادة المعنى الذي يقوله الصوفية العارفون رضي الله تعالى عنهم فإنه لا يحتمل غيره بلا شك، والله أعلم.

الثاني: كون الراوي عن الحسن عليه السلام هو أبو محمد جابر غير مذكور والده ولا نسبته هو كذلك عند جميع من أورد هذا السند، إلا أبا علي بن رحال فإنه قال في (الروض اليانع الفايح) أنه جابر بن زيد وهو بعيد أو باطل لأن جابر بن زيد بصري بعيد عن أهل البيت بل ناصبي مبغض لهم وإن نقلوا عنه التبري من ذلك فإن الإباضية[1] كلهم ينتسبون إليه وهو

---

(١) بكسر الهمزة، نسبة إلى عبد الله بن إباض، بالكسر، وهم طائفة من الخوارج، يدينون ببغض علي وأهل بيته عليهم السلام.

إمامهم ومفخرتهم وعليه يعتمدون في مذهبهم، ومن جهته يسندون أحاديث فروعهم، بل لا يكادون يروون إلا عنه كما يعلم من مسند الربيع بن حبيب الإباضي ومع هذا فلم أر من ذكر روايته عن الحسن عليه السلام، إلا الصومعي التادلي[1] فإنه صرح في (المعزى) بأنه جابر بن عبد الله الأنصاري وهذا هو الأقرب، بل المتعين، فقد أسند الخرقة جماعة من جهته رضي الله عنه، كما سيأتي، والآخذ عنه سعيد الغزواني بالغين المعجمة بعدها زاي منقوطة، كما عند الأكثر: وعند القشاشي في (السمط) والفاسي (في الفتوحات) سعيد القيرواني بالقاف بعدها ياء ثم راء مهملة نسبة إلى القيروان وقال بعضهم سعيد القزويني، نسبة إلى قزوين، وقال بعضهم المغرواني بالميم بعدها غين معجمة ثم راء مهملة ثم واو نسبة إلى مغروان.

والآخذ عنه فتح السعود فيما ذكره الأكثرون بغير ياء النسبة وذكره الصومعي وابن عسكر والكوراني والقادري وابن العجمي والعياشي والبديري والفاسي في (التحفة) بزيادة ياء النسبة، وذكره القشاشي واليوسي والبتنوني (في السر الصفي) مثله أيضاً مع زيادة الميم في أوله وأغرب ابن الحاج، فقال في (برنامجه) فخر السعود والآخذ عنه سعد بغير ياء، والآخذ عنه سعيد بزيادتها عند الأكثرين، وعكس بعضهم وحذف بعضهم سعيداً، والآخذ عنه أبو القاسم أحمد المرواني فيما عند الجميع، إلا العارف الفاسي المكي فإنه قال أبو القاسم بن مروان وتبعه تلميذه السندي (في ترجمته) والآخذ عنه أبو إسحاق إبراهيم البصري، في قول الجميع والآخذ عنه زين الدين القزويني، وسماه جمع كابن حجر والقشاشي محمود، وسماه بعضهم محمداً، والآخذ عنه شمس الدين، سماه الجميع محمد، وزاد بعضهم وصفه بالمعداني المقيم بأرض الترك والآخذ عنه تاج الدين محمد، والآخذ عنه نور الدين أبو الحسن علي والآخذ عنه فخر الدين اسمه محمد أيضاً، والآخذ عنه تقي الدين الفقير اسمه عبد الرحمن

---

(١) نسبة إلى تادلة، قبيلة من قبائل البربر بمراكش مثل صنهاجة، وغيرها، وقد أنجبت هذه القبائل علماء وأولياء كثيرين.

النهروندي نسبة إلى نهروند من قرى واسط بالعراق، والآخذ عنه عبد الرحمن المدني اسم والده الحسين فيما ذكره جماعة، وسمي البديري والده محمداً وزاد اسم جده عبد الرحمن أيضاً فالله أعلم.

ووقع في هذه الأسماء اختلاف كثير بالزيادة والنقص والتقديم والتأخير بسبب تحريف الناقلين والذي صححه جماعة كأبي العباس الفاسي في (المنح الصافية) وأبي محمد عبد السلام بن الطيب القادري (في المقصد الأحمد) هو ما ذكرناه.

(الثالث) هؤلاء الرجال لا يعرف لأحد منهم عين ولا حال إلا عبد الرحمن المدني العطار، فإنه معروف العين بأخذ القطب ابن مشيش عنه وتصريحه بأنه كان يأتيه من المدينة المنورة طياً للتربية والتسليك، كما نقله عنه تلميذه أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنهما، والباقون قد بحثنا عنهم كثيراً نحن ومن قبلنا فلم نجد من ذكرهم ولا بعضهم.

قال: أبو العباس الفاسي في (المنح الصافية) لست أعرف من هؤلاء الشيوخ الذين بين الإمام الحسن والشيخ عبد الرحمن المدني واحداً، وإنما ذكرتهم تقليد للفروضي، ثم هذه الطريق، والله أعلم، هي التي عنى قطب زمانه تاج الدين أبو الفضل أحمد بن عطاء الله رضي الله عنه فيما قدمنا عنه والله أعلم بالصواب.

وقال أبو عيسى (في التحفة) رجال السند المذكور غالبهم لا يعرفون، كما أشار إليه صاحب (النبذة) وكذا صاحب (داعي الفلاح) اهـ وهو محمد زين العابدين بن محمد المعروف بسبط المرصفي المتوفى سنة خمس وخمسين وتسعمائة.

ومن أجل هذا لم يجزم بها أبو حامد الفاسي في (مرآة المحاسن) فقال بعد حكاية قول الشيخ أبي العباس المرسي رضي الله عنه طريقتنا لا تنسب للمشارقة ولا للمغاربة وإنما هي واحد عن واحد إلى الحسن بن علي عليه السلام ما نصه: فقد أثبت الشيخ أبو العباس وجود السلسلة متصلة فمن وافقها نقلاً فذاك الآخذ والانتساب ومن لنا بالموافقة، قال شيخنا الإمام أبو عبد الله القصار ولا يلزم من الآخذ الانتساب فإن الإنسان يأخذ عن

شيوخ كثيرة، وينتسب لواحد، ولا علم لنا لمن ينتسب سيدي عبد الرحمن المدني ولو تحققنا أخذه عن معين واحد أو أكثر اهـ.

قلت: قد ذكر بعضهم أنه أخذ عن أبي العباس أحمد الرفاعي وعن أبي أحمد جعفر بن عبد الله بن سيدبونه الخزاعي الأندلسي، وعن أبي زيد عبد الرحمن التنائري وأبعد بعضهم فقال إنه أخذ عن الشاشي، كما سيأتي.

ونقل أبو زيد الفاسي في (ابتهاج القلوب لمناقب أبي المحاسن الفاسي وشيخه المجذوب) عن المواهبي أن المذكورين كلهم أشراف وهذا يقتضي معرفته بهم ولعله أخذ ذلك من قولهم في طريقة أبي الحسن الشاذلي إنها طريقة الأشراف.

ثم إن الشيخ العارف أبا عبد الله محمد بن مسعود الفاسي المكي وصف رجال السند المذكورين في كتابه (الفتوحات الربانية) بما فيه بعض تعريف بالمقام، إلا أنه أتى بما يستحق أن يوصف به كل عارف بالله تعالى.

فقال: وأما سيدي عبد السلام فأخذ عن سيدي وأستاذه بحر العلوم وترجمان لسان أهل العوارف القطب الرباني والغوث الصمداني الشريف سيدي عبد الرحمن المدني العطار الملقب بالزيات لسكناه بحارة الزياتين بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام، كان رضي الله عنه من أكابر أولياء الله تعالى وكان من رجال الغيب وكان غوثاً كاملاً فرداً جامعاً أتى إلى مولانا عبد السلام بن مشيش لما وقع الجذب وهو ابن سبع سنين فدخل عليه وهو عليه سيمة أهل الله، فقال له: أنا شيخك وأخبره عن أموره وأحواله ومقاماته مقاماً مقاماً، وقال له أنا واسطتك في كل حال وكل مقام، وقد سئل بعد ذلك سيدي عبد السلام بن مشيش هل كنت تأتيه أو يأتيك فقال؛ كل ذلك قد كان، فقيل له طياً أو نشراً قال طياً.

وهو أخذه عن سيده وأستاذه القطب الرباني العارف بالله الصمداني شيخ مشايخ أهل المشارق والمغارب وسند الواصلين إلى أنجح المطالب، وأقصى المشارب، غوث الزمان ووسيلة أهل العرفان من أقامه الله في

جميع أحواله ميسراً، القطب تقي الدين الفُقير بالتصغير سمى نفسه بذلك تواضعاً، كان رضى الله عنه من أكابر العارفين بالله وكان راسخ القدم في المعرفة بأحكام الله، والتنزلات الإلهية بأوامر الله.

وهو أخذ عن سيده وأستاذه الغوث اللامع والفرد الجامع القطب الذي لا يشاركه أحد في مقامه، ولم يدانيه أحد من أهل وقته وأوانه، بحر العلوم الدافقة، وأمام أهل الطريقة والحقيقة سيدي فخر الدين كان من المشايخ المربين ومن الأقطاب المتصرفين رضي الله عنه.

وهو أخذ عن القطب الرباني والعارف الصمداني الغوث الجامع والبرهان الساطع نور الدين أبي الحسن، كان رضي الله عنه عارفاً محققاً جامعاً لأسرار الحقيقة محتوياً على دقائق الطريقة، وكان من أكابر العارفين ومن أهل الوجد والتمكين.

وهو أخذ عن قطب الوجود وإنسان عين الشهود الغوث الجامع الفرد سيدي تاج الدين، كان من أكابر أولياء الله الدالين على الله بالله.

وهو أخذ عن القطب شمس الدين بأرض الترك كان إمام أهل العرفان وموصل المريدين إلى الله وكان من أكابر العارفين الواصلين المحققين الجامعين بين الشريعة والحقيقة والطريقة.

وهو أخذ عن قطب الوجود وغوث يستمد منه كل موجود، الشيخ زين الدين القزويني، كان أوحد أهل زمانه علماً وعملاً وزهداً وورعاً وكان إمام المتقين وحامل راية العارفين.

وهو أخذ عن قطب الأولياء سيدي إبراهيم البصري غوث الأصفياء رضي الله عنه.

وهو أخذ عن القطب أبي القاسم بن مروان، كان رضي الله عنه من أهل التمكين والرسوخ في اليقين وكان غوثاً جامعاً لأسرار الحقيقة والشريعة وهو أخذ عن أبي محمد سعيد، كان رضي الله عنه قطباً عارفاً محققاً جامعاً.

وهو أخذ عن أبي محمد فتح السعود كان رضي الله عنه قطباً وارثاً

تلقى عن أكابر السلف الصالح وتابع التابعين، وهو أخذ عن القطب سيدي سعيد القيرواني كان رضي الله عنه من أكابر أولياء الله وكان قطباً وارثاً لأسرار أستاذه التابعي الجابر أبي محمد جابر وأما البحر الذخار من كان للمساكين جابر سيدي أبو محمد جابر فورث القطبانية الكبرى والخلافة الأخرى عن أول أقطاب هذه الأمة وسراج الظلمة وسيد شباب أهل الجنة سبط الرسول وابن سيدتنا فاطمة البتول بنت الرسول سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أخذه عن والده سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام وهو عن رسول الله ﷺ وسيدنا ومولانا محمد ﷺ عن جبريل عليه السلام عن الله عز وجل.

وهذه سلسلة الذهب لأنها مسلسلة بالأقطاب ومعنعنة بالأوتاد والأنجاب اهـ.

قلت: ولعل الشيخ الفاسي رضي الله عنه عرف مقامات هؤلاء الرجال من طريق الكشف فقد قال في كلامه على الديوان وإنه خاص بهذه الأمة دون غيرها من الأمم ما نصه: وقد أعطانا الله الكشف والعلم الإلهي. إن أولياء الأمم الماضية ولايتهم تنقطع بموتهم، وموت أنبيائهم **وأما أولياء هذه الأمة المحمدية فلا تنقطع** ولايتهم إلى يوم القيامة **لوجود بقاء شريعتهم، فكما أنه لا انقطاع لشريعتهم، كذلك لا انقطاع لولايتهم** اهـ ويؤيده ما في (لطائف المنن) لتاج الدين ابن عطاء الله رضي الله عنه عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي، أنه قال في تلميذه أبي العباس المرسي رضي الله عنهما، والله ما من ولي كان أو هو كائن إلا وقد أظهره الله عليه، وفيه عن أبي العباس المرسي نفسه أنه كان يقول: والله الذي لا إله إلا هو ما من ولي لله كان أو هو كائن إلا وقد أطلعني الله عليه وعلى اسمه ونسبه، وكم حظه من الله تعالى اهـ فلا يبعد أن يكون الشيخ الفاسي منح هذا المقام أيضاً والله أعلم.

(الرابع) هذا السند أول من ذكره تقي الدين أبو عبد الله محمد الإسكندري سبط أبي الحسن الشاذلي على ما قيل في كتابه (النبذة المفيدة) وفي كتابه (شفاء الغليل ودواء العليل) وَهو ممن أدرك أصحاب أبي العباس

المرسي رضي الله عنه فقال في النبذة بعد ذكره قول أبي العباس المرسي رضي الله عنه في هذه الطريقة إنها متصلة بأخذ واحد عن واحد إلى الحسن بن علي عليه السلام ما نصه فلما اطلعت على هذا الكلام أمعنت الفحص عن معرفة بقية هذا الطريق فلم أجد سوى أن الشيخ أبا محمد عبد الرحمن المدني عن عارف وقته الشيخ تقي الدين الفقير الذي لقب نفسه بتقي الفقير بالتصغير فيهما وذلك من أرض العراق وهو عن القطب فخر الدين فذكر السند، ثم قال: واعلم أني ظفرت بهذه السلسلة واتصالها بعد الفحص الكبير وجدتها منقولة عن الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله صاحب الشيخ أبي العباس المرسي ومطابقة لقول المرسي أن طريق المدني متصلة بالأقطاب ففي هذا إشعار بصحة هذا الطريق واتصال سلسلتها وإن كنت لم أجزم فيها إلا بالشيخ الشاذلي وبشيخه ابن مشيش وشيخه المدني ثم بالحسن بن علي بن أبي طالب فمجموعها على قسمين، منها ما هو قطعي ومنها ما هو ظني، وأما قولهم فلان الدين ولم تذكر له شهرة فحيث وجدت ذلك هنا فاعلم أني نقلته كذلك فحكيته على ما وجدته اهـ.

وقال القادري في (المقصد الأحمد) ذكر هذا السند الإمام تقي الدين أبو عبد الله محمد الإسكندري سبط أبي الحسن الشاذلي في كتابه (شفاء الغليل ودواء العليل) مسلسلاً بصحب واقتدى ونقله عنه الشيخ إبراهيم المواهبي وكذلك الشيخ سليمان ابن محيي الدين الذاكر المدني في تأليف له في الأسانيد رأيته بخطه ورأيته (في النبذة المفيدة) لسبط الشاذلي أيضاً مسلسلاً بالصحبة والاقتداء وذكره كذلك الشيخ أبو عبد الله محمد زين العابدين سبط المرصفي في كتابه (داعي الفلاح إلى سبيل النجاح) وذكره الشيخ أبو عبد الله الفروصني في كتابه (الأسلوب الغريب في التعلق بالحبيب) والفقيه أبو عبد الله بن عسكر في (دوحة الناشر) وغيرهم، وقال الشيخ سيدي إبراهيم المواهبي إنه طريقة مشهورة وقال في النبذة أنه وجده منقولاً عن الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رضي الله عنه، وقال الشيخ أبو العباس الفاسي ذكر غير واحده أنه وجد بخط ابن عطاء الله اهـ.

وقال: أبو عيسى الفاسي في (تحفة أهل الصديقية) بعد نقله قول أبي

العباس المرسي: والله الذي لا إله إلا هو ما من ولي كان، أو هو كائن، إلا وقد اطلعني الله عليه وعلى اسمه ونسبه وكم حظه من الله تعالى، ما نصه: فالرجال المنقولون عن ابن عطاء الله، لا يبعد أن يكونوا من كشفه ويكون ورث هذا الحال من شيخه من الإطلاع على الأولياء الماضيين ونسبهم المعنوي، أو يكون ذلك من كشف شيخه أو شيخ شيخه، إلا أن الأقرب الأول، إذ لو كان عنده عن شيخه أو شيخ شيخه لنسبه إليه إلا أن يكون نسبه إليه وأسقطه الناقل عنه وقول الشيخ أبي العباس المرسي رضي الله عنه طريقتهم متصلة بالأقطاب معنعنة برجل عن رجل إلى الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم يؤذن بمعرفته لرجالها إن لم يكن من جهة النقل فمن جهة الكشف، والأقرب في معرفة اتصال القطبانية الكشف، وإذا كان كذلك فلا يذكر لكل واحد إلا الذي ولده في سماء الروحانية ومن هو منبع مدده وأصل حقيقته الذي بثها فيه، ولقنه إياها، غيباً عن مخالطة أو دونها، لا الذي رباه بعد ذلك أو أفاده أمراً والله أعلم اهـ.

(الخامس) ذكر بعضهم أن تقي الدين الفقير أخذ أيضاً عن العارف الشهير سيدي أحمد الرفاعي الواسطي وله في الطريق سندان أحدهما عن أبي الفضل علي القاري الواسطي عن أبي الفضل بن كافح عن غلام تركان عن أبي علي الروذباري عن علي العجمي عن أبي بكر الشبلي عن أبي القاسم الجنيد بسنده الآتي.

وثانيهما عن خاله الشيخ منصور البطايحي المعروف بالباز الأشهب عن خاله أبي منصور الطيب عن عمه أبي سعد يحيى البخاري الواسطي الأنصاري عن أبي القرندي أو القرمزي عن أبي القاسم السندوسي الكبير عن رويم البغدادي عن الجنيد بسنده الآتي.

وذكر بعضهم أن سيدي عبد الرحمن المدني العطار أخذ أيضاً عن الرفاعي بدون واسطة الفقير، وعن العارف أبي أحمد جعفر بن عبد الله بن سيدبونة الخزاعي الأندلسي، عن القطب الغوث أبي مدين شعيب بن الحسن القطنياني الأندلسي، بسنديه الاثنين.

وفي مشيخة الشهاب أحمد بن العجمي أن المدني أخذ عن الشاشي

عن أبي سعيد المغربي عن أبي يعقوب النهرجوري عن الجنيد أسند ذلك ابن العجمي من طريق بني وفا فقال أخذت طريق السادات الوفائية الشاذلية عن أستاذ الأستاذين جمال الإسلام والمسلمين أبي الأسعاد يوسف بن الأستاذ أبي العطا عبد الرزاق بن وفا وعن أخيه الأستاذ الكبير أبي المكارم عبد الفتاح، ولبست منهما الخرفة الشاذلية وصحبتهما مدة مديدة، وتلقنت منهما وهما تلقنا من عمهما الأستاذ أبي الفضل محمد عن والده الأستاذ أبي المكارم إبراهيم عن والده الأستاذ محمد أبي الفضل المجذوب عن والده الأستاذ أبي المراحم محمد عن والده الأستاذ أبي الفضل عبد الرحمن الشهيد عن والده الشهاب أحمد أخي سيدي علي عن والدهما الأستاذ الكبير أبي الفضل وأبي التداني محمد وفا عن سيدي داود بن باخلا مؤلف (عيون الحقائق) وشارح حزب البحر، عن الأستاذ الكبير سيدي تاج الدين ابن عطاء الله السكندري عن الأستاذ الكبير أبي العباس المرسي عن القطب الرباني الأستاذ الشريف أبي الحسن الشاذلي عن الشريف عبد السلام بن مشيش عن الشريف أبي محمد عبد الرحمن العطار الحسني الإدريسي عن الشاشي فذكره، وهو منقطع من المدني فما فوق لبعد ما بين الرجال المذكورين فيه في الولادة والوفاة، ثم الصواب في أبي سعيد المغربي: أنه ابن الأعرابي فيما يظهر لأنه الذي يمكن أخذه عن أبي يعقوب النهرجوري ولكن بينه وبين الشاشي مدة وكذا بين الشاشي والمدني.

وقد ذكر هذا السند أيضاً أبو الصلاح علي بن محسن الصعيدي في «تعطير الأنفاس بمناقب أبي العباس» فزاد فيه أبا مدين التلمساني بين المدني والشاشي أسنده أيضاً من جهة بني وفا. فقال: لبست الخرقة الوفائية الشاذلية من سيدنا ومولانا أبي الإرشاد يوسف بن وفا، وهو لبسها من عمه سيدي أبي المكارم عبد الفتاح بسنده السابق عند ابن العجمي، ومع ذلك فلا يصح أيضاً لأن أبا مدين ولد بعد وفاة الشاشي بنحو العامين ثم بين ولادة الشاشي ووفاة أبي سعيد نحو سبع وسبعين سنة ثم بعد هذا وجدته في (ابتهاج القلوب) نقلاً عن الملا إبراهيم الكوراني على الصواب وهو أن أبا مدين أخذ عن أبي بكر الطرطوشي عن الشاشي عن أبي غالب سالم المغربي عن أبي عمرو الزجاجي وأبي يعقوب النهرجوري فصح

الاتصال وارتفع الانقطاع ثم وجدته عند الكوراني في (إنباه الأنباه بتحقيق إعراب كلمة لا إله إلا الله).

وذكر جماعة: أن عبد الرحمن المدني أخذ أيضاً عن أبي زيد عبد الرحمن الثنائري وضبطه الشبراوي في (تنوير الصدر) بكسر التاء وأغرب أحمد بن العربي بن الحاج فقال (في فهرسته) عبد الرحمن التازي نسبه إلى المدينة المعروفة بالمغرب وهو عن ابن بكر الشبلي، عن الجنيد ونظمه الأمير على طريق التوسل فقال أثناء القصيدة:

بجنيدهم شبليهم يا ربنا ... خلص عبيدك من قيود عقاله
بتناريهم المعظم قدره ... مولاي عبد الله قطب رجاله
وبعبد رحمن هو المدني من ... قطع المفاوز فاحتظى بوصاله

إلى آخر القصيدة، وهو واضح البطلان فإن الشبلي مات سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة فكيف يدركه شيخ المدني الذي كان في القرن السادس، ثم هو مجهول لا تعرف له ترجمة مع الاختلاف في اسمه فبعضهم يقول عبد الرحمن وبعضهم يقول عبد الله، ومع هذا فقد ذكره جماعة من المتأخرين لا سيما الذين يسندون الطريقة الجزولية كالشريف العلمي في (الأنيس المطرب) والطاهري في (تحفة لإخوان بمناقب شرفاء وزان) ومحمد بن حمزة المكناسي في (الكوكب الأسعد) وأحمد بن العربي بن الحاج في (برنامجه) وعمر الشبراوي في (تنوير الصدر بشرح حزب البحر) والأمير الكبير في نظمه كما سبق ونقله عنه بعد تلامذته في (الحديقة الندية في مبنى الطريقة المحمدية) والعدوى في (النفحات الشاذلية) والبديري في (الجواهر الغوالي) وزاد في الطنبور نغمة، فقال: عن المدني عن أبي بكر الشبلي بدون واسطة الثنائري مع أن بطلان هذا يدركه بالبداهة ذوو النباهة فضلاً عن أهل العلم لا سيما وبعدهم يعبر بصحب واقتدى في الجميع وهو تهور قبيح.

وذكر بعضهم أن القطب ابن مشيش أخذ عن أبي العباس السبتي عن أبي محمد صالح عن أبي مدين بأسانيده.

وقيل: إنه أخذ عن أبي أحمد جعفر بن عبد الله بن أحمد بن سيدبونه عن أبي مدين.

وقيل: أخذ عن أبي مدين بدون واسطة والتاريخ يقبل جميع هذا إن ثبت في طريق النقل.

وذكر الوتري في (روضة الناظرين) أنه أخذ أيضاً عن شمس الدين برى العراقي عن الشيخ علي بن نعيم البغدادي عن أبي العباس أحمد الرفاعي بإسناديه السابقين والغالب على الظن عدم صحة هذا لأمور: منها أن القطب ابن مشيش لم يترجم له أحد بل ولا عرف إلا من جهة تلميذه أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأصحابه وهم لم يذكروا هذا ولا عرجوا عليه، ومنها أن ابن مشيش فيما يظهر من حاله لم يرحل إلى خارج المغرب ولا إلى الحجاز لأداء فريضة الحج فضلاً عن العراق حتى يأخذ عن شمس الدين برى العراقي ولو رحل لذكره العراقيون واشتهر كما ذكروا غيره من الغرباء ولذكره تلميذه أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه فيما ذكر من بعض أحواله والله أعلم.

ومن هذا القبيل ما يذكرونه من أخذ سيدي أحمد البدوي وسيدي إبراهيم الدسوقي عن القطب ابن مشيش والثاني باطل جزماً لأن الدسوقي ولد بعد وفاة ابن مشيش رضي الله عنه والبدوي خرج به أهله من فاس صغيراً، وابن مشيش في جبل العَلَم بعيداً عن فاس غير مشهور ولا متداول الذكر بين الناس فالله تعالى أعلم.

فصل

وأما طريق الخرقة لأبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه فعن أبي عبد الله محمد بن علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم الأموي العثماني دفين أحواز فاس المعروف عند العامة بسيدي حرازم السخونات عن أبي محمد صالح بن نيصارن بن عقيان اللكالي نزيل مدينة أسَفِي ودفينها عن أبي مدين شعيب بن الحسن الْقَطَيْتَاني الأندلسي دفين العباد قرب تلمسان وقيل عن أبي محمد عبد الرزاق الجزولي دفين الإسكندرية

عن أبي مدين عن أبي يعزى تِلَنُّور بن موسى بن عبد الله الهزميري وقيل في اسم والده غير ما ذكر عن أبي شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي الزموري المعروف بالسارية عن أبي ينور عبد الله بن وكريس الدكالي المشترائي عن أبي محمد عبد الجليل بن وايجدا بواو مفتوحة وألف وياء ساكنة وجيم ودال مفتوحتين وقيل ويجلان الدكالي نزيل أغْمَاتَ عن أبي الفضل عبد الله بن الحسين بن بشرى الجوهري عن والده عن أبي الحسين أحمد بن محمد القوري رفيق الجنيد عن السري السقطي عن معروف الكرخي عن داود الطائي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله.

وأخذ معروف الكرخي أيضاً عن علي بن موسى الرضي عن أبيه موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله.

وقد وقع اختلاف في مواضع من هذا السند.

(الأول) في أخذ أبي محمد صالح هل عن أبي مدين مباشرة أو عن تلميذه أبي محمد عبد الرزاق الجزولي فبعضهم يقول عنه عن أبي مدين وبعضهم يقول عنه عن عبد الرزاق الجزولي عن أبي مدين، وقيل: إنه أخذ أولاً عن الشيخ عبد الرزاق ثم اجتمع ثانياً بشيخه أبي مدين فيكون كلا القولين صحيحاً ويكون أخذه عن عبد الرزاق من قبيل المزيد في متصل الأسانيد.

قال أبو العباس الفاسي في (المنح الصافية) بعد إيراد هذا السند من رواية أبي محمد صالح عن أبي مدين هكذا جعل الفروصنى أبا محمد صالح تلميذاً لأبي مدين ونحوه عن الشيخ أبي العباس الخطيب المعروف بابن قنفذ فقال في كتابه (أنس الفقير وعز الحقير) عندما ترجم له: ومن أصحاب الشيخ أبي مدين رضي الله عنه الشيخ الشهير أبو محمد صالح بن نيصارن وشيخه عبد الرزاق الجزولي وعبد الرزاق هذا رفيع القدر وقبره قرب الإسكندرية يتبرك به وهو من كبار تلامذة الشيخ أبي مدين ولازمه مدة طويلة ثم قال بعد هذا بأوراق: وشيخه أبو محمد عبد الرزاق الجزولي من كبار تلامذة الشيخ أبي مدين وقبره قرب الإسكندرية ثم قال وذكره أيضاً

يعني التادلي حين ذكر عبد الرزاق الجزولي فقال: وهو شيخ العبد الصالح أبي محمد صالح. وهو حي الآن قال ابن قنفذ وأخبرني غير واحد أن الشيخ أبا محمد صالح لقي الشيخ أبا مدين رضي الله عنهما وأخذ عنه وهذا والله أعلم صحيح لأنه كان معاصراً له ثم استدل على ذلك بما حاصله: أن أبا العباس أحمد الغبريني صاحب (عنوان الدراية) ذكر أنه أخذ التصوف عن أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم السجلماسي عن أبي محمد صالح عن أبي مدين وإنه أيضاً وقف على مجموع بخط أبي محمد صالح وتاريخه سنة أربع وثمانين وخمسمائة والشيخ أبو مدين وقتئذ ببلاد إفريقية وبعده استقر ببجاية هـ. ولما ترجم التادلي للشيخ عبد الرزاق هذا قال ما نصه: ومنهم أبو محمد عبد الرزاق الجزولي تلميذ أبي مدين استقر أخيراً بالإسكندرية وبها مات وكان من كبار المشايخ انتهى محل الحاجة، قال أبو العباس الفاسي: وما ذكره ابن قنفذ عنه في ترجمة الشيخ عبد الرزاق لم أجده فيه في عدة نسخ ولعله وقع في نسخته وإنما وجدت فيه أنه حدث عن الشيخ عبد الرزاق بواسطة أبي محمد صالح مرتين، قال في إحداهما: سمعت عبد النور يقول سمعت الشيخ أبا محمد صالح يقول غير مرة: اغتم شيخنا أبو محمد عبد الرزاق من أمر كان بينه وبين زوجته فذكر حكاية طويلة هـ.

قلت: وكأن النسخ التي وقعت بيد أبي العباس الفاسي كان بها نقص أو كان بصره ينبو عن رؤية الترجمة بها وإلا فالموضع الذي حدث فيه التادلي عن الشيخ عبد الرزاق بواسطة أبي محمد صالح هو في ترجمة الشيخ عبد الرزاق، بل لم يذكر في ترجمته إلا تلك الحكايتين بعد قوله: ومنهم الشيخ أبو محمد عبد الرزاق الجزولي تلميذ أبي مدين استقر أخيراً بالإسكندرية وبها مات وكان من كبار المشايخ ثم ذكر الحكايتين.

وقد نقل كلام ابن قنفذ هذا بتمامه صاحب (المعزى في مناقب أبي يعزى) وفيه أن الشيخ الإسكندري نقل عن تاج الدين أبي العباس أحمد بن الميلق الإسكندري صاحب الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله أنه سئل عن الجمع بين الاختلافات هنا فقال: صحب الشيخ أبو محمد صالح الشيخ عبد

الرزاق في حياة الشيخ أبي مدين فرأى الشيخ عبد الرزاق من طريق الكشف أنه من أصحاب شيخه أبي مدين فتوجه إليه وصحبه واقتدى به إلى حين وفاته، قلت: لما أتى الشيخ أبو محمد صالح مجلس الشيخ عبد الرزاق فسأله واختبره وجده في حالة أقوى منه فقال له: يا بني إنك صاحب همة عالية، ولا يليق بتربيتك إلا شيخنا أبو مدين فتوجه إليه ونحن شركاء في الخير فإنتفع بصحبتهما معاً وكان يقول لكل واحد منهما شيخي هـ.

الثاني: في زيادة أبي ينور عبد الله بن وكريس بين أبي شعيب وعبد الجليل ابن ويجلان فقد بحث في ذلك أبو حامد الفاسي فقال في (مرآة المحاسن): قال أبو يعقوب التادلي في كتاب (التشوف): أبو محمد عبد الجليل بن ويجلان دكالي الأصل ونزل أغْمَات وبها مات شهيداً سنة إحدى وأربعين وخمسمائة كبير الشأن من أهل العلم والعمل رحل إلى المشرق فلقي به شيخاً من الصوفية فأخذ عنه هذا الشأن شيخاً عن شيخ بالسند المتصل إلى أبي ذر الغفاري صاحب النبيﷺ اهـ. وهذا السند المشار إليه غير السند المذكور هنا والله أعلم قال: والزمان والمكان صالحان لأخذ الشيخ أبي شعيب عن الشيخ أبي محمد عبد الجليل دون واسطة لكني لم أجده إلا بواسطة الشيخ أبي ينور ولم أدر سبب ذلك؟ ولا شك أن الشيخ أبا ينور من أشياخه، ففي (التشوف) أبو ينور عبد الله بن وكريس الدكالي من مشترايه من أشياخ أبي شعيب أيوب السارية كبير الشأن من أهل الزهد والورع، وفيه: أبو علي منصور بن إبراهيم المسطاسي كبير الشأن من أهل العلم والعمل مات بآزمور سنة أربعين وخمسمائة، وهو من أشياخ أبي شعيب أيوب السارية اهـ.

وهذا كما رأيت قرين الشيخ أبي محمد عبد الجليل وقد ذكروا كما في (التشوف) أن الشيخ أبا شعيب هو الذي صلى على حجة الإسلام الغزالي بطوس وقد توفي حجة الإسلام سنة خمس وخمسمائة وكان أوصى ألا يصلى عليه حتى يأتي رجل يصلي عليه والحكاية معروفة فقد كان أبو شعيب في ذلك التاريخ من أهل الخصوصية التامة والتمكن من الوصول في الزمان القريب إلى المكان البعيد. وذلك قبل وفاة الشيخ أبي محمد عبد

الجليل بنحو ست وثلاثين سنة مع المشاركة في الوطن أو قربه، وفي (النشوف): أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي من بلاد آزمّور ومن أشياخ أبي يعزى وكان في أول أمره معلماً للقرآن بقرية اشكاوَنْ من بلاد دكالة ومات بآزمور يوم الثلاثاء العاشر من ربيع الثاني سنة إحدى وستين وخمسمائة اهـ.

ولما نقل بعض هذا أبو عيسى الفاسي في تحفة أهل الصديقية قال: فلا يبعد على هذا أن يكون الشيخ أبو شعيب لقي أبا محمد عبد الجليل إلا أنه كان يأخذ عن تلميذه مع وجوده وكان سبب ذلك أنه ما فتح له إلا على يديه ولا كشف له أولاً إلا عن خصوصيته وهو أعني أبا ينمور مع ذلك مطلق من ثقاف الإرادة مأذون بقبول الخلق وتربيتهم مع وجود شيخه أو لم يكن اتخذه شيخ تحكيم وإرادة بل شيخ تعليم فقط ثم كمل وأذن بقبول الخلق وتعليمهم وتربيتهم ومن رزق من باب فليلزمه بل من أخذ من قلبه فلا فكاك له من يد من أخذه منه وليس لأهل الطريق معول على علو السند ولا لهم إليه نظر ولا لهم فيه اختيار بل من أخذه ملكه فلا يبغي به بديلاً والمطلوب فيها سلب الإرادة فلا فرق فيه بين علو أو نزول ثم لو رام أن يترك صحبته إلى صحبة غيره لعلو أو غيره لكان فيه سوء أدب ثم لا يفلح مع الأول ولا مع الثاني ولو كان هذا الثاني شيخ الأول إلاّ إن كان عن إذنه وقضية أبي الحسن السريفي مع سيدي علي بن عثمان لما تركه وذهب إلى شيخه الغزواني معلومة، وما وقع له في ذلك من الخسارة والسلب والعياذ بالله من سوء الأدب المفضي إلى العطب، وقد ذكر حكايته صاحب (الدوحة) ونقلتها في (ممتع الأسماع).

وقد يختار بعضهم في السند النزول ويؤثره على العلو، لكثرة عدد الشيوخ ويقول على قدر ما تكثر الشيوخ في السند تقوي أنواره وتترادف على مسنده وتتظاهر عليه وللناس في ذلك أحوال ومقاصد وهذا الفرق بين أسانيد الطريق وأسانيد الحديث الأولى: نتيجتها اقتباس الأنوار والثانية المقصود منها ما تضمنته من الأخبار وهذه يلزمها البحث لا محالة فيطلب فيها العلو فبقدر ما يعلو السند يكون البحث فيه أسهل والتصحيح له أمكن.

ثم وجدت عند الشيخ السنوسي رحمه الله، قال الشيخ أبو مدين رضي الله عنه: ألبسني الخرقة الشريفة أيضاً شيخي وقدوتي أبو يعزى، قال: ألبسني شيخي وقدوتي أبو شعيب أيوب السارية ولقب سارية لطول قيامه، قال: ألبسني عبد الجليل وبجدا قال: ألبسني أبو الفضل الجوهري، قال: ألبسني والدي أبو عبد الله الحسين بن بشرى، قال: ألبسني أبو الحسن أحمد بن محمد النوري المعروف بابن البغوي قال: ألبسني السري بن مغلس السقطي رضي الله عنه، ثم ذكر باقي السند فلم يذكر واسطة بين الشيخ أبي شعيب والشيخ أبي محمد عبد الجليل اهـ.

وما أجاب به أولاً عن أخذ الشيخ أبي شعيب أيوب السارية عن أبي ينور مع إدراكه شيخه أبا محمد عبد الجليل هو جواب حسن يؤيده الواقع والمشاهدة في كثير من المشايخ من آخرهم العارف الشهير أبو العباس سيدي أحمد بن عجيبة فإنه أخذ عن العارف الكبير سيدي محمد البوزيدي ولازمه وسلك الطريق على يديه مع وجود شيخه مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنهم، ولما فتح له على يديه أذن له في التربية والتسليك فأخذ عنه هو وجماعة مع وجود شيخه البوزيدي وشيخ شيخه مولاي العربي بل كان جل أصحاب الشيخ مولاي العربي رضي الله عنه الواصلين المربين من هذا القبيل فكان كثير منهم يشد الرحلة إليه لزيارته مع الوفود من تلامذتهم بل وتلامذة تلاميذهم أيضاً كالشيخ سيدي أحمد بن عجيبة أيضاً فإنه كان له تلامذة وأتباع ومات في حياة شيخه البوزيدي الذي مات أيضاً في حياة شيخه مولاي العربي رضي الله عنه فابن عجيبة توفي سنة أربع وعشرين ومائتين وألف وتوفي شيخه البوزيدي بعده بخمس سنين سنة تسع وعشرين وتوفي شيخه مولاي العربي بعده بعشر سنين سنة تسع وثلاثين.

وحكاية أبي الحسن السريفي التي أشار إليها هي: أنه كان أخذ عن العارف أبي الحسن علي بن عثمان الشاوي وأقام في خدمته مدة طويلة إلى أن اشتهر حاله وانتشر صيته وكثر أتباعه فانتقل إلى موضع يقال له أبربين فعمرت سوقه وشاع في المغرب خبره وظهرت على يديه كرامات لا تحصى فرأى أنه أبلغ من شيخه وأنف من الانتساب إليه وذهب إلى مراكش مع

تلامذته للأخذ عن شيخ شيخه سيدي أبي محمد الغزواني فلقيه وانتسب إليه وترك الانتساب إلى شيخه أبي الحسن الشاوي ولما رجع إلى بلده أقام شيخه مدة ينتظر زيارته له فلم يأته فقال لأصحابه أعزموا على السفر إلى الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش ويكون مرورنا على صاحبنا أبي الحسن علي فلما مروا عليه نزل الشيخ بالمسجد وبعث إليه فلم يأته وبعث إليه بالطعام فقال الشيخ لأصحابه قوموا بنا ولا تأكلوا شيئاً من هذا الطعام فنحن إنما جئنا لأخذ الأمانة التي كانت لنا هنا وقد حملناها فانصرفوا ثم رأى السريفي فيما يرى النائم كأن قمراً خرج من صدره وصعد إلى السماء فكان ذلك سلب الحكمة عنه فما اجتمع إليه بعد ذلك اثنان وبقي على ذلك إلى أن مات ولما بلغ ذلك إلى الشيخ أبي محمد الغزواني قال ذلك جزاء من يكفر بإحسان شيخه.

الثالث: في أخذ الحسين بن بشرى الجوهري والد أبي الفضل عن أبي الحسين النوري فأكثرهم يورده كذلك وهو الذي ذكره أبو مدين رضي الله عنه نفسه فيما نقله عنه السنوسي كما سبق مع أن التاريخ يأبى ذلك كما نبه عليه أبو عيسى في (التحفة) فقال عقب نقله كلام أبي مدين السابق في لباس الخرقة ما نصه: وما ذكره من أن الشيخ أبا عبد الله الحسين بن بشرى الجوهري أخذ عن النوري بلا واسطة كذلك هو أيضاً عند الشيخ الحافظ أبي العباس أحمد بن أبي المحاسن الفاسي وعند أخيه أبي عبد الله العربي في (المرآة) أنه أخذ عنه بواسطة الشيخ أبي بكر الدنيوري ونحط الحافظ الذهبي في تاريخه: إنه أبو الفضل عبد الله بن الحسين بن بشرى بن سعيد الجوهري فكتب الحسين بالياء وضم الحاء وبشرى بالياء بعد الراء وقال مات في العشر الأوسط من شوال سنة ثمانين وأربعمائة وقبره عند قبر والده أبي عبد الله يزار هو ووالده وولده أبو البركات. وكان أبو الفضل من كبار مشايخ المصريين وبيته بيت العلم والعدالة والنبل وذريته ذرية مباركة وكان يعظ الناس بمصر بجامع عمرو بن العاص ثم ذكر من سمع منه ومن روى عنه وعلى ما ذكر في وفاة أبي الفضل الجوهري لا يصح أن تكون الواسطة بينه وبين أبي الحسن النوري رجلاً واحداً فقط لبعد ما بين وفاتهما بما يقرب من مائتي سنة بالتثنية.

وأما أبو بكر الدينور فإن كان المراد به أبا بكر بن جابار بن عبد الله الدينوري الحافظ فقد توفي سنة ثمان وستين وأربعمائة وكان ممن لقي في رحلته في طلب الحديث أبا سعيد أحمد بن محمد الماليني وأبو الفضل الجوهري قد سمع الكثير من حديث أبي سعيد الماليني فغاية الدينوري أن يكون من شيوخ أبي الفضل لا من شيوخ والده والله أعلم اهـ.

قلت: ليس المراد بأبي بكر الدينوري من ذكر بل المراد به أبو بكر محمد بن علي بن الحسن بن علي الدينوري ذكره ابن السمعاني في الأنساب وقال يعرف ببرهان. كان أحد الصالحين صاحب كرامات ظاهرة قدم بغداد سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وحدث بها عن أبي شعيب الحراني وعبد الله بن محمد بن بيان وإبراهيم بن زهير الحلواني وأبي مسلم الكَشي وآخرين. ذكره صالح بن أحمد الحافظ في طبقة الهمذانيين: برهان الدينوري ذاكرته وكان شيخا فاضلاً ثقة ورعاً، ولم يقضي لي السماع منه وكان يشبه أهل العلم بالله صدوقاً رحمنا الله وإياه اهـ. وهي ترجمة مأخوذة من تاريخ الخطيب باختار وقد أسند الخطيب من طريقه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبيﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة على رجل يقول لا إله إلا الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر».

وأسند عنه أنه قال: إني لأطعم لقيمات في طعام عند محب لهذه الطائفة فأرى على قلبي سوادها لما لا أتعرف أمره وأدخل على السلامة وإني سمعت اللؤلؤي يقول: يحكى أن بشراً دعاه رجل إلى طعام فدخل فرأى حاله مستوية فقال لصاحبه من أين مالك؟ قال: أشهد الله من حل ما ظلمت ولا غصبت ولا أربيت، قال: ففيم تتجر؟ قال: في الطعام، فخرج عنه وقال: هذا مال جمع من دم المسلمين، ولم يذكر الخطيب تاريخ وفاته، إلا أنه روى عنه بواسطة فقال: حدثنا عنه أبو الحسن بن رزقويه وعلي بن أحمد بن عمر المقري، والخطيب من أقران الجوهري، ومات قبله بأربع سنين كما أن الدينوري حدث عن جماعة من أقران أبي الحسن النوري كأبي جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة الذي مات بعد النوري بثلاث سنين فلم يبق ريب في أنه المذكور في السند والله أعلم.

فصل

وأخذ أبو مدين أيضاً عن أبي الحسن علي بن حرزهم عن أبي بكر محمد بن عبدالله بن أحمد المعروف بأبي العربي المعافري عن أبي حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي عن إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني عن أبي طالب محمد بن علي بن عطيه المكي ثم البصري عن أبي القاسم.

هكذا ذكره جماعة يطول عدهم ومنهم من عبر بصحب في الجميع كأبي عبد الله الساحلي في (بغية السالك) ونظمه شرف الدين البوصيري في قصيدة طويلة ذكرها صاحب كتاب (المنهج الواضح في مناقب أبي محمد صالح) جاء فيها:

فمنهم أبو حسن سليل لحرزهم ... أتى في العلا والفضل فاتحة الحزب
ومنهم أبو بكر العربي قد سما ... بما رسموا فيه على العجم والعرب
ومنهم إمام العصر في العلم والتقى ... أبو حامد حسبي إمام به حسبي
ومنهم إمام الملة المتقى أبي الـ ... ـمعالي إمام الحل والحرم والرحب
أبو طالب صبح قد أسفر وجهه ... سفير قلوب العاشقين إلى الحب
أبو القاسم الحبر الجنيد الذي له ... فعال على عد الحصى كثرة تربى

إلى آخر السند وهو منقطع بين إمام الحرمين وأبي طالب المكي، وبين أبي طالب والجنيد.

قال أبو العباس الفاسي في (المنح الصافية) بعد إيراده: وفي القلب منه شيء لأن إمام الحرمين توفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة والشيخ أبو طالب توفي في جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وثلاثمائة كما قاله الشيخ أبو القاسم الأزهري والشيخ أحمد بن محمد العتيقي وتوفي الشيخ أبو القاسم الجنيد سنة سبع وتسعين ومائتين فبين إمام الحرمين والشيخ أبي طالب قريب من تسعين سنة وبين أبي طالب والجنيد قريب من مائة سنة على إني تصفحت القوت من أوله إلى آخره فما رأيته ذكر أنه لقيه كما قال في غيره كأبي الحسن بن سالم صرح بلقياه غير مرة وقال في غيره كأبي

سعيد بن الأعرابي: شيخنا، وأبو بكر بن الجلاء لقيه وصرح بأنه شيخه كذلك بل إن تأملت كلامه في القوت وجدته ما يذكر كلام الجنيد إلا كما يذكر غيره من الشيوخ وإنما ينوه بأبي محمد سهل وتلميذه أبي الحسن بن سالم ويفرع على كلامهما فهو في طريقة البصريين أدخل بكثير من طريقة البغداديين على أني رأيت كل من تنتهي سلسلته إلى أبي مدين يعتمد هذا السند اهـ.

قلت: تبع في تاريخ وفاة الجنيد أبا القاسم القشيري فإنه ذكر ذلك في الرسالة والصحيح أنه مات سنة ثمان وتسعين والسند منقطع جزماً فإن إمام الحرمين ولد بعد وفاة أبي طالب بثلاث وثلاثين سنة وذلك في ثامن عشر المحرم سنة أربع عشرة وأربعمائة وأبو طالب المكي توفي سنة ست وثمانين وثلاثمائة والصواب في هذا الإسناد كما ذكره بعضهم عن إمام الحرمين عن والده أبي محمد الجويني عن أبي طالب المكي عن أبي عثمان المغربي عن أبي عمرو محمد بن إبراهيم الزجاجي عن الجنيد وبعضهم يقول عن أبي طالب المكي عن أبي بكر الشبلي عن الجنيد وهذا أيضاً في القلب منه شيء فإن أبا طالب تأخر بعد وفاة الشبلي باثنتين وخمسين سنة إلا أن يكون عَمّر طويلاً أو أخذ عنه في سن الشباب كالعشرين ونحوهما والله أعلم.

وذكر السنوسي فيما نقله عنه أبو عيسى الفاسي في (التحفة) أن لإمام الحرمين طريقاً آخر في الخرقة وهو عن الأستاذ أبي القاسم القشيري عن الأستاذ أبي علي الدقاق عن أبي القاسم النصراباذي عن الشبلي عن الجنيد رضي الله عنه.

فصل

وأخذ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه عن جماعة آخرين أخذ خرقة وتبرك أيضاً.

منهم الشيخ أبو سعيد خليفة بن أحمد الباجي التميمي دفين خارج تونس وصاحب الكرامات الكثيرة المشهورة فإن الشاذلي رضي الله عنه أخذ

عنه ولازمه وانتفع به كثيراً كما أخبر بذلك عن نفسه وهو أخذ عن أبي مدين.

وقيل: عن أبي محمد عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي عن أبي مدين.

وذكر صاحب (المنح البادية) أن الشاذلي أخذ أيضاً عن أبي محمد المهدوي هذا وذلك من جهة التاريخ ممكن فإن كلاً منهما كان بتونس وتاريخ وفاتهما متقارب فالشيخ أبو سعيد الباجي مات سنة ثمان وعشرين وستمائة والشيخ أبو محمد المهدوي مات سنة إحدى وعشرين.

ومنهم الشيخ الأكبر محمد بن علي بن العربي الحاتمي وهو أخذ عن جاعة كثيرة وقد ذكر سنده بلبس الخرقة في جزء أفرده لذلك سماه (نسب الخرق) ذكر فيه أنه لبسها من يد جمال الدين يونس بن يحيى بن أبي الحسين العباسي القصار بمكة بالحرم الشريف تجاه الكعبة المعظمة وهو لبسها من يد شيخ الوقت عبد القادر أبي صالح بن أبي عبد الله الجيلي وهو لبسها من يد أبي سعيد المبارك بن علي المخزومي وهو لبسها من يد أبي الحسن علي بن محمد بن يوسف القرشي الهكاري ولبسها الهكاري من يد أبي الفرج الطرسوسي وهو من يد أبي الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التميمي وهو من يد أبي بكر محمد بن خلف بن جَحْدر الشبلي والشبلي صحب أبا القاسم الجنيد بن محمد وتأدب به ولبس منه والجنيد صحب خاله السري السقطي وأخذ عنه وتأدب به وسرى صحب معروف بن فيروز الكرخي وأخذ عنه وتأدب به ومعروف صحب علي بن موسى وتأدب به وعلي بن موسى صحب أباه موسى وتأدب به وموسى صحب أباه جعفر بن محمد وتأدب به وجعفر صحب أباه محمد بن علي وتأدب به ومحمد صحب أباه علي بن الحسين وتأدب به وعلي صحب أباه الحسين بن علي وتأدب به وأخذ عنه والحسين صحب جده رسول الله ﷺ وصحب أباه علي بن أبي طالب وعلي بن أبي طالب صحب رسول الله ﷺ وتأدب به وأخذ عنه ورسول الله ﷺ أخذ عن جبريل عليه السلام وجبريل عليه السلام أخذ عن الله تعالى.

قلت للشيخ يونس: ما أخذ عنه قال سألت أو سئل الشيخ عبد القادر ما أخذ عنه فقال أخذ عنه العلم والأدب.

وذكر الشيخ محي الدين بن العربي رضي الله عنه: أنه لبسها أيضاً من يد أبي عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي ومن يد تقي الدين عبد الرحمن بن علي بن ميمون التوزري المصري سنة ست وثمانين وخمسمائة وكلاهما لبس من يد أبي الفتح محمد بن أحمد بن محمود المحمودي وهو لبس من يد أبي الحسن علي بن محمد البصري ولبس البصري من يد أبي الفتح بن شيخ الشيوخ ولبس أبو الفتح من يد أبي إسحاق ابن شهريار المرشد ولبس المرشد من يد حسن أو حسين الاكار ولبس الاكار من يد أبي عبد الله بن خفيف وابن خفيف صحب جعفر الحذاء وصحب الحذاء شيخه أبا عمرو الاصطخري وصحب أبو عمر وشيخه أبا تراب النخشبي وصحب أبو تراب شيخه شقيقا البلخي وصحب شقيق إبراهيم بن أدهم وصحب إبراهيم موسى بن زيد الراعي وصحب الراعي أويسا القرني وصحب أويس عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، وصحب عمر وعلي رسول الله ﷺ وأخذا عنه وتأدبا به اهـ.

قال ولبستها أيضاً من يد أبي الحسن علي بن عبد الله بن جامع ولبسها ابن جامع من يد الخضر وصحبه وتأدب به وأخذ عنه.

قال: وكذلك صحبت أنا الخضر عليه السلام وتأدبت به وأخذت عنه التسليم لمقالات الشيوخ نصاً من فيه إلى في وغير ذلك من العلوم اهـ وقد أورد الصفي القشاشي في (السمط المجيد) سنده الثاني من طريق أويس، ثم قال: لم يصرح الشيخ قدس سره من ابن خفيف إلى منتهى السند باللبس وإنما ذكر الصحبة بناء على عدم ثبوت الاتصال عنه كما دل عليه كلامه في (الفتوحات المكية) في الباب الخامس والعشرين فإنه بعدما حكى ما جرى له مع سيدنا الخضر عليه السلام قال ما نصه: واجتمع معه رجل من شيوخنا وهو علي بن عبد الله بن جامع من أصحاب علي المتوكل وأبي عبد الله قضيب البان وكان يسكن بالمغلى خارج الموصل في بستان له وكان الخضر عليه السلام قد

ألبسه الخرقة بحضور قضيب البان وألبسنيها الشيخ بالموضع الذي ألبسه فيه الخضر من بستانه وبصورة الحال التي جرت له معه في إلباسه إياها وقد كنت لبست خرقة الخضر بطريق أبعد من هذا من يد صاحبنا تقي الدين عبد الرحمن بن علي بن ميمون بن أبي التوزري وهو لبسها من يد صدر الدين شيخ الشيوخ بالديار المصرية وهو محمد بن حموية وكان جده قد لبسها من يد الخضر عليه السلام وفي ذلك الوقت قلت بلباس الخرقة وألبستها الناس لما رأيت الخضر قد اعتبرها وكنت قبل ذلك لا أقول بالخرقة المعروفة الآن فإن الخرقة عندنا إنما هي عبارة عن الصحبة والأدب والتخلق ولهذا لا يوجد لباسها متصلاً برسول الله ﷺ، ولكن يوجد صحبة وأدباً وهو المعبر عنه بلباس التقوى فجرت عادة أصحاب الأحوال إذا رأوا أحداً من أصحابهم عنده نقص في أمر ما وأرادوا أن يكملوا له حاله يتحد به هذا الشيخ فإذا إتحد به أخذ ذلك الثوب الذي عليه في حالة ذلك الحال ونزعه وأفرغه على الرجل الذي يريد تكملة حاله ويضمه فيسري فيه ذلك الحال فيكمل له ذلك الأمر فهذا هو اللباس المعروف عندنا والمنقول عن المحققين من شيوخنا اهـ. فصرح بأنه لم يتحقق عنده لباسها متصلاً برسول الله ﷺ وإنما اقتدى في ذلك بسيدنا الخضر عليه السلام وكذلك كلامه في رسالة الخرقة يدل على أنه إنما اقتدى في ذلك بالمشايخ حيث قال بعد تمهيد: فظهر الجمع بين اللبستين من زمان الشبلي وابن خفيف إلى هلم جرا فجرينا على مذهبهم في ذلك فلبسناها من أيدي مشايخ جمة سادات بعد أن صحبناهم وتأدبنا بآدابهم ليصح اللباس ظاهراً وباطناً اهـ.

وأجيب: أن هذا أمر متعلق بالرواية لا يكشف الحقائق فخلاف أهلها[1] معتبر وقد أثبته جماعة ممن جمع بين الفقه والحديث والتصوف ومن المقرر في الأوصل أن المثبت مقدم على النافي وقد قال الشيخ محيي الدين قدس سره في (الباب التاسع والستين من الفتوحات المكية) ما نصه: ولا يعتبر عندنا ما يخالفنا فيه علماء الرسوم إلا في نقل الأحكام المشروعة فإن فيها يتساوى الجميع ويعتبر فيها المخالف بالقدم في الطريق الموصل

---

(١) أي أهل الرواية.

أو في المفهوم باللسان العربي وأما في غير هذا فلا يعتبر إلا مخالفة الجنس وهذا سار في كل صنف من العلماء بعلم خاص اهـ بلفظه قدس سره وفيه الكفاية والحمد لله رب العالمين ولكن ينبغي أن يقيد بما ذكره في كتابه (عقلة المستوفز) حيث قال ما نصه: ثم نقول إنا ما أوردنا شيئاً مما ذكرناه أو نذكره من جزئيات العالم إلا واستناداً فيه إلى خبر نبوّي يصححه الكشف: ولو كان ذلك الخبر مما تكلم في طريقه، فنحن لا نعتمد فيه إلا على ما يخبر به رجال الغيب رضي الله عنهم اهـ (فالحاصل) أن كل حديث تكلم في طريقه أئمة الجرح والتعديل فإن حكمهم معتبر إلاَّ ما صححه الكشف، فإن الحكم للكشف، وإن ضعفه أئمة النقل، ورب حديث يورده في الفتوحات يقول فيه: ما معناه: صحيح كشفاً، غير ثابت نقلاً، كقوله في الباب الثاني والثلاثمائة ما نصه: ولقد ورد في حديث نبوّي صحيح عند أهل الكشف، ولم تثبت طريقة عند أهل النقل، لضعف الراوي، ولقد صدق فيه. قال: قال رسول اللهﷺ «لولا تزيد في حديثكم وتمريج في قلوبكم لرأيتم ما أرى، ولسمعتم ما أسمع»[1] اهـ وسيأتي النقل عنه في شرح (الرسالة اليوسفية) إنه قال: وقال في الخبر الصحيح نقلاً وكشفاً إلخ فاتفقا على التصحيح، ومن هنا قالوا في أصول الحديث: إذا وجدت حديثاً بإسناد ضعيف فلك أن تقول هذا ضعيف، وتعني بذلك الإسناد، وليس لك أن تعني بذلك ضعفه مطلقاً، بناء على ضعف ذلك الطريق، إذ لعل له إسناداً آخر صحيحاً يثبت بمثله الحديث اهـ.

قلت: يريد القشاشي أن يجعل لبس الخرقة المعروفة في عصره مرويّاً كذلك إلى النبيﷺ، وليس الأمر كما يريد، بل من له أدنى معرفة بالسنة ومخالفة الآثار يعرف أن الحق ما قاله الشيخ الأكبر رضي الله عنه. وأن السند من ابن خفيف وتلك الطبقة فما فوق إنما هو لمجرد الأخذ والصحبة والاقتداء، وحصول النفع من الأعلى للأدنى ولو بمجرد الرؤية والمجالسة، وذلك هو المقصود بالخرقة في عرف كثير من الصوفية. فهم يطلقون لفظ الخرقة والإلباس ويريدون المعنى الذي

---

(١) سبب وروده أنهم سألوا لم لا يرون ولا يسمعون عذاب القبر؟ والتمريج الاختلاط.

ذكرناه والله أعلم، وسيأتي نص السهروردي وغيره بمثل هذا أيضاً.

فصل

ومنهم[1] أبو الفتح الواسطي صاحب الشيخ سيدي أحمد الرفاعي، فإنه لقيه بالعراق وبإشارته أخذ عن القطب مولانا عبد السلام بن مشيش كما هو مذكور في ترجمته، وسيأتي سند الرفاعي.

(ومنهم) فيما ذكره العارف الشعراني ومن تبعه. كصاحب (المنح البادية) وغيره: نجم الدين الأصفهاني وهو وهم قبيح، لأن النجم الأصفهاني متأخر عن الشاذلي، ومنشأ الغلط في هذا أن الصلاح الصفدي قال: في ترجمة أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه من (نكت الهميان): ورأيت شيخنا عماد الدين يعني ابن كثير الحافظ، قد فتر عنه في الآخر، وبقي واقفاً في هذه العبارات، حائراً في الرجل لأنه كان قد تصوف على طريقته، وصحب الشيخ نجم الدين الأصفهاني نزيل الحرم، ونجم الدين صحب الشيخ أبا العباس المرسي، صاحب الشيخ أبي الحسن الشاذلي، فكان من وقف على هذا، ظن أن الضمير في قوله: وصحب الشيخ نجم الدين الأصفهاني عائداً على الشاذلي، وهو عائد على ابن كثير، وإلا فالشيخ نجم الدين الأصفهاني من تلامذة أبي العباس المرسي، فكيف يكون شيخاً الشاذلي.

فصل

وقد طعن في الخرقة وسندها جماعة، وهم قسمان: قسم اعتقدوا صحتها، ورووها تبركاً بها، وتكلموا في سندها من جهة الانقطاع، وعدم الاتصال، لظنهم عدم سماع الحسن من علي تقليداً لمن قال ذلك من الأقدمين، وقسم طعنوا في أصلها واعتقدوا بطلانها، لا لعدم سماع الحسن من علي فقط، بل لكونها مروية من طريق علي عليه السلام، وهم ينفون عنه وعن

---

(١) أي من شيوخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه.

آل بيته الكرام كل فضيلة، لا سيما إذا توهموا منها ثبوت مزية لعلي عليه السلام على غيره من الصحابة، وهم النواصب أعداء آل البيت كابن تيمية وابن خلدون، فقد قال الأول في منهاج سنته، رداً لقول ابن المطهر الحلي: وأما علم الطريقة فإليه منسوب، فإن الصوفية كلهم يسندون الخرقة إليه ما نصه: والجواب أن يقال: أولاً أما أهل المعرفة وحقائق الإيمان المشهورون في الأمة بلسان الصدق، فكلهم متفقون على تقديم أبي بكر، وأنه أعظم الأمة في الحقائق الإيمانية والأحوال العرفانية، وأين من يقدمونه في الحقائق العرفانية التي هي أفضل الأمور عندهم، إلى من ينسب إليه لباس الخرقة؟ وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» فأين الحقائق القلوبية من لباس الأبدان؟ ويقال ثانياً: الخرق متعددة، أشهرها خرقتان خرقة إلى عمر وخرقة إلى علي، فخرقة عمر لها إسنادان: إسناد إلى أويس القرني، وإسناد إلى أبي مسلم الخولاني، وأما الخرقة المنسوبة إلى علي فإسنادها إلى الحسن البصري والمتأخرون يصلونها بمعروف الكرخي، فإن الجنيد صحب السري، والسري صحب معروفاً الكرخي بلا ريب، وأما الإسناد من جهة معروف، فمنقطع، فتارة يقولون إن معروفاً صحب علي بن موسى الرضي، وهذا باطل قطعاً. لم يذكره المصنفون لأخبار معروف بالإسناد الثابت المتصل كأبي نعيم وأبي الفرج بن الجوزي في كتابه الذي صنفه، في فضائل معروف، ومعروف كان منقطعاً في الكرخ، وعلي بن موسى كان المأمون قد جعله ولياً للعهد بعده، وجعل شعاره لباس الخضرة، ثم رجع عن ذلك، وأعاد شعار السواد، ومعروف لم يكن ممن يجتمع بعلي بن موسى، ولا نقل عنه ثقة أنه اجتمع به، أو أخذ عنه شيئاً، بل ولا يعرف أنه رآه، ولا كان معروف بوابه ولا أسلم على يديه، وهذا كله كذب وأما الإسناد الآخر فيقولون إن معروفاً صحب داود الطائي، وهذا أيضاً باطل لا أصل له، وليس في أخباره المعروفة ما يذكر فيه أنه أخذ عن داود الطائي شيئاً، وإنما نقل عنه الأخذ عن بكر بن خنيس العابد الكوفي، وفي إسناد الخرقة أيضاً أن داود الطائي صحب حبيباً العجمي، وهذا أيضاً لم يعرف له حقيقة، وفيها أن حبيباً العجمي صحب الحسن

البصري، وهذا صحيح، وفيها أن الحسن صحب علياً وهذا باطل باتفاق أهل المعرفة، فإنهم متفقون على أن الحسن لم يجتمع بعلي، وإنما أخذ عن أصحاب علي، أخذ عن الأحنف بن قيس، وقيس بن عباد وغيرهما، عن علي، وهكذا رواه أهل الصحيح، والحسن البصري ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وقتل عثمان وهو بالمدينة، وكانت أمه أمة لأم سلمة. فلما قتل عثمان حمل إلى البصرة، وكان علي بالكوفة، والحسن في زمنه صبي من الصبيان لا يعرف ولا له ذكر اهـ.

وقال: ابن خلدون في مقدمة تاريخه: ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس، توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة، وملأوا الصحف منه، مثل الهروي في كتاب (المقامات) له، وغيره، وتبعه ابن العربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض، والنجم الإسرائيلي في قصائدهم، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وإلهية الأئمة مذهباً لم يعرف لأولهم فأشرب كل من الفريقين مذهب الآخر، واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم، وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب، ومعناه رأس العارفين، يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة، حتى يقبضه الله، ثم يورث مقامه الآخر من أهل العرفان، وقد أشار إلى ذلك ابن سينا في كتاب (الإشارات) في فصول التصوف منها، فقال: جل جناب الحق أن يكون شرعة لكل وارد، أو يطلع عليه إلا الواحد بعد الواحد، وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية، ولا دليل شرعي، وإنما هو من أنواع الخطابة، وهو بعينه ما تقوله الرافضة، ودانوا به، ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب، كما قاله الشيعة في النقباء، حتى أنهم لما أسندوا خرقة التصوف ليجعلوها أصلاً لطريقتهم وتخليهم، رفعوه إلى علي رضي الله عنه، وهو من هذا المعنى أيضاً، وإلا فعلي رضي الله عنه لم يختص من بين الصحابة بتخلية ولا طريقة في لباس ولا حال، بل كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أزهد الناس بعد رسول الله ﷺ وأكثرهم عبادة ولم يختص أحد منهم في الدين بشيء يؤثر عنه في الخصوص، بل كان الصحابة

كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة، يشهد لذلك كلام هؤلاء المتصوفة في أمر الفاطمي وما شحنوا كتبهم في ذلك مما ليس لسلف المتصوفة كلام فيه بنفي أو إثبات، وإنما هو مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة، ومذاهبهم في كتبهم اهـ فالحامل لهذين المنافقين بشهادة الرسولﷺ، عليهما بالنفاق على إنكار هذه المزية لعليعليه السلام في اختصاصه بعلوم الحقائق وكونه إمام الصوفية، ومرجع أهل الطرائق، هو بغضهما لجنابه العلي، فإنهما لم يتركا ناحية من نواحي فضائله ولا ميزة من مزاياه التي خصه الله بها إلا وأنكراها وطعنا في أسانيدها وشككا في ثبوتها بالدعاوى الباطلة، والافتراءات الزائفة، بل بلغت العداوة من ابن تيمية[1]

---

(١) نص على هذا وغيره في كتابه منهاج السنة. (وله رسالة أخرى مخطوطة)، زعم فيها أن الأحاديث الواردة في فضل عليعليه السلام لا تثبت له مزية على مطلق المؤمنين فضلاً عن الصحابة، وبين ذلك فقال: في قوله عليه الصلاة والسلام لعليعليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» خرجه الشيخان ـ: لا فضيلة فيه لعلي، لأن النبيﷺ قال مثله في الأنصار، حيث ثبت في الحديث: «أنا من الأنصار والأنصار مني»، وقال في حديث الصحيحين «من كنت مولاه فعلي مولاه» ليس فيه فضيلة لعلي، لأن هذا ثابت لكل المؤمنين بنص القرآن، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، وفي غزوة خيبر، قال النبيﷺ «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» ثم دعا علياًعليه السلام، فقيل إنه يشتكي عينيه من رمد أصابه، فأتى به فتفل في عينيه، وسلمه الراية. قال ابن تيمية: ليس فيه فضيلة لعلي، لأن الله وصف المؤمنين بذلك أيضاً، في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ وقال: ﴿والذين آمنوا أشد حباً لله﴾، وفي الحديث الصحيح في علامات المؤمن: «أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» إلى غير ذلك مما يطول ذكره في تلك الرسالة الخاطئة وغيرها. ولا يخفى ما تنطوي عليه التأويلات الباطلة المذكورة، في تمحل بارد، وانحراف متعمد عن الجادة. . فابن تيمية نفسه يعلم أن حديث «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» يقتضي أن علياً من النبيﷺ، بمنزلة هارون من موسى في الأخوة، والخلافة عنه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾، وفي الأخلاق، والعلوم، وفي كل ما اشترك فيه موسى وهارون في خصال إلا النبوة، ولهذا استثناها بقوله: «إلا أنه لا نبي بعدي» والاستثناء معيار العموم، كما تقرر في علم الأصول، ومن هنا كان علي أعلم الأمة بعد نبيهاﷺ، كما كان هارون أعلم بني إسرائيل بعد موسىعليه السلام، وأين من هذا قوله عليه الصلاة والسلام «أنا من الأنصار والأنصار مني»؟ إذ الحكم هنا متعلق بالأنصار، وهو لفظ عام، والعام لا إشعار=

إلى درجة المكابرة وإنكار المحسوس، فصرح بكل جرأة ووقاحة، ولؤم ونذالة، ونفاق وجهالة، أنه لم يصح في فضل علي عليه السلام حديث أصلاً، وأن ما ورد منها في الصحيحين لا يثبت له فضلاً ولا مزية على غيره، مع أن إمامه وإمام أهل السنة والحديث أحمد بن حنبل رحمه الله يقول: لم يرد من الأحاديث بالأسانيد الصحاح في فضل أحد من الصحابة مثل ما ورد في علي، وهكذا قال غيره من الحفاظ، بل أضاف ابن تيمية إلى ذلك من قبيح القول في علي وآل بيته الأطهار، وما دل على أنه رأس المنافقين في عصره، لقول النبي صلى الله عليه وآله في الحديث الصحيح المخرج في صحيح مسلم مخاطباً لعلي عليه السلام (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق) كما ألزم ابن تيمية بذلك أهل عصره، وحكموا بنفاقه، فيما حكاه الحافظ في ترجمته في (الدرر الكامنة) وكيف لا يلزم بالنفاق مع نطقه قبحه الله بما لا ينطق به مؤمن في حق فاطمة سيدة نساء العالمين عليها السلام، وحق زوجها أخي رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد المؤمنين فقد قال في السيدة فاطمة

= له بخاص معين، فلا يستطيع أنصاري أن يجزم بأن هذا الحديث يخصه، ولكن يرجو أن يكون من مشمولاته. وكذلك حديث: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، يفيد أن ولاية علي مترتبة على ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله، ترتب الجزاء على الشرط. وحيث كانت ولايته صلى الله عليه وآله واجبة على كل مؤمن ومؤمنة، فولاية علي كذلك. وإلى هذا أشار عمر رضي الله عنه، حيث قال لعلي عليه السلام ـ بعد سماعه الحديث ـ هنيئاً لك أبا الحسن أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة. أما ولاية المؤمنين بعضهم بعض فهي ولاية عامة، منوطة بوصف الإيمان، لا تخص شخصاً بعينه، ومن ثم كان حب علي إيماناً، وبغضه نفاقاً، لأنه خص بوجوب ولايته على كل مؤمن ومؤمنة، أما حديث غزوة خيبر، فهو أظهر في الدلالة على فضل علي، ومزيد خصوصيته، ولهذا استشرف كبار الصحابة في هذه الغزوة ـ حين سمعوا الحديث ـ إلى أن يكون كل منهم ذلك الرجل الذي شهد له الرسول صلى الله عليه وآله بأنه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، حتى قال عمر رضي الله عنه: ما تطاولت للإمارة إلا في هذا اليوم. أترى عمر وكبار الصحابة كانوا لا يحبون الله ورسوله؟ أم كانوا يجهلون أن الله ورسوله يحبان المؤمنين؟ لا هذا، ولا ذاك، ولكن سر المسألة شهادة الرسول لشخص بخصوصه، فشهادة النبي صلى الله عليه وآله التي سجلها في خيبر، على ملأ من الصحابة، وصمت المناوئين لعلي ـ فيما بعد ـ بوصمة النفاق، لأنهم ناوأوا شخصاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله. وابن تيمية يعلم هذا، أو هو لا يجهله لكنه لشدة انحرافه، يتعامى عنه، أو يتحاماه: فيلتجىء إلى تلك التأويلات التي تزري بمقامه، وتومىء إلى اتهامه.

البتول: أن فيها شبهاً من المنافقين الذين وصفهم الله تعالى بقوله: (فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) قال لعنة الله عليه: فكذلك فعلت هي إذ لم يعطها أبو بكر رضي الله عنه من ميراث والدهاﷺ. أما عليعليه السلام، فقال فيه أنه أسلم صبياً وإسلام الصبي غير مقبول على قول، فراراً من إثبات أسبقيته للإسلام، وجحوداً لهذه المزية وأنه خالف كتاب الله تعالى في سبع عشرة مسألة، وأنه كان مخذولاً حيثما توجه، وأنه يحب الرياسة ويقاتل من أجلها، لا من أجل الدين وأن كونه رابع الخلفاء الراشدين غير متفق عليه بين أهل السنة، بل منهم من كان يربع بمعاوية وهم بنو أمية بالأندلس، فسماهم أهل السنة، وكذب عليهم، عليه لعائن الله. فإن هذا لم يحصل من أهل الأندلس أصلاً، وإنما حكى هذا عن ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد في قصة تزلف فيها لبني أمية فذكر معاوية رابع الخلفاء، فاتفق أهل الأندلس على ذمه وتقبيحه فيما فعل، فأتى هذا الكذاب ونسب ذلك لأهل السنة، من أهل الأندلس كلهم، وزعم قبحه الله أن علياًعليه السلام مات ولم ينس بنت أبي جهل التي منعه النبيﷺ الزواج بها، بل فاه في حقهعليه السلام بما هو أعظم من هذا فحكى عن بعض[1] أخوانه المنافقين أن علياًعليه السلام حفيت أظافره من التسلق على أزواج رسول اللهﷺ بالليل، في أمثال هذا من المثالب التي لا يجوز أن يتهم بها مطلق المؤمنين فضلاً عن سادات الصحابة رضي الله عنهم فضلاً عن أفضل الأمة بعد رسول اللهﷺ، فقبح الله ابن تيمية وأخزاه وجزاه بما يستحق، وقد فعل والحمد لله، إذ جعله إمام كل ضال مضل بعده، وجعل كتبه هادية إلى الضلال، فما أقبل عليها أحد واعتنى بشأنها إلا وصار إمام ضلالة في عصره، ويكفي أن أخرج الله تعالى من صلب أفكاره الخبيثة قرن الشيطان وأتباعه كلاب النار، وشر

---

(١) هو أبو بكر أبي داود صاحب السنن، فقد حكى عنه هذا القول الخبيث في ترجمته وإن كان هو قد تبرأ منه. وقال لا أجعل في حل من نسبه إلي وترديد ابن تيمية لهذه الحكاية الباطلة يدل على أنه يبطن بغض عليعليه السلام، وإلا لما استجاز ذكرها في هذا الموضع مهما كانت البواعث.

من تحت أديم السماء الذين ملأوا الكون ظلمة وسودوا وجهه بالجرائم والعظائم في كل مكان، والكل في صحيفة ابن تيمية إمام الضالين، وشيخ المجرمين، وقد قال النبيﷺ (من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة) وقالﷺ: (من دعا إلى ضلالة كان عليه إثم من تبعه إلى يوم القيامة).

فصل

ومثله في الخبث والنفاق ابن خلدون وإن لم يكن عنده من الجرأة ما يساعده على نفث ما في صدره، والتصريح بكل ما يحمله بين طيات جنبه، بل غالب صنيعه الدس والتلويح وربما صرح بالتخطئة من جهة السياسة، واستدرك بالتصويب من جهة الدين وجل قصده التصريح بنسبة الخطأ إلى علي وآل بيته الكرام، واستدراك التصويب إنما هو تغطية لنفاقه، ثم هو مع ذلك لا يجد سبيلاً إلى نفي فضيلة عن علي وآل بيته الأطهار، أو إلصاق عيب وخطأ بهم إلا بادر إلى ذلك، كما صنع هنا وكما صنع في أحاديث المهدي المنتظر فراراً من إثبات كون المجدد الذي يحيي الله به الدين آخر الزمان من آل عليعليه السلام، وعلل ذلك بأن آل البيت لم تبق لهم عصبية، والملك لا يقوم إلا بالعصبية[1]، وما غرضه إلا احتقار أهل البيت، كما كان يخالف جمهور النسابين والمؤرخين في نفي النسب عن العبيديين الرافضة ويثبت هو نسبهم ليتوصل بذلك إلى شين آل البيت، ولذلك كان الحافظ الزاهد الورع نور الدين أبو الحسن الهيثمي أحد شيوخ الحافظ يصرح بلعنه كما حكاه عنه الحافظ السخاوي في (الإعلان بالتوبيخ). وقال الحافظ في (رفع الإصر عن قضاة مصر) كان ابن خلدون يجزم بصحة نسب بني عبيد الله الذين كانوا خلفاء مصر وشهروا بالفاطميين إلى علي رضي الله عنه، ويخالف غيره في ذلك، ويدفع ما نقل عن الأئمة من الطعن في

---

(١) والتبس عليه أن الإمام المهدي لا يكون ملكاً فيحتاج إلى عصبية، ولكنه خليفة يجمع أهل الحل والعقد على بيعته، إذ يرونه جامعاً للشروط المطلوبة في خليفة المسلمين (اقرأ إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون، للإمام المؤلف).

نسبهم ويقول: إنما كتبوا ذلك المحضر مراعاة للخليفة العباسي، وكان صاحبنا المقريزي يفرط في تعظيمه من أجل ذلك، لأنه ينتمي إلى الفاطميين، فأحبه لكونه أثبت نسبهم وغفل عن مراد ابن خلدون فإنه كان لانحرافه عن آل علي، يثبت نسب الفاطميين إليهم لما اشتهر من سوء معتقد الفاطميين، وكون بعضهم نسب إلى الزندقة، وادعى الإلهية كالحاكم، وبعضهم في غاية التعصب لمذهب الرفض، حتى قتل في زمانهم جماعة من أهل السنة، وكان يصرح بسب الصحابة في جوامعهم ومجامعهم، فإذا كانوا بهذه المثابة، وصح أنهم من آل علي حقيقة، التصق بال علي العيب، وكان ذلك من أسباب النفرة عنهم، نسأل الله السلامة انتهى كلام الحافظ، وهو قد صحبه وخبر أحواله وسمع منه بعض مصنفاته، كالتاريخ وغيره، واستجازه فأجاز له وذكره في القسم الثاني من معجم شيوخه، ومن هذا القبيل ذبه عن خلفاء بني العباس وتبرئته ساحتهم في كل ما يشين العرض، والدين وإنكار أمور اتفق أهل التاريخ على نسبتهم إلى فعلها إثباتاً لفضلهم وعدالتهم، ونكاية لآل علي، إذ بالغ بنو العباس في إذايتهم وإهانتهم وقتلهم وطردهم وتشريدهم، والمقصود إثبات عداوة ابن تيمية وابن خلدون لعليعليه السلام وكونهما لم ينفيا ذلك عنه بعلم وتحقيق، بل بحقد وعداوة وغمط وعناد، وتجاهل ومكابرة فهما:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها، وأوهى قرنه الوعل

فعليعليه السلام بالمنزلة التي أكرمه الله بها، والمكانة التي وضعها الله له في قلوب المؤمنين، رغماً عن عداوة العداة المجرمين والحسدة المنافقين.

فصل

واعلم أن حكاية ابن تيمية اتفاق أهل المعرفة وحقائق الإيمان على تقديم أبي بكر رضي الله عنه، على علي في الأحوال العرفانية مردودة من وجوه:

(الوجه الأول) أن أهل المعرفة وحقائق الإيمان هم الصوفية رضي الله عنهم باتفاق المسلمين وابن تيمية ليس منهم حتى يعرف اتفاقهم بل هو

من أعدائهم أهل الشقاشق اللسانية والترهات الكلامية والتمويهات الظلمانية، فأنى له معرفة اتفاق العارفين أهل الحقائق الإيمانية والأحوال العرفانية؛ بل نسبة ذلك إليهم مجرد كذب عليهم، وتهجم في نسبة ما لم يصدر منهم إليهم، فإنهم متفقون على خلاف ما نسبه إليهم ومصرحون بأن علياً عليه السلام هو إمامهم ومرجعهم، كما قال العارف الأكبر مجدد الطريق في الألف الثاني مولانا العربي الدرقاوي رضي الله عنه في رسائله ونصه: مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام هو إمام الصوفية رضي الله عنه وعنهم وهو أكبرهم وهو قطبهم، وقد نص على هذا من لا يحصى من أئمة الصوفية المتقدمين والمتأخرين، وقال سيد الطائفة الجنيد رضي الله عنه: صاحبنا في هذا الأمر بعد النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ذلك امرؤ أعطى علماً لدنيا رواه أبو عبد الرحمن السلمي، ورواه أبو نصر السراج الطوسي في كتاب (اللمع) فقال: سمعت أحمد بن علي الوجيهي يقول سمعت أبا علي الروزباري يقول: سمعت الجنيد رحمه الله يقول: رضوان الله على أمير المؤمنين علي، لولا أنه اشتغل بالحروب لأفادنا من علمنا هذا معاني كثيرة، ذلك امرؤ أعطى العلم اللدني، والعلم اللدني هو العلم الذي خص به الخضر عليه السلام قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[1] قال: ولأمير المؤمنين علي رضي الله عنه خصوصية من بين جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، بمعاني جليلة، وإشارات لطيفة وألفاظ مفردة، وعبارة وبيان للتوحيد والمعرفة والإيمان والعلم وغير ذلك، وخصال شريفة تعلق وتخلق بها أهل الحقائق من الصوفية، وإن ذكرنا ذلك كله طال به الكتاب، ولكن نذكر من ذلك طرفاً نكتفي به عن التطويل فذكر عنه أشياء، منها: وقام رجل إلى علي رضي الله عنه فسأل عن الإيمان فقال: الإيمان على أربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد، ثم وصف الصبر على عشر

---

(١) هذه الآية من أدلة نبوة الخضر عليه السلام، لأن التعليم فيها بوحي، نظير قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ وقوله ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ ولم يرد في القرآن آية تفيد تعليم الله لشخص غير نبي، فهو كما قال المحققون نبي خص بعلم حقائق الأمور، واشتق الصوفية من اسمه مقام الخضرية للولي الذي يكون على قدمه، ويعطى بعض علومه.

مقامات، وكذلك اليقين والعدل، والجهاد، فوصف كل واحد منها على عشر مقامات، فإن صح ذلك عنه، فهو أول من تكلم في الأحوال والمقامات، وقال علي رضي الله عنه في حديث كميل بن زياد: «ها إن ها هنا علماً لو وجدت له حملة». وأشار إلى قلبه، فكان تخصيصه من بين الصحابة، بالبيان والعبارة عن التوحيد والمعرفة، ومن أتم المعاني وأعلا الأحوال. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾، ولا يبلغ العبد كمال الشرف إلا بالبيان، لأنه ليس كل من عقل يعلم، ولا كل من علم يحسن أن يبين. فإذا أعطى العبد العقل والعلم والبيان، فقد بلغ إلى الكمال. قال: والمشهور عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا إذا أشكل عليهم شيء من أمور الدين سألوا علياً رضي الله عنه، فكان يبين لهم الذي يشكل عليهم، وروي عن عمر رضي الله عنه، أنه قال: لولا علي لهلك عمر، ثم نقل السراج بعض أقواله، ثم قال: ولعلي رضي الله عنه أشباه ذلك كثير من الأحوال والأخلاق والأفعال، التي يتعلق بها أرباب القلوب وأهل الإشارات وأهل المواجيد من الصوفية اهـ. وقال الشيخ الأكبر رضي الله عنه، في الباب السادس من «الفتوحات المكية» في ذكر تجلى الهباء: فلم يكن أقرب إليه قبولاً من ذلك الهباء إلا حقيقة سيدنا محمد ﷺ المسمات بالعقل، فكان مبتدأ العالم بأسره، وأول ظهوره في الوجود. فكان ظهوره من ذلك النور الإلهي، ومن الهباء، ومن الحقيقة الكلية، وفي الهباء وجد عينه وعين العالم من تجليه، وأقرب الناس إليه علي بن أبي طالب إمام العالم بأسره وسر الأنبياء أجمعين اهـ.

وقال أيضاً في خطبة الفتوحات: ولما شهدته ﷺ في ذلك العالم سيداً معصوم المقاصد، محفوظ المشاهد، منصوراً مؤيداً، وجميع الرسل بين يديه مصطفون، وأمته التي هي خير أمة أخرجت للناس، عليه ملتفون، وملائكة التسخير من حول عرش مقامه حافون، والملائكة المولدة من الأعمال بين يديه صافون، والصديق عن يمينه الأنفس، والفاروق عن يساره الأقدس، والختم بين يديه قد جثا يخبره بحديث الأنثى، وعلي عليه السلام يترجم عن الختم بلسانه وذو النورين مشتمل برداء حيائه، مقبل على شأنه

اهـ. فتخصيص علي عليه السلام، للترجمة عن الختم الذي هو عيسى عليه السلام، دليل على أنه المخصوص من بين سائر الصحابة بعلوم المعرفة وحقائق الإيمان. وقال أيضاً في الباب الثلاثين في ذكر الأفراد، قال الجنيد: لا يبلغ أحد درجة الحقيقة، حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق، وذلك لأنهم يعلمون من الله ما لا يعلمه غيرهم، وهم أصحاب العلم الذي كان يقول فيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حين يضرب بيده على صدره ويتنهد: «إن ها هنا علوماً جمة لو وجدت لها حملة؟»، فإنه كان من الأفراد، بل أوحد الأفراد، باب مدينة العلم ودار الحكمة، ولم يسمع هذا من غيره في زمانه، إلا أبو هريرة رضي الله عنه، ذكر مثل هذا البخاري في صحيحه عنه: أنه قال حملت عن النبي صلى الله عليه وسلم وعاءين، أما واحد فبثثته فيكم وأما الآخر فلو بثثته قطع مني هذا البلعوم، فأبو هريرة ذكر أنه حمله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان فيه ناقلاً من غير ذوق، ولكنه علم لكونه سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم اهـ. أي بخلاف علي عليه السلام، فإنه كان حاملاً له عن ذوق، فلذلك كان إمام العارفين ومرجعهم دون غيره.

وقال القونوي «في شرح التعرف»، أما علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فكان رأس العارفين، وبجميع الأمة اتفاق على أنه كانت لعلي رضي الله عنه أنفاس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وله أقاويل لم يقلها قبله أحد، ولا أتى بمثلها بعده أحد، إلى أن قال يوماً وهو قائم على المنبر: سلوني عما دون العرش، فإن فيما بين الجوانح علماً جماً. هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في فمي، هذا ما زقني رسول الله صلى الله عليه وسلم زقاً زقاً، فوالذي نفسي بيده لو أذن للتوراة والإنجيل أن يتكلما لو وضعت وسادة فأخبرت بما فيهما فتصدقاني على ذلك. «نقله صاحب فصل الخطاب وشواهد النبوة».

وقال أبو العباس أحمد بن يوسف الفاسي في «المنح الصافية»، قال الشيوخ رضي الله عنهم في حق علي عليه السلام: أنه أعطى العلم اللدني، ولا تصح النسبة إلى الولاية التي هي منبع الولاية الحقيقية والمعارف الإلهية إلا من جهته وحقيقته، فهو إمام الأولياء المحمديين كلهم، وأصلهم ومنشأ انتسابهم إلى الحضرة المحمدية، ومظهر نور الولاية الأحمدية، حين انشق قمر النبوة والولاية المندرج أحدهما في الآخر، حيث غلب نور النبوة، وختم ظهوره

به ﷺ، الذي كان انشقاق القمر صورة لذلك الانشقاق، وهو باطنه وسره الظاهر بسبب ظهوره، فإن كل معنى لا بد وأن تظهر له صورة محسوسة، وهو أيضاً يعني علي بن أبي طالب أرفع عارف في الدنيا، من حيث ما خصه به رسول الله ﷺ بقوله: «أنا مدينة العلم وعلي[1] بابها»، وهو علم الحقيقة، فكان عليه السلام، بمنزلة الباب من المدينة، لا يخرج من المدينة شيء حتى يمر بالباب، فلهذا كان رضي الله عنه، له العلم التام، والكشف الحقيقي، وكشف معضلات الكلام العظيم، والكتاب القديم، الذي هو من أخص معجزاته ﷺ، بأوضح بيان، مع فضائل أخرى لا تحصى اهـ.

وقال الألوسي في التفسير عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ما نصه: والآية عند معظم المحدثين نزلت في علي عليه السلام، وكثير من الصوفية قدس الله أسرارهم يشير إلى القول بخلافته عليه السلام، بعد الرسول عليه الصلاة والسلام بلا فصل، إلا أن تلك الخلافة عندهم هي الخلافة الباطنية التي هي خلافة الإرشاد والتربية والإمداد الروحاني، لا الخلافة الصورية التي هي عبارة عن إقامة الحدود الظاهرة، وتجهيز الجيوش والذب عن بيضة الإسلام ومحاربة أعدائه بالسيف والسنان، فإن تلك عندهم على الترتيب الذي وقع، كما هو مذهب أهل السنة، والفرق عندهم بين الخلافتين، كالفرق بين القشر واللب، فالخلافة الباطنة لب الخلافة الظاهرة، وبها يذب عن حقيقة الإسلام، وبالظاهرة يذب عن صورته (وهي مرتبة القطب، في كل عصر، وقد تجتمع مع الخلافة الظاهرة كما اجتمعت في علي عليه السلام أيام إمارته، وكما تجتمع في المهدي أيام ظهوره، وهي والنبوة رضيعا ثدي، وإلى ذلك الإشارة بما يروونه عنه عليه الصلاة والسلام، من قوله عليه الصلاة والسلام: «خلقت أنا وعلي من نور واحد»، وكانت هذه الخلافة فيه عليه السلام على الوجه الأتم، ومن هنا كانت سلاسل أهل الله عز وجل منتهية إليه، إلا ما هو أعز من بيض الأنوق، فإنه ينتهي إلى الصديق رضي الله عنه

---

(١) اقرأ كتاب فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي للإمام الحافظ المرحوم مؤلف هذا الكتاب قدس الله سره ونور ضريحه.

كسلسلة ساداتنا النقشبندية نفعنا الله تعالى بعلومهم وأسرارهم، ومع هذا ترد عليه عليه السلام أيضاً، وبتقسيم الخلافة إلى هذين القسمين، جمع بعض العارفين بين الأحاديث المشعرة أو المصرحة بخلافة الأئمة الثلاثة بعد رسول الله ﷺ على الترتيب المعلوم، وبين الأحاديث المشعرة أو المصرحة، بخلافة الإمام عليه السلام بعده عليه الصلاة والسلام، بلا فصل، فحمل الأحاديث الواردة في خلافة الخلفاء الثلاثة على الخلافة الظاهرة، والأحاديث الواردة في خلافة الإمام كرم الله تعالى وجهه على الخلافة الباطنة، ولم يعطل شيئاً من الأخبار، وقال بحقيقة الخلافة الأربعة رضي الله عنهم أجمعين اهـ.

قلت: والحديث المتقدم في كلامه أخرجه الخطيب من حديث موسى ابن جعفر ابن محمد عن أبيه عن جده بلفظ «من طينة واحدة»، وقال جدنا من قبل الأم العارف أبو العباس أحمد بن عجيبة في «إيقاظ الهمم بشرح الحكم» لما تكلم على مبادىء علم التصوف: وأما واضع هذا العلم فهو النبي ﷺ علمه الله إياه بالوحي والإلهام، فنزل جبريل عليه السلام أولاً بالشريعة، فلما تقررت نزل ثانياً بالحقيقة، فخص بها بعضاً دون بعض، وأول من تكلم وأظهره سيدنا علي عليه السلام، وأخذه عنه الحسن البصري الخ، وسبقه إلى نحو هذا الحافظ السيوطي في كتابه «تأييد الحقيقة العلية» حاكياً له عن غيره، أعني كون علي عليه السلام، هو أول من تكلم في علم التصوف، وكذا قال العارف الحراق في شرح الحكم: أول من تكلم في هذا العلم وأظهره سيدنا علي رضي الله عنه، ثم أخذه عنه أول الأقطاب سيدنا الحسن ولده اهـ.

قال الإمام ابن الفارض في تائيته مشيراً إلى النبي ﷺ:

بعترته استغنت عن الرسل الورى وأصحابه والتابعين الأئمة

قال شارحها الفرغني بعد كلام: وإنما قدم ذكر العترة على ذكر الصحابة لأن علوم الحقيقة والطريقة، ما ظهرت أولاً، إلا بوساطتهم ونسبة الولاية والخرقة لا تتصل إلا بهم رضوان الله عليهم أجمعين اهـ.

وقال الشاه أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي في كتابه: «الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين» سألت رسول الله ﷺ سؤالاً روحانياً، عن سر تفضيل

الشيخين عن عليّ رضي الله عنهم مع أنه أشرفهم نسباً، وأقضاهم حكماً، وأشجعهم جناناً، والصوفية جميعاً ينتسبون إليه، ففاض على قلبي منه ﷺ وجهان ظاهر وباطن: فالوجه الظاهر إلى إقامة العدل في الناس وتأليفهم وإرشادهم إلى ظاهر الشريعة، وهما أي الشيخان بمنزلة الجوارح له في ذلك. والوجه الباطن إلى مرتبة الفناء والبقاء وإرشاده إلى باطن الشريعة، وعليّ بمرتبة الجوانح له هنالك اهـ.

وقال المناوي في «فيض القدير» في الكلام على حديث: (خمس من أوتيهن لم يعذر على ترك عمل الآخرة: زوجة صالحة، وبنون أبرار، وحسن مخالطة الناس، ومعيشة في بلده، وحب آل محمد ﷺ) ما نصه: قال الحرّالي: سلسلة أهل الطريق تنتهي من كل وجه من جهة المشايخ والمريدين إلى أهل البيت، فجهات طرق المشايخ ترجع عامتها إلى تاج العارفين أبي القاسم الجنيد، وبداية أبي القاسم أخذها من خاله السري، والسري ائتم بمعروف، ومعروف مولى علي بن موسى الرضا وهو عن آبائه رضي الله تعالى عنهم فرجع الكل إلى علي (أولئك حزب الله) اهـ.

وقد حمل كثير من الأئمة والعارفين الأحاديث الواردة في فضل علي عليه السلام بما يشير أو يصرح بتقديمه على الشيخين رضي الله عنهما أو اختصاصه بالأمر دونهما كحديث المؤاخاة وحديث الموالاة وأحاديث الوصية وأحاديث الأعلمية وحديث التبليغ وحديث السفينة[1] ونحوها على هذا الأمر وهو اختصاص علي عليه السلام بالحقائق العرفانية، والخلافة الباطنية،

---

(١) حديث المؤاخاة ـ وإن كان ضعيف السند يصححه ويقويه حديث «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». وهو مخرج في الصحيحين وغيرهما وحديث الموالاة. أفرده الحافظ ابن عقدة بكتاب ضخم جمع فيه طرقه الكثيرة، وسماه كتاب الموالاة، ومعظم أسانيده جيدة كما قال الحافظ ابن حجر، وأن بعض نواصب العصر أضله الله على علم فادعى وضعه، مع أنه في الصحيحين، بل ذكره الحافظ السيوطي رضي الله عنه في المتواتر، لكثرة طرقه التي زادت على عشرين وحديث الوصية أفرده الشوكاني برسالة مطبوعة بيّن فيها طرقه، وشرح معناه، وحديث الأعلمية صحيح ثابت ولقد بلغ في اشتهاره بين أهل الحديث أن الحافظ تقي الدين علياً بن عبد الكافي السبكي، حين ولي خطابة الجامع الأموي بدمشق، هنأه الحافظ =

وكونه باباً موصلاً للعارفين إلى الحضرة الأحمدية، دون غيره من الصحابة، وأن النبي ﷺ إنما أشار بتلك الأحاديث إلى هذا المعنى الذي هو أجل وأعلى، وأكمل وأفضل، من غيره، مع مشاركة علي عليه السلام لهم في غيره، ولما لم يفهم أهل الظاهر مراده ﷺ من تلك الأحاديث ظنوا أنها متعارضة، فانقسموا لذلك قسمين وافترقوا فرقتين، فرقة تمسكت بأحاديث علي عليه السلام إذ رأتها مصرحة بخلافته ووصايته وأعلميته ووجوب موالاته، ورأت أن الحق معها ففسقت مقابلتها وضللتها لمخالفتها ظاهر النصوص في نظرها وهم الشيعة، وفرقة تمسكت بأحاديث الخلفاء الثلاثة إذ رأتها مؤيدة بإشارات وقرائن، ومطابقة لما جرى به القلم، وبرز للعيان ففسقت مقابلتها وضللتها إذ رأتها خارجة عن الحق، ناكبة عن الطريق، وهم الجمهور ثم سلك كل فريق في الأحاديث المخالفة لرأيه مسلك الإعراض بالطعن والتضعيف، والرد والتزييف، مع غلو وإفراط، وتجاوز للحد وإسراف لعجزهم عن الجمع بين الدليلين، والتوفيق بين الطرفين، والحق خلاف المسلكين، وبعيد عن الفريقين، ولو فهموا من تلك النصوص ما فهمه الصوفية رضي الله عنهم، لرأوها متفقة غير مختلفة، إذ ما كان من عند الله لا يختلف (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً).

وقال الإمام الحافظ الصوفي أبو عبد الله محمد بن قاسم التركماني (في القول المستحسن) بعد إيراده طرق حديث (من كنت مولاه فعلي مولاه) وتبيين معنى الولاية والرد على الرافضة في حملهم الولاية في الحديث على

= الذهبي ببيتين من الشعر، وروى فيهما بهذا الحديث، فقال:

لبهن المنبر الأموي لما ... علاه الحافظ الحبر التقي

قضاة العصر أخطبهم جميعا ... وأعلمهم وأقضاهم على

وحديث التبليغ، في صحيح البخاري في قصة نزول براءة في حجة الوداع، وفيه أن النبي ﷺ بعث أبا بكر رضي الله عنه يقرأ على الناس سورة براءة وما فيها من العهود، ثم بعث في إثره من رده، وبعث بدله علياً عليه السلام، فجزع أبو بكر، وقال: هل حدث شيء يا رسول الله؟ قال: «لا»، ولكن لا يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني» وحديث السفينة، صحيح بطرقه الكثيرة، لكن لفظ روايته المشهورة «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك» وعلى رئيس أهل البيت عليه السلام.

الولاية الظاهرة بما فيه طول ما نصه: ولما امتنع حمل الولاية في الحديث على الولاية الظاهرة تعين حملها على الولاية الباطنة، إذ لا ثالث البتة، وهو المعنّى بما رواه أحمد في مسنده والنسائي في خصائص علي والطحاوي في مشكل الأثار وابن عساكر في الموافقات والأربعين الطوال بسند صحيح عن ابن عباس: أن النبيﷺ قال لعلي (لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي) زاد النسائي (وأنت ولي كل مؤمن بعدي) فهذه الولاية الباطنة ولاية نعمة العلم والحكمة وهي مرتبة الختمية الخاصة كما يكون في مرتبة القطبية الغوثية والفردية والوتدية والبدلية وغيرها وقد قال علي رضي الله عنه في وصيته لكميل: الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع إلى قوله: ها ها، إن ها هنا ـ وأشار إلى صدره ـ علماً لو أصبت له حملة إلى قوله اللهم بلى لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مشهور، وإما مستور مغمور لكيلا لا تبطل حجج الله وبيناته أولئك الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم، فيزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر، تلك أبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء الله في بلاده، والدعاة إلى دينه إلخ ففيه رد على من ينكر من أهل السنة والشيعة حمل خبر المولى على ولاية العلم، دون خلافة الحكم، ويؤيد ذلك حديث (اللهم ارحم خلفائي) ثلاث مرات، قيل يا رسول الله: ومن خلفاؤك؟ قال: (الذين يأتون من بعدي يروون أحاديثي ويعلمونها الناس)[1]، رواه الطبراني والخطيب في شرف أصحاب الحديث من حديث عليعليه السلام قال: ويدل على إمامته لفقراء الظاهر أمراء الباطن، حديث يا علي إن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إلى الله تعالى منها هي زينة الأبرار عند الله الزهد في الدنيا فجعلك لا ترزأ من الدنيا شيئاً ولا ترزأ

---

(١) منه أخذ أهل الحديث، لقب «أمير المؤمنين في الحديث» وهو أعلى رتبة في الحفظ عندهم، ناله أفراد قلائل، منهم: شعبة، محمد بن إسحاق، مالك، البخاري وآخرهم ابن حجر العسقلاني. تليها ـ في النزول رتبة الحافظ، ثم المفيد، ثم المحدث ثم المسند. أما (الحجة فمن مراتب التوثيق، وليس عندهم رتبة الحاكم).

منك الدنيا شيئاً ووصب لك رحب المساكين فجعلك ترضى بهم أتباعاً ويرضون بك إماماً) رواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية من حديث عمار بن ياسر، وعزاه المحب الطبري لأبي الخير الحاكي، وصاحب الاكتفاء لعبد الله بن سبع الأندلسي في الشفا، وذكره الحافظ السيوطي في جمع الجوامع، وسكت عليه مع التزامه ألا يذكر فيه حديثاً موضوعاً.

وروى الإمام أحمد في كتاب الزهد عن وهب بن منبه، قال: أوحى الله إلى عيسى إني وصيت لك حب المساكين ورحمتهم، تحبهم ويحبونك، ويرضون بك إماماً وقائداً، وترضى بهم صحابة وتبعاً، فهذا في خاتم الولاية العامة عيسى عليه السلام شاهد عدل لذلك وختم الولاية الخاصة علي عليه السلام وإلى هذا ونحوه الإشارة في تكنية النبي ﷺ إياه بأبي تراب، قال العارف بالله المعروف بالباقي بالله، شيخ السادة النقشبندية في كتابه (المثوى) ما معناه: أن التراب إشارة إلى وجود أهل التوحيد والفناء، فيكون حاصل معنى أبي تراب: أنه رضي الله عنه هو الأصل المقتدى به في هذا المعنى والمرجع لطائفة الفقراء أرباب الفناء الكمل، فلا جرم كانت سلاسل مشايخ الطريق تنتهي إليه اهـ. وقد تبعه على هذا الفاضل الصالح الجليل عبد الحق الدهلوي في شرح (سفر السعادة) وسبقهما إلى نحوه من الإشارة الصوفية العلامة عصام الدين إبراهيم بن عرب شاه الإسفراييني في شرح شمائل النبي ﷺ للترمذي، وقد أشعر بهذا الأمر علامة النقشبندية المولى عبد الرحمن الجامي في (ديوانه) وفي (شواهد النبوة)، ونقل مثل ذلك عن شرح التعرف، ونقل المناوي عن الحراني أن سلسلة أهل الطريق تنتهي من كل وجه إلى أهل البيت، والكل يرجع إلى علي عليه السلام، وإلى ذلك الإشارة بحديث (ألا إن أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك) وفي لفظ (غرق) رواه أحمد وابن جرير والحاكم من حديث أبي ذر والبزار من حديث ابن عباس، وابن الزبير، والدولابي (في الكنى) من حديث أبي الطفيل، ولابن أبي شيبة، بسند صحيح عن علي رضي الله عنه (إنما مثلنا في هذه الأمة كسفينة نوح وكباب حطه في بني إسرائيل) وحديث «سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي» لما نزل قول الله تعالى ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ فقال علي: ما سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً فنسيته، وحديث «يا

علي إن الله أمرني أن أدنيك وأعلمك لتعي، أنزلت هذه الآية ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ فأنت أذن واعية لعلمي» رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والواحدي وابن النجار عن بريدة ومن الأدلة الأجلة لذلك حديث «إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة وإن تؤمروا عمر تجدوه قوياً أميناً لا يخاف في الله لومة لائم، وإن تؤمروا علياً ولا أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الطريق المستقيم» وفي لفظ حذيفة (يقيمكم على صراط مستقيم) فهذا الحديث الصحيح، كالنص الصريح في تقديم عليّ على الشيخين رضي الله عنهم، في هداية الخليفة للطريقة الحقة ومعرفة الحقيقة المعبر عنها بالصراط المستقيم، وما وصفا به هو كما ترى في ضمنها ولا يخفى أنه إنما اهتدى بعليّ، على نحو الخصوصية العرفاء الصوفية، وأما سلاسل الفقهاء فكلهم مشترك فيها مع كونه أفقههم وأقضاهم كما ورد مرفوعاً وموقوفاً. وفي الصحيحين قوله ﷺ في قصة خيبر (فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) هذا في الظاهر فما ظنك بالباطن الباهر، وللبغوي في معجمه عن بريدة أن النبي ﷺ قال (لكل نبي وصي ووارث وأن علياً وصيي ووارثي).

وقال ابن أبي شيبة في كتاب الأوائل من (المصنف): حدثنا أحمد بن عبد الملك بن واقد حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق قال: قيل لقثم كيف ورث علي النبي ﷺ دونكم؟ قال: إنه والله كان أولنا به لحوقاً وأشدنا به لزوقاً،وفي حديث المؤاخاة عن زيد بن أبي أوفى أن النبي ﷺ قال لعلي «أنت أخي ووارثي»، قال: وما أرث منك يا رسول الله؟ قال: «ما ورث الأنبياء من قبلي كتاب ربهم وسنة نبيهم»،رواه ابن عساكر في الأربعين الطوال، وعزى لأحمد في المناقب، وفي حديث معاذ: قال علي يا رسول الله: ما أرث منك قال: «ما يرث النبيون بعضهم من بعض كتاب الله وسنة نبيه» رواه الملا في سيرته، ولا وجه للتخصيص إلا بأن يراد القسط الأوفى من فهم لطائفهما ومعارفهما وحقائقهما ودقائقهما.

وقال الشاه الدهلوي في التفهيمات: وعلى رضي الله عنه ورث من النبي ﷺ الحكمة كاملة، ثم ذهب إلى القرب الملكوتي، ثم نزل في شرح

رسول الله ﷺ للشرع واستوطنها، ولذا سمى نفسه بالوصي، وهذه هي الوصاية، وقال: لا بد لكل نبي من الوصي، وكذا الوصاية عندنا حكمة، ثم تحمل شرع النبي ﷺ، وعلومه، وتكفل لأمته بالدعاء، ومنصبه أن يكون خازن علم النبي ﷺ، وحامل وحيه اهـ.

قلت: وأثر قثم الذي عزاه لابن أبي شيبة أخرجه ابن عساكر بسند صحيح، وزاد: فلما بلغ هذا الخبر إسماعيل القاضي إمام المالكية في عصره، قال: إنما يرث الوارث بالنسب والولاء، ولا خلاف أن العم مقدم على ابن العم، فصح أن علياً ورث العلم من النبي ﷺ دونهم.

قلت: وهذا معلوم بالضرورة لأهل العلم بالحديث والسير، فإن علياً عليه السلام لم يرث من النبي ﷺ شيئاً من متاع الدنيا، وذلك كان معلوماً بالضرورة أيضاً لأهل ذلك العصر: أن النبي ﷺ لا يورث، فأبو إسحاق لم يسأل عن وراثة المال، وإنما سأل عن وراثة العلم، لما رأى علياً مختصاً به دونهم، كما كان ذلك مشهوراً بين الصحابة والتابعين.

قال سعيد بن المسيب كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن، وكان يقول لولا عليّ لهلك عمر، رواه ابن أبي خيثمة، وكذلك كان رضي الله عنه يقول عند مسألة علي لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن.

قال ابن الأثير في (أسد الغابة) بعد إيراده أثارا في علم علي عليه السلام: ولو ذكرنا ما سأله الصحابة مثل عمر وغيره رضي الله عنهم لأطلنا اهـ. بل نص المناوي في الشرح الكبير: على أن عمر رضي الله عنه لم يول علياً عليه السلام شيئاً من البعوث أيام خلافته احتياجاً إلى علمه، وتوقفا عليه في حل المشكلات وفك المعضلات، وقد ورد عنه من طرق متعددة، في الصحيح وغيره أنه كان يقول: عليّ أقضانا، قال بعض العارفين: وإنما يكون أقضى من كان أعلم.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا له ظهر وبطن وإن علياً بن أبي طالب عنده علم

الظاهر والباطن، رواه أبو نعيم في الحلية.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما كنا نتحدث أن النبيﷺ عهد إلى عليّ سبعين عهداً لم يعهدها إلى غيره رواه الطبراني في الصغير وأبو نعيم في الحلية.

وقال أيضاً: والله لقد أعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم. وأيم الله لقد شارككم في العشر العاشر رواه ابن عبد البر وروى طاووس عنه أيضاً؟ قال: كان علي والله قد مليء علماً وحلماً.

وقال عمرو بن العاص: قلت لعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة: يا عم لم كان صغو[1] الناس إلى عليّ؟ قال: يا ابن أخي إن علياً كان له ما شئت من ضرس قاطع في العلم، وكان له البسطة في العشيرة والقدم في الإسلام، والصهر لرسول اللهﷺ، والفقه في السنة، والنجدة في الحرب، والجود في الماعون، ذكره ابن عبد البر.

وروى الحاكم في المستدرك عن الأسود بن يزيد النخعي، قال: لما بويع علي بن أبي طالب على منبر رسول اللهﷺ، قال: خزيمة[2] بن ثابت وهو واقف بين يدي المنبر:

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا ... أبو حسن مما نخاف من الفتن
وجدناه أولى الناس بالناس أنه ... أطب قريش بالكتاب وبالسنن

وهكذا شهدت له عائشة رضي الله عنها بأنه كان أعلم الناس بالسنن، فروى ابن أبي خيثمة عن جابر قال: قالت عائشة من أفتاكم بصوم عاشوراء؟ قالوا: عليّ، قالت: أما أنه أعلم الناس بالسنة. وكانت كثيراً ما ترجع إليه في المسائل.

وذكر ابن عبد البر أن معاوية لما بلغه قتل علي رضي الله عنه، قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب:

---

(١) ميلهم واستماعهم.

(٢) صحابي جليل جعل النبيﷺ شهادته بشهادة رجلين.

وروى أبو نعيم عن هبيرة بن يريم: أن الحسن بن عليّ عليه السلام قام وخطب الناس، وقال في أبيه: لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأولون، ولم يدركه الآخرون بعلم.

وقال سعيد بن المسيب: ما كان أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أعلم من علي بن أبي طالب. رواه الدولابي (في الكنى والأسماء).

وروى ابن أبي خيثمة عنه أيضاً أنه قال: ما كان أحد من الناس يقول: سلوني غير علي بن أبي طالب، وقال عبد الملك بن أبي سليمان قلت لعطاء كان في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أحد أعلم من عليّ بن أبي طالب؟ قال: لا والله ما أعلمه، وقال الحسن البصري وقد سئل عن علي عليه السلام: كان علي والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوه، ورباني هذه الأمة، وذا فضلها وذا سابقتها وذا قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وآله، لم يكن بالنؤومة عن أمر الله. ولا بالملومة في دين الله، ولا بالسروقة لمال الله، أعطى القرآن عزائمه، ففاز منه برياض مونقة، ونصوص الصحابة والتابعين بهذا لا تكاد تنحصر، بل أعلمية علي عليه السلام معلومة بالتواتر المفيد للعلم الضروري اليقيني، لكل من خالط كتب السنة والسير والتاريخ، وعصمه الله من بدعة النصب والانحراف عن علي وآله الكرام، وكذلك نصوص الصوفية رضي الله عنهم، على تقديم علي رضي الله عنه على غيره في الحقائق الإيمانية، والأحوال العرفانية، بل هو اتفاق منهم كما سبق، لا كما يفتريه ابن تيمية، ويشهد لهذا أخبار النبي صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى بأن علياً عليه السلام أعلم أصحابه. فقد صح عنه صلى الله عليه وآله من طرق متعددة أنه قال لفاطمة عليها السلام، «أما ترضين أني زوجتك أقدم أمتي سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً» وفي رواية زوجتك «أعلم المؤمنين وأقدمهم سلماً وأفضلهم حلماً» رواه أحمد في مسنده من حديث معقل بن يسار بسند صحيح، ورواه الطبراني من وجه آخر بسند صحيح أيضاً، من مرسل أبي إسحاق وابن عساكر موصولاً من رواية أبي إسحاق عن أنس وابن عساكر أيضاً من حديث عائشة عن فاطمة عليها السلام ومن حديث أسماء بنت عميس، ورواه الخطيب (في المتفق والمفترق) وابن عساكر من حديث بريدة، وورد

أيضاً من حديث ابن عباس وأبي هريرة وعلي بن أبي طالب بسند صححه ابن جرير.

وقال ابن مسعود كنت عند النبيﷺ فسئل عن علي فقال: «قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطي عليّ تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً» رواه أبو نعيم في الحلية.

وروى الديلمي في مسند الفردوس من حديث سلمان رضي الله عنه، قال: قال رسول اللهﷺ «أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب».

وورد نحوه من حديث معاذ بن جبل وعمر وابن عباس، وفي معناه الحديث الوارد عن النبيﷺ أنه قال «أفضى أمتي علي بن أبي طالب»، رواه الطبراني في الصغير من حديث جابر بن عبد الله، ورواه البغوي في شرح السنة من حديث أنس بن مالك، وعبد الرزاق في (المصنف) من مرسل قتادة قال الحافظ في الفتح، ورويناه موصولاً في فوائد أبي بكر محمد بن العباس بن نجيح من حديث أبي سعيد الخدري، ورواه أبو يعلى مطولاً من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب. وكذلك هو عند الترمذي والطحاوي في (مشكل الآثار) من حديث أنس.

قال: السجزي في (فوائد الفؤاد) ذكر سلطان المشايخ محمد نظام الدين مهابة عمر رضي الله عنه، وقوله: لولا علي لهلك عمر في قصتين وقعتا له، فقال: ومع تلك الدرجة العظيمة كان بالنسبة إلى عليعليه السلام كما ترى. وقد قال ﷺ للصحابة «أقضاكم علي» وإنما يكون أقضى من كان أعلم اهـ.

وورد عنه ﷺ من طرق متعددة: أنه قال «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه» وهو حديث صحيح، رواه ابن جرير في تهذيب الآثار والحاكم في المستدرك. وقال صحيح الإسناد، والطبراني في الكبير وأبو محمد السمرقندي في (بحر الأسانيد في صحاح المسانيد) وخيثمة بن سليمان في (الفضائل) والخطيب (في التاريخ) من طرق متعددة من حديث ابن عباس، وصححه إمام أهل الجرح والتعديل يحيى بن معين، وغيره من الحفاظ ورواه الترمذي في سننه، وابن جرير في (تهذيب الآثار)

وأبو الحسن علي بن عمر الحربي في أماليه والخطيب في (تلخيص المتشابه) وابن النجار (في التاريخ) من طرق عن عليّ عليه السلام، ولفظ الترمذي وابن جرير «أنا دار الحكمة وعلي بابها» وقال ابن جرير هذا خبر عندنا صحيح سنده ورواه الحاكم في المستدرك، والخطيب في التاريخ، وابن عدي في الكامل، من حديث جابر بن عبد الله، وقال الحاكم: إسناده صحيح، وهو أعظم دليل، وأوضح برهان على تخصيص علي عليه السلام بعلوم الحقائق والعرفان، وأنه لا يصل واصل إليها إلا من بابه، وإلا كان مدلول الحديث غير مطابق للواقع، إذا حمل على مطلق العلم، لأن علياً عليه السلام لم ينفرد به وحده، حتى يكون هو بابه، بل شاركه جماعة من الصحابة في رواية العلم علم الظاهر، ونقله عن النبي صلى الله عليه وسلم فهم في ذلك كلهم أبواب للوصول إليه، والنبي صلى الله عليه وسلم خص علياً وحده بكونه الباب الموصل إلى مدينة العلم، فكان صريحاً في تخصيصه، رضي الله عنه بعلم الباطن، الذي هو نتيجة العمل بالعلم الظاهر، وهو العلم الحقيقي المقصود بالذات، ولذا عبر عنه في الرواية الأخرى بالحكمة، ولما لم يفهم الناس هذا المعنى من الحديث، وحملوه على مطلق العلم وجدوه معارضاً للواقع مخالفاً للمشاهد فلجأوا إلى رده والطعن في أسانيده وتجريح رواته بما لا يقبله عقل، ولا يوافقه نقل، مخالفين بذلك كل ما أصّلوه من أصول وقعّدوه من قواعد. وقد أبطلنا شبههم في ذلك بما لا مزيد عليه في كتابنا (فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي) وهو مطبوع فارجع إليه؛ فإنه يفيدك العلم القطعي بصحة هذا الحديث؛ وبالطريق التي سلكها الصوفية رضي الله عنهم في فهم هذه الأحاديث ينحل كل أشكال في الباب كما سبق والله أعلم.

فصل

الوجه الثاني: أنه إذا قصد بأهل الحقائق الإيمانية، علماء الظاهر فحكاية الاتفاق عنهم كذب أيضاً، فإن كثيراً منهم، مع تفضيلهم الشيخين رضي الله عنهما مصرحون بأعلمية عليّ عليه السلام، من عصر الصحابة والتابعين، إلى عصر ابن تيمية وابن خلدون، وابن تيمية أعرف الناس بذلك، ولكنه

يفتري الكذب ويتجاهل لنصرة رأيه، وغمط حق المولى علي عليه السلام، بل كل من يصرح بأعلمية أبي بكر على عليّ رضي الله عنهما، فإنما يباهت، وينكر ما يكاد يعلمه من نفسه بالضرورة، بل هو معلوم له بالضرورة جزماً، وإنما يحمله على هذا البهت، ظنه أن الأعلمية تنافي الأفضلية المقررة عند الأشاعرة والماتريدية، والمفضلون لعليّ على الشيخين رضي الله عنهم، متفقون أيضاً على أعلمية علي عليه السلام، كما سيأتي، فلو قال قائل: إن الاتفاق حاصل على نقيض ما قال ابن تيمية، لكان هو المصيب الموافق للواقع، ويكفي أن المثل إنما يضرب بعلم علي لا بعلم أبي بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين.

قال الإمام الحافظ موفق الدين بن قدامة في كتاب «إثبات صفات العلو لله». واعلم رحمك الله أنه ليس من شرط صحة التواتر الذي يحصل به اليقين، أن يوجد التواتر في جزء واحد، بل متى نقلت أخبار كثيرة في معنى واحد، من طرق يصدق بعضها بعضاً، ولم يأت ما يكذبها، أو يقدح فيها، حتى استقر ذلك في القلوب، واستيقنته، فقد حصل التواتر، وثبت القطع واليقين، فإنا نتيقن جود حاتم، وإن كان لم يرديه خبر واحد مرضى الإسناد، لوجود ما ذكرنا وكذلك عدل عمر، وشجاعة علي وعلمه عليه السلام اهـ.

فصل

فهذا أحد أئمة مذهبه الحنبلي يضرب المثل للتواتر المعنوي بتواتر علم علي، لا بتواتر علم أبي بكر رضي الله عنهما، وذلك مما يكذب ابن تيمية في حكايته الاتفاق عن أهل الحقائق الإيمانية.

الوجه الثالث: إنه إذا كان عمدته في حكاية الاتفاق هو ما يذهبون إليه من تفضيل الشيخين على عليّ رضي الله عنهم، فهو أيضاً باطل لعدم اتفاقهم على ذلك، بل هم مختلفون في التفضيل بين علي والشيخين، وبين علي وعثمان، رضي الله عنهم، وإنما الاتفاق واقع على أن الإمام الحق بعد رسول الله ﷺ هو أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، على هذا الترتيب، وهذا لا يلزم منه الأفضلية. حتى يقع الاتفاق عليها، بل قد يلي الخلافة

المفضول، مع وجود الفاضل، إذ لم يرد نص من الشارع باشتراط الأفضلية للخلافة، حتى يكون السابق لها هو الأفضل. بل الأسبقية وقعت على وفق ما جرى به القلم في علم الله تعالى، أن يكون هو السابق لها بحسب تقدمه في الزمان، كما يقوله الشيخ الأكبر رضي الله عنه أو بحسب ما كان أصلح لها في عصره، كما يقوله بعض كبار الأئمة من الصوفية المحدثين، لا من كان أفضل وأعلم كما يظنه من لا تحقيق معه ممن راجت عليه دسائس الدساسين وقد ذهب إلى تفضيل عليّ عليه السلام على سائر الصحابة جماعة من الصحابة والتابعين والسلف الصالح، وذهب آخرون إلى الوقف وعدم التفضيل والخوض فيه، لعدم ثبوت الدليل على ذلك، وذهب آخرون إلى القول بالتفضيل على حسب ترتيب الخلافة، ثم اختلفوا، فذهب جماعة إلى أنه في الظاهر دون الباطن وأن الأمر قد يكون في الواقع ونفس الأمر خلاف الظاهر، وذهب المحققون من الأشاعرة إلى أن التفضيل ظني، وأن الأمر قد يكون على خلاف المظنون، ومن ذهب منهم إلى أن التفضيل قطعي لم يستند على ما يشبه الدليل، فضلاً عما يفيد القطع، غاية ما في الباب أدلة تشير إلى خلافة أبي بكر بعد النبي ﷺ وتقديمه في بعض المواقف، احتراماً لمنصبه الجليل، ومراعاة لفضله وأياديه البيضاء في الإسلام، وإكرامه النبي ﷺ بما له به المنة على رقبة كل مؤمن محب لله ولرسوله ﷺ، وذلك لا يفيد القطع بأفضليته من كل الوجوه، ولا على تقدمه على غيره من سائر النواحي، وأما قول عبد الله بن عمر: كنا نخير بين الناس في زمن رسول الله ﷺ، فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان، ثم نترك أصحاب رسول الله ﷺ، فلا نفاضل بينهم، فمتروك الظاهر بإجماع أهل السنة على تفضيل علي بعد عثمان، بل قد رده كثير من السلف وأئمة السنة على ابن عمر رضي الله عنهما، حتى قال بعض الحفاظ إن ابن عمر كان صغير السن، لم يعرف كيف يطلق امرأته، فكيف يعرف الأفضل من الصحابة، ورده ابن معين أيضاً بكلام غليظ فيما حكاه ابن عبد البر ولم يصرح بهذا الكلام الغليظ، فقال: من قال بحديث ابن عمر: كنا نقول على عهد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، ثم نسكت. يعني فلا نفاضل، فهذا الذي أنكره ابن معين وتكلم فيه بكلام غليظ، لأن القائل بذلك قد قال بخلاف ما اجتمع عليه أهل السنة من السلف والخلف

من أهل الفقه والأثر، أن علياً أفضل الناس بعد عثمان رضي الله عنه، وهذا مما لم يختلف فيه، وإنما اختلفوا في تفضيل علي وعثمان، واختلف السلف أيضاً في تفضيل عليّ على أبي بكْر، وفي إجماع الجميع الذي وصفنا دليل على أن حديث ابن عمر وهم وغلط وأنه لا يصح معناه، وإن كان سنده صحيحاً، ويلزم من قال به أن يقول بحديث جابر وأبي سعيد كنا نبيع أمهات الأولاد على عهد رسول الله ﷺ، وهم لا يقولون بذلك، فقد ناقضوا اهـ.

قلت: وقد ورد عن ابن عمر ما يبين مراده من قوله السابق بما يوافق ما ذهب إليه أهل التحقيق، من أن ذلك فيما يتعلق بالخلافة، لا بالأفضلية، فروى ابن عساكر من طريق عبد الله بن يسار عن سالم عن ابن عمر، قال: إنكم لتعلمون أنا كنا نقول على عهد رسول الله ﷺ: أبو بكْر، وعمر، وعثمان. نعني في الخلافة، وروي أيضاً من طريق عبيد الله بن عمر، عن نافع عن ابن عمر، قال: كنا نقول في عهد رسول الله ﷺ من يكون أولى الناس بهذا الأمر، فنقول: أبو بكْر، ثم عمر، وأسانيد هذا الخبر صحيحة، وهو رافع لكل إشكال، دافع لكل إبهام، واللفظ الأول المختصر المبهم هو أصرح نص تمسك به المفضلون، للخلفاء الثلاثة على عليّ رضي الله عنهم، وبهذه الرواية الصحيحة المفسرة يسقط تمسكهم به، وينهار ما بنوه عليه، وقد ذهب بعض الأئمة إلى تأويل آخر لهذا الخبر، ومسلك ثان في حل هذا الإشكال، فحكى الإمام أبو سليمان الخطابي في شرح السنن عن بعض شيوخه أنه كان يقول: أبو بكْر خير، وعلى أفضل، قال: وباب الخيرية غير باب الفضيلة، قال: وهذا كما تقول أن الحر الهاشمي أفضل من العبد الرومي والحبشي، وقد يكون العبد الحبشي خيراً من الهاشمي في معنى الطاعة لله والمنفعة للناس، فباب الخيرية متعد وباب الفضيلة لازم. اهـ. وهو حل لفظي راجع إلى معنى الخلاف، والحق ما صرحت به الرواية الأخيرة، عن ابن عمر من انحصار تقديم الخلفاء الثلاثة في الخلافة، لا في العلم والفضل، والخلافة الباطنة، فإن هذا هو الذي يقتضيه الدليل، ويؤيده الكشف الصريح.

قال: الشيخ الأكبر في الفتوحات المكية في الباب الثاني والخمسين

والخمسمائة ما نصه: والذي أطلعني الله تعالى عليه من طريق كشفنا أن تقديم شخص بالإمامة على آخر، إنما هو تقدم بالزمان، ولا يلزم منه تقدم بالفضل، فإن الله تعالى قد أمرنا باتباع ملة أبينا إبراهيم، وليس ذلك لكونه أحق بها من سيدنا ومولانا محمدﷺ، وإنما هي لتقدمه بالزمان، فإن للزمان حكماً في التقدم، من حيث هو زمان، لا من حيث المرتبة، وذلك كالخلافة بعد رسول اللهﷺ، فإن من حكمة الله تعالى ترتيبها بحسب الأجال والأعمار التي قدرها الله عز وجل، أيام ولاية كل واحد على التعين، مع أن كل واحد أهل لها حال ولاية الآخر، وقد سبق في علم الله أنه لا بد من ولاية كل واحد من الخلفاء الأربعة على الترتيب الذي وقع، حتى لو قدر أن المتأخر تقدم فلا بد من خلعه حتى يلي أحدهم من لا بد له من الولاية بعده عند الله تعالى، فكان في ترتيب ولايتهم بحكم أعمارهم عدم وقوع خلع أحدهم مع الاستحقاق، إذ الصحابة كلهم عدول، اهـ.

وقال في الباب المذكور بعد إعادة معنى هذا الكلام ما نصه: وبالجملة فلا ينبغي الخوض في مثل ذلك إلا مع وجود نص صريح، مع أننا قائلون بترتيب هؤلاء الخلفاء الأربعة كما عليه الجمهور، وإنما خالفناهم في علة التقديم، فهم يقولون: هي الفضل، ونحن نقول: هي تقدم الزمان، ولو كان كل من تأخر كان مفضولاً، لكان من تقدم النبيﷺ أفضل منه، ولا قائل بذلك من المحققين، اهـ.

قلت: وقد ادعى كثير منهم وجود النص القاطع على أفضلية أبي بكر[1] رضي الله عنه، ثم عمر؛ ثم عثمان، وذلك إما عن تقليد وهو الأكثر، أو عن غلط في فهم ما ليس بدليل دليلاً، كأثر ابن عمر السابق، وإلاّ فالواقع عدم وجود دليل ظني، فضلاً عن دليل قاطع، كما هو المشاهد لمن خبر كتب السنة والكلام، وقد صرح بذلك جمع من المحققين من الأئمة والحفاظ.

---

(١) ادعى ابن حزم القطع بأفضلية أبي بكر ثم عمر رضي الله تعالى عنهما. وتوقف في التفضيل بين علي وعثمان رضي الله عنهما.

قال ابن عبد البر: فضل رسول الله ﷺ جماعة من أصحابه بفضائل خص كل واحد منهم بفضيلة وسمة منها، وذكره فيها ولم يأت عنه عليه الصلاة والسلام أنه فضل منهم أحداً على صاحبه بعينه على وجه يصح، ولكن ذكر من فضائلهم ما يستدل به على مواضعهم ومنازلهم من الفضل والدين والعلم، وكان ﷺ أحلم وأكرم معاشرة وأعلم بمحاسن الأخلاق من أن يواجه فاضلاً منهم بأن غيره أفضل منه، فيجد من ذلك في نفسه، بل فضل السابقين منهم، وأهل الاختصاص به، على من لم ينل منازلهم، فقال: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» وهذا من معنى قول الله تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ ومحال أن يستوي من قاتل رسول الله ﷺ من قاتل عنه وقال رسول الله ﷺ، لبعض من لم يشهد بدراً وقد رآه يمشي بين يدي أبي بكر «تمشي بين يدي من هو خير منك» وهذا لأنه قد كان أعلمنا ذلك في الجملة لمن شهد بدراً والحديبية ولكل طبقة منهم منزلة معروفة وحال موصوفة اهـ فصرح ابن عبد البر الذي تجرد عن العصبية والهوى والتقليد المذموم، بأنه لا يوجد نص عن النبي ﷺ بسند صحيح يفضل فيه أحداً بعينه على أحد بعينه[1] من أفاضل الصحابة وأكابرهم، فكيف يدعي أهل الهوى ومقلدتهم وجود الدليل القاطع على ذلك، ولو وجد لما خالفه أحد من الصحابة والتابعين وسلف الأمة وأكابر الأئمة، وهم أولى الناس بالطاعة، وأشد الناس تمسكاً بالدليل، فقد حكى ابن عبد البر عن سلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وخباب بن الأرت وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري وزيد بن أرقم رضي الله عنهم أنهم كانوا يفضلون علياً على سائر الصحابة.

وقال ابن أبي خيثمة: حدثنا أحمد بن منصور ثنا سيار ثنا عبد

---

(١) وحديث الترمذي «أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ما عدا النبيين والمرسلين» لم يصح، ولعله قصد به معارضة حديث «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».

الرزاق، قال: قال معمر مرة وأنا مستقبله وتبسم وليس معنا أحد، فقلت: ما شأنك؟ فقال: عجبت من أهل الكوفة، كأن الكوفة إنما بنيت على حب علي، ما كلمت أحداً منهم إلا وجدت المقتصد منهم الذي يفضل علياً على أبي بكر وعمر، منهم سفيان الثوري قال: فقلت لمعمر ورآني كأني أعظمت ذلك، فقال معمر: وما ذاك؟ لو أن رجلاً قال علي أفضل عندي منهما ما عنفته، إذا ذكر فضلهما عندي، ولو أن رجلاً قال: عمر أفضل عندي من علي وأبي بكر ما عنفته، قال عبد الرزاق: فذكرت ذلك لوكيع ونحن خاليان، فاشتهى لها وضحك، وقال: لم يكن سفيان يبلغ بنا هذا الحد، ولكنه أفضى إلى معمر ما لم يفض إلينا.

وقال أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي في: «مبهج المقاصد بشرح المراصد» لعم أبيه أبي حامد العربي ابن أبي المحاسن الفاسي، قال القلشابي: اختلف العلماء في التفضيل بين الصحابة فمنهم من وقف. قال مالك. أدركت جماعة من أهل بلدنا لا يفضلون بين الصحابة، الكل فضلاء، والأكثر على التفضيل، وعليه فأفضل الصحابة أهل الحديبية لآية: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، قيل: نزلت في أهل الحديبية، وقيل: أفضلهم أهل بدر، وأفضل أهل بدر العشرة، وأفضل العشرة الخلفاء الأربعة، وهم في الفضل على ترتيبهم في الخلافة، وقيل بالوقف فيما بين عثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين، ومن العلماء من ذهب إلى أن من مات في حياة النبيﷺ شهيداً أو غير شهيد أفضل ممن بقي بعده، قال بعض الشيوخ: واعلم أن التفضيل إما باعتبار الباطن وكثرة الثواب، ورفع الدرجات، ولا يتوصل إلى ذلك إلا بالخبر. وإما باعتبار الظاهر، ولا يحصل ذلك إلا بالتفاوت في خصال الفضائل، فمن كثرت فيه فهو أفضل، وما منهم واحد رضي الله عنهم إلا وله فضائل، ومناقب لا تحصى، اهـ وقال رأس العارفين: اختلف في هذا الترتيب هل هو قطعي أو ظني، وقال الأشعري هو على ترتيب خلافتهم، وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: أفضلهم عليّ، وقال الشريف زكريا: الكلام في التفضيل فيه ضرب من الاجتهاد، فمن أداه اجتهاده إلى أن أبا بكر أفضل، أو علياً أفضل، واعتقد ذلك من غير طعن على

أحدهما، ولا تنقيص، فلا عتب عليه، لأن الخطأ في مثل ذلك الاجتهاد ليس مما يوجب التبرى والتكفير والتأثيم، إذا اعتقد الإنسان موالاة الاثنين، والفضل فيهما، وأقصى ما فيه أن يكون مقصراً في أمر لم يلزم العلم به، لأن هذا ليس من فرائض الدين اهـ. وفي تفسير ابن عرفة لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أن المسائل العلمية على قسمين: ما يرجع لأحكام العقائد، كرؤيته تعالى وتقديسه، فلا يثبت إلا بما يفيد القطع اتفاقاً، وما ليس من العقائد ككون الأرض سبعاً، وكأفضلية بعض الصحابة على بعض، ونحو ذلك فهذا يصح إثباته بالدلائل الظنية، إذ لا يلزم من تحصيله بها إخلال بواجب اهـ كلام الفاسي.

وقال أبو بكر بن شهاب (في الترياق النافع على جمع الجوامع) ووقف بعضهم عن القول بالتفضيل، وقال: للكل فضل، ولا ندري من فضله الله على غيره؟ وليس هذا أمراً يؤخذ فيه بالقياس والرأي فوجب الإمساك عن الخوض فيه، قال بعض الأكابر: وما بهذا القول من بأس لأن تفويض ما لا يعلم حقيقته إلا الله إلى علمه تعالى غير مستنكر اهـ. على أن مسألة التفضيل ليست مما يجب اعتقاده، ولا نحن مكلفون به، وقد نبه شراح المتن على سهو المصنف في جعل هذه المسألة في هذا الكتاب فيما يجب اعتقاده، إذ ليست مما يضل فيها المخالف، قال العلماء: ولا يشكل هذا التفضيل بالذرية الشريفة، لأنه لا من حيث البضعية المكرمة، أما باعتبارها فلا يفضل أحد على ذريته ﷺ كائناً من كان[1] اتفاقاً.

وقال أبو الحسن الأشعري في كتاب المقالات: واختلفوا في التفضيل، فقال قائل: أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وقال قائل أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر ثم عمر ثم علي ثم عثمان. وقال قائل: نقول: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، ثم نسكت بعد ذلك وقال قائلون: أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ علي، ثم بعده أبو بكر، وأجمع من أثبت فضل أبي بكر وعمر أن أبا بكر أفضل من

---

(١) ولهذا قال الإمام مالك. لما سئل عن سيدتنا فاطمة عليها الصلاة والسلام: لا أفضل على بضعة رسول الله ﷺ أحداً.

عمر، وأجمع من أثبت فضل عمر وعثمان، أن عمر أفضل من عثمان. وقال قائلون: لا ندري أبو بكر أفضل؟ أم علي؟ فإن كان أبو بكر أفضل، فيجوز أن يكون عمر أفضل من علي، ويجوز أن يكون علي أفضل من عمر، وإن كان علي أفضل من عمر، فهو أفضل من عثمان، لأن عمر أفضل من عثمان، وإن كان عمر أفضل من علي، فيجوز أن يكون علي أفضل من عثمان، ويجوز أن يكون عثمان أفضل من علي، وهذا قول الجبائي اهـ.

وقال إمام الحرمين في (الإرشاد) فإن قيل: هل تفضلون بعض الصحابة على بعض؟ أم تضربون عن التفضيل؟ قلنا الغرض من ذلك ينبني على إمامة المفضول والذي صار عليه معظم أهل السنة أنه يتعين للإمامة أفضل أهل العصر، إلا أن يكون في نصبه هرج وهيجان فتن، فيجوز نصب المفضول إذ ذاك. إذا كان مستحقاً للإمامة، وهذه المسألة لا أراها قطعية، ولا معتصم لمن يمنع إمامة المفضول إلا أخبار آحاد في غير الإمامة التي تكلم فيها كقوله ﷺ «يؤمكم أقرأكم» ولا يفضي هذا وأمثاله إلى القطع، كيف ولو قدم المفضول في إمامة الصلاة لصحت الإمامة، وإن ترك الأولى، فهذا قولنا في إمامة المفضول. ثم لم يقم عندنا دليل قاطع على تفضيل بعض الأئمة على بعض، إذ العقد لا يشهد على ذلك، والأخبار الواردة في فضائلهم متعارضة، ولا يمكن تلقي التفضيل من منع إمامة المفضول، ولكن الغالب على الظن أن أبا بكر أفضل الخلائق بعد رسول الله ﷺ، ثم يعده عمر، وتتعارض الظنون في عثمان وعلي، وقد روي عن علي أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أو بكر ثم عمر، ثم الله أعلم بخيرهم بعدها فهذا قولنا أبديناه مجانباً للتقليد، جارياً على الحق الواضح اهـ.

وقال ابن حزم في الملل والنحل: اختلف المسلمون فيمن هو أفضل الناس بعد الأنبياء ﷺ، فذهب بعض أهل السنة وبعض المعتزلة وبعض المرجئة وجميع الشيعة أن أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وقد روينا هذا القول نصاً عن بعض الصحابة رضي الله عنهم، وعن جماعة من التابعين والفقهاء، وذهبت الخوارج كلها وبعض أهل السنة

وبعض المعتزلة وبعض المرجئة إلا أن أفضل الصحابة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر، وروينا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب، وبهذا قال أبو عاصم النبيل وهو الضحاك بن مخلد، وعيسى بن حاضر، قال عيسى: وبعد جعفر حمزة رضي الله عنه، وروينا عن نحو عشرين من الصحابة أن أكرم الناس على رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وروينا عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت مات رسول الله ﷺ وثلاثة رجال لا يعد أحد عليهم بفضل سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وعباد بن بشر، وروينا عن أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها: أنها تذكرت الفضل، ومن هو خير؟ فقالت: ومن هو خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، وروينا عن مسروق بن الأجدع وتميم بن حذلم وإبراهيم النخعي وغيرهم: إن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود، قال تميم وهو من كبار التابعين: رأيت أبا بكر وعمر، فما رأيت مثل عبد الله بن مسعود. وروينا عن بعض من أدرك النبي ﷺ أن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب. وأنه أفضل من أبي بكر رضي الله عنهما. وبلغني عن محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: إنه كان يذهب إلى هذا القول. وقال داود بن علي الفقيه رضي الله عنه: أفضل الناس بعد الأنبياء أصحاب رسول الله ﷺ وأفضل الصحابة الأولون من المهاجرين، ثم الأولون من الأنصار. ثم بعدهم منهم ولا يقطع على إنسان منهم بعينه أنه أفضل من آخر من طبقته. ولقد رأينا من متقدمي أهل العلم من يذهب إلى هذا القول. وقال لي يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري غير ما مرة: إن هذا هو قوله ومعتقده. ثم صرح ابن حزم بأن مذهبه الذي يقول به هو أن أفضل الأمة أبو بكر. ثم أزواج النبي ﷺ. وخالف ذلك في (المحلى) فذهب إلى أن أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام أزواجهم، وأنهن أفضل هذه الأمة بعد نبيها. فقال مسألة والناس في الجنة على قدر فضلهم عند الله تعالى فأفضل الناس أعلاهم في الجنة درجة وهم الأنبياء. ثم أزواجهم. ثم سائر أصحاب رسول الله ﷺ وجميعهم في الجنة ولا منزلة أعلى من درجة الأنبياء عليهم السلام. فمن كان معهم في درجتهم فهو أفضل ممن دونهم.

وليس[1] ذلك إلا لنسائهم فقط اهـ.

وقال في موضع آخر من المحلى: وأفضل الإنس والجن الرسل ثم الأنبياء على جميعهم من الله تعالى ثم منا أفضل الصلاة والسلام ثم أصحاب رسول الله ﷺ اهـ. فأطلق ولم يجزم بتفضيل أحد معين[2]، كما هو مذهب إمامه داود بن علي الظاهري واختاره كثير من الأئمة المحققين، وما ذلك إلا لعدم وجود الدليل القاطع على التعيين، ولذلك اختلف القائلون بالتعين في دليله، هل هو قطعي أو ظني؟ وهل هو في الظاهر والباطن أو في الظاهر فقط؟ كما سبق.

---

(١) وقد أخطأ ابن حزم وغالط (رغم ما عرف عنه من إمامة واجتهاد وعلم غزير) في دليل اخترعه بتفضيل أزواج النبي ﷺ على سيدة نساء الجنة فاطمة وعلى سائر الصحابة. حتى إن عائشة أفضل من أبيها، يقول الفضل إنما هو برفعة المنزلة في الجنة، ولا منزلة أعلى من منزلة رسول الله ﷺ ومعلوم أن أزواجه يسكن معه (فانظر رعاك الله وأعانك إلى تلك المغالطة المخزية المكشوفة) فهل منزلة سيدنا ومولانا الرسول الأعظم ﷺ في الجنة تضيق عن أن تسع بناته وأحبابه. وقد قال تعالى في مطلق المؤمنين به ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية وقال سبحانه ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الآية «اللهم ألحقنا بهم بفضلك ورحمتك يا ربنا يا واسع المغفرة آمين» فهل يلحق الله ذرية المؤمنين بآبائهم تكرماً ولا يلحق ذرية الرسول ﷺ به. خصوصاً وقد صح عنه إنه قال عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: فاطمة سيدة نساء أهل الجنة.. وما السيادة إلا برفع المنزلة.

وأيضاً فإن منزلة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أفضل من نساء النبي بالإجماع. ومنازلهم ﷺ دون منزلته ﷺ. فيلزم من سوق دليل ابن حزم أن يكن أفضل من أنبياء الله ورسله ﷺ وكذلك زعم بعض الأشعرية النواصب أن عائشة أفضل من فاطمة مع ما ورد في النص الصريح الصحيح بغير ذلك كما سبق.

وقد جاء في كتاب «سراج المريدين» أعجب وأغرب في تفسير قوله تعالى ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ معناها خافضة لفاطمة رافعة لعائشة فتأمل حفظك الله ذلك التأويل الباطل بإجماع المسلمين إذ لا مسيس للآية الكريمة بذكر فاطمة وعائشة رضي الله عنهما: ولكن هكذا ابن العربي المعافري وصفاقة وجهه ونصبه وقلة حيائه وفرط بغضه لآل رسول الله ﷺ حمله على ارتكاب هذه المخازي نعوذ بالله من الخذلان «ومن سابر كتبه شهد عليه بالنفاق».

(٢) لكنه في رسالة (المفاضلة بين الصحابة) جزم بما نقلناه عنه اهـ.

وقال الأبي بعد حكاية الخلاف: واختلف القائلون بالتفضيل فقيل هو قطعي، وإليه مال الأشعري، وإليه يشير قول مالك رحمه الله في المدونة، في تفضيل أبي بكر: أو في ذلك شك؟ وقال القاضي هو ظني، لأن المسألة اجتهادية لو ترك أحد النظر فيها لم يأثم، وليست من مسائل الأصول التي ألحق فيها في جهة، ويقطع بخطأ مخالفه، وهذه لا يقطع فيها بخطأ؛ وكذلك اختلف: هل التفضيل في الظاهر والباطن؟ أو في الظاهر خاصة؟ وللقاضي نص على كل من القولين. واحتج له. وتعويله على أنه في الظاهر فقط. قال: لأنه قد يكون في الباطن على خلاف ما عندنا اهـ.

فصل

ونصوص العلماء والأئمة في هذا كثيرة لمن تتبعها، فأين الجهلة المجترئون على الكذب بحكاية الإجماع والاتفاق على تفضيل الشيخين على عليّ رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وأما الخلاف في التفضيل بين علي وعثمان فهو أكثر وأقوى، وإنما لم نتعرض لذكره لأن الغرض لم يدع إليه، وإنما دعي إلى تكذيب ابن تيمية في دعواه الاتفاق على تقديم أبي بكر رضي الله عنه على عليّ عليه السلام في المعرفة وحقائق الإيمان، ليبنى على ذلك عدم صحة انتساب الصوفية إلى علي عليه السلام.

فصل

الوجه الرابع أنه على فرض صحة الاتفاق على أفضلية أبي بكر رضي الله عنه فذلك لا يلزم منه عدم أكملية علي عليه السلام في الأحوال العرفانية، والعلوم الظاهرة والباطنة، وغيرها من المزايا الخَلْقية والخُلُقية، فإن علياً عليه السلام خصه الله تعالى بأمور لم تكن في أبي بكر رضي الله عنه، كما أن أبا بكر رضي الله عنه أكرمه الله تعالى بما لا يتفق مثله لعليّ عليه السلام، كالسعي في إشاعة الإسلام، وقت غربته، ونصرة النبي ﷺ في وحدته، وكونه جاد في تحقيق ذلك بماله ونفسه، ومواقفه العظيمة يوم انتقال النبي ﷺ، وفي ذلك أيام الردة مع الحلم والزهد والورع والخشية، وغير ذلك من الفضائل

مما هو معلوم من سيرته وأخباره رضي الله عنه، إلا أنه لم يكن في الشجاعة والفصاحة وبسط اليد في العلم الظاهر والباطن وحل المشكلات وفك المعضلات وتفسير القرآن العظيم والتضلع من علومه والاطلاع على أسراره واستخراج دُرره واستنباط الفوائد منه، واستحضار الجواب عن الأسئلة في كل الفنون، مع السرعة والإصابة والإخبار عن الأحداث الماضية والآتية إلى قيام الساعة، والتكلم في الحقائق العرفانية في أشباه هذا وأمثاله كعليﷺ، بل هي أمور انفرد بها عليّ من بين سائر الصحابة، وأن شاركه بعضهم كحذيفة وابن مسعود وابن عباس في بعضها إلا أنهم لم يبلغوا في ذلك البعض بمفرده عشر مبلغ عليﷺ، بل الحبر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يصرح بأن كل ما عنده من علم التفسير ومتعلقاته مأخوذ من عليﷺ، وأنه كقطرة من بحر علمه، فضلاً عن غيره من العلوم والمعارف، وهذا أمر معلوم بالضرورة، ومدرك بالمشاهدة، ومؤيد بخبر من لا ينطق عن الهوىﷺ، وخبر أصحابه الكرام، كما سبق. وذلك لم يوجد مثله ولا عشره في أبي بكر رضي الله عنه، وكذلك المثل يضرب بعلم عليّ وشجاعته، لا بعلم أبي بكر وشجاعته، مع اعتراف الأكثر بتقديم فضيلته، فلو كان اعتقاد الأعلمية في نظرهم يناقض الأفضلية لما ذهبوا إلى أفضلية أبي بكر مع اعتقادهم أعلمية عليّ.

قال الشاه الدهلوي وهو من هَوَ في التعصب لمعتقد الأشاعرة المتأخرين. حتى ألف كتابه (قرة العينين في تفضيل الشيخين) يعني على عليّ رضي الله عنهم، كاد أن يبلغ فيه مبلغ ابن تيمية في سلب كل فضيلة ومزية عن عليّﷺ، بل أسرف وأفرط وتجاوز الحد في مسائل منه حتى سئل عنها شيخ الجماعة بمصر البرهان إبراهيم السقا، فأجاب عنها بجزء شدد فيه النكير على الدهلوي المذكور، حتى كاد يخرجه من أهل السنة، ويلحقه بأهل البدعة، وما أجدره بذلك، فإنه نفى فيه الخلافة عن عليّﷺ، وألف في الرد عليه في ذلك أيضاً العلّامة عبد الحليم اللكنوي، والد العلامة الشهير عبد الحي اللكنوي، وكذلك بعض أئمة الحديث من أهل الهند أيضاً، ألف في الرد عليه مجلداً حافلاً، ومع هذا كله فلم يسعه إلا الاعتراف بالحقيقة. فقال كما نقله عنه أبو بكر بن شهاب في (الترياق

النافع) ما نصه: ولا نعني بالأفضلية الأفضلية من جميع الوجوه، حتى تعم السيف والشجاعة والعلم وأمثالها من التي كانت في عليّ مثلاً، بل هي بمعنى عظم النفع في الإسلام، فأميرا أمة النبيﷺ ووزيراه أبو بكر وعمر، باعتبار الهمة البالغة في إشاعة الحق بعده أفضل، دون اعتبار النسب والعلم والشجاعة وغيرها مما كانت في علي رضي الله عنه أكثر، وأوفر، بإقرارهما وبهذا يحصل التوفيق بين الروايات المختلفة والأدلة المتباينة اهـ.

ومليحة شهدت لها ضراتها والفضل ما شهدت به الأعداء

وقال الإمام العلامة الحافظ الصوفي أبو عبد الله محمد بن قاسم التركماني في: (القول المستحن) لا يلزم من أكملية سيدنا علي رضي الله عنه في أمر خاص، أفضليته في كل أمر، بل محققو الأمة كلهم متفقو الكلمة على تقديم سيدنا أبي بكر رضي الله عنه في أمور كالسعي في إشاعة الإسلام حين كان غريباً، والنصرة لهﷺ في وحدته على الكفرة مع كثرتهم وغلبتهم، وبذل نفسه في ذلك وماله، ولم يتفق هذا لعليّ عليه السلام لصغر سنه، وإن سبق في نحو ذلك في كبره، كفتح خيبر وغيره، ولا شك في أفضليته من جهة كونه قدوة أهل بيت النبوة ومن حرمت عليهم الصدقة، وبأن أبا بكر كان أهلاً للخلافة، وأي أهل كما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع، وهذا هو الحكم العدل والقول الفصل، والمخلص في مبحث التفضيل إنما يكون باعتبار تعدد الجهات والحيثيات بالتفضيل، ولا شك أن أحداً ليس أفضل من الآخر بكل وجه، وأما نقل ابن تيمية اتفاق أهل المعرفة على تقديم أبي بكر على عليّ رضي الله عنهما في الطريق وعلم الحقيقة، فلا أصل له أصلاً، فهذا سيف السنة وناصر الملة الإمام القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، نقل الاختلاف بين علماء الأسلاف والأخلاف في ذلك، وتبعه عامة من تأخر عنه، وفيهم الحفاظ الأئمة، والفقهاء الأجلة، كالإمام النووي مجدد المائة السادسة في قول طائفة، فإنه مع تلك الصلابة في السنة. نقل في شرح صحيح مسلم اختلاف العلماء في التفضيل هل هو قطعي أم لا؟ وهل هو في الظاهر فقط أم في الظاهر والباطن جميعاً؟ وعزا ذلك إلى ابن الباقلاني، وقال العلامة السنوسي في شرح الكبرى، وفي

شرح المنظومة الجزائرية له أيضاً ما نصه: وكذا اختلف هل التفضيل في الظاهر والباطن، أو في الظاهر خاصة، والقاضي أي ابن الباقلاني نصر كلا من القولين، واحتج له، وتعويله على أنه في الظاهر فقط، لأنه قد يكون في الباطن على خلاف ما عندنا اهـ. ومن ثم لما سأل الحجاج سعيد بن جبير أعلم الناس بالتفسير بعد ابن عباس وأعظم فقهاء الكوفة عن الخلفاء الراشدين فأجابه قال: فأيهم أعجب إليك؟ قال أرضاهم لخالقي؟ قال: فأيهم أرضى للخالق؟ قال علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم، رواه أبو نعيم، ثم المزي في (التهذيب) عن الحسن قاله سعيد بن جبير في المجلس الذي استشهد فيه. فإن روى عنه خلافه فهو مرجوع عنه، وفيه اندفاع دعوى الإجماع من الصحابة والتابعين على تفضيل الشيخين رضي الله عنهما، وفيه تقرير من غير نكير لمذهب التوقف، وقول القاضي قد يكون في الباطن على خلاف ما عندنا، هو مقطوع به هنا عند الأئمة الصوفية، منهم الإمام الهمام علم الأعلام كميل بن زياد النخعي أخص أصحاب سيدنا عليّ رضي الله عنه، وهو أيضاً مذهب جماعة من كبار الصحابة رضي الله عنهم وهلم جرا إلى سيد الطائفة مجدد المائة الثالثة في الصوفية العارفين الإمام أبي القاسم الجنيد رضي الله عنهم فإنه قال: صاحبنا في هذا الأمر بعد نبينا ﷺ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ذلك امرؤ أعطى علماً لدنيا، وقال أيضاً رضي الله عنه عليّ بن أبي طالب عليه السلام لو تفرغ إلينا من الحروب لنقل إلينا عنه من هذا العلم ما لا تقوم له القلوب؛ أورده الإمام الحافظ أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه.

وقال الإمام علي بن عثمان الجلابي الغزنوي في (كشف المحجوب) قال سيد الطائفة الجنيد رضي الله عنه: شيخنا في الأصول والبلاء: علي المرتضى يعني أن إمامنا في علم الطريقة ومعاملاتها هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ فإن أهل الطريقة يسمون علمها الأصول ومعاملاتها كلها بلاء. اهـ مترجماً، هذا مع موافقته للجمهور في تقديم أبي بكر رضي الله عنه في أمور، قال بعض الأكابر وعلى مثل ما ذكر يحمل ما حكاه إمام الشافعية الحافظ أبو سليمان الخطابي بقوله: كان بعض مشايخنا يقول أبو بكر خير وعلي أفضل.

ولأبي نعيم في الحلية عن أبي إسحاق، قال: سمعت عليّ بن أبي طالب وهو على المنبر بالكوفة يقول خير الناس بعد رسول الله أبو بكر، وبعد أبي بكر عمر، وإن شئت أخبرتكم بالثالث، قالوا: يا أبا إسحاق أخير أو أفضل؟ قال: خير خير...، وفي الاستيعاب في ترجمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ذكر عبد الرزاق عن معمر قال: لو أن رجلاً قال عمر أفضل من أبي بكر ما عنفته، وكذلك لو قال عليّ عندي أفضل من أبي بكر وعمر لم أعنفه. إذا ذكر فضل الشيخين وأحبهما، وأثنى عليهما بما هما أهله، فذكرت ذلك لوكيع، فأعجبه واشتهاه ووكيع ومعمر كلاهما من أئمة السنة وجلة مجتهدي الأمة، وكذلك روى ابن أبي خيثمة نحوه عن معمر والثوري وجل علماء الكوفة من أهل السنة. اهـ. وقال بعض من ذكر فضائل الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم في حق عليّ عليه السلام أنه أعلم الصحابة لقوة جنانه، وذكائه، وشدة ملازمته للنبي ﷺ، واستنارته منه، وقد قال النبي ﷺ حين نزل قوله تعالى ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ اللهم اجعلها أذن عليّ، قال عليّ فما نسيت بعد ذلك شيئاً، ولهذا رجعت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. إليه في كثير من الوقائع، واستند العلماء في كثير من العلوم إليه كالمتكلمين في علوم الأصول، والمفسرين في علم التفسير، فإن رئيسهم ابن عباس رضي الله عنهما وهو تلميذه، والمشايخ الصوفية رضي الله عنهم في علم الأسرار وتصفية الباطن، فإن المرجع فيه إلى العترة الطاهرة مما تلقته عنه عليه السلام بالرواية والوراثة، وعلم النحو إنما ظهر منه، ولهذا قال: لو كسرت الوسادة، ثم جلست عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، والله ما من آية نزلت في بر أو بحر أو سهل أو جبل أو سماء أو أرض أو ليل أو نهار، إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وفي أي شيء نزلت اهـ.

فصل

فهؤلاء المفضلون لأبي بكر رضي الله عنه يصرحون مع ذلك بأعلمية علي عليه السلام لأن الأفضلية كما قلنا لا تستلزم الأعلمية. ومن أعظم الأدلة على

ذلك: قصة الخضر مع موسى عليه السلام فإن القرآن أثبت أعلمية الخضر بالحقائق على موسى مع أن موسى أفضل منه بلا خلاف بين أحد نعرفه، ويكفي أن الخضر نبي وموسى عليه السلام رسول، بل من أفضل الرسل ولا يوجد من يقول بأن هناك نبي أفضل من بعض أولى العزم من الرسل عليهم السلام.

فصل

(الوجه الخامس) إن الحقائق لا تثبت بالدعاوى المجردة، وحكاية الاتفاقات الكاذبة، وإلا لما قامت حجة، ولا ثبتت حقيقة، ولا كانت دعوى محق، أولى من دعوى مبطل، ولا دعوى أفضلية أبي بكر أولى من دعوى أفضلية علي، فلو فرضنا صحة ما يفتريه ابن تيمية من الاتفاق على أعلمية أبي بكر رضي الله عنه لكان اتفاقاً مردوداً على من اتفقوا عليه لمخالفته للدليل ومعارضته للمحسوس المشاهد بالعيان.

أما الدليل فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يقل في أبي بكر رضي الله عنه أنه «باب مدينة علمه» ولا أنه «أقضى أمته» ولا «أعلم أمته» ولا «إنه أكثرهم علماً» ولا قال عند نزول قوله تعالى ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ سألت الله أن يجعلها أذنك يا أبا بكر فأنت أذن واعية لعلمي وفي أشباه هذا ونحوه مما تقدم معزو إلى مخرجيه، وإنما قال ذلك لعلي عليه السلام، مع أنه صلى الله عليه وآله وسلم ذكر لأبي بكر رضي الله عنه فضائل عظيمة، وأخبر عنه بمزايا جسيمة، لا يشاركه فيها أحد من الصحابة رضي الله عنهم، وكذلك الصحابة لم يكونوا يرجعون في السؤال عن النوازل، وحل المشكلات إلى أبي بكر، ولا كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو بكر، ولا شهد الصحابة لأبي بكر بأن عنده تسعة أعشار العلم، وإن عنده علم الظاهر والباطن، وأنه ورث العلم من النبي صلى الله عليه وآله وسلم[1] دونهم وأنه أعلم الناس بالسنة وإنما كانوا يرجعون إلى علي ويشهدون بكل ما ذكرنا له مع تعظيمهم لأبي بكر، ومعرفتهم حقه، وتفضيلهم إياه، وإنزاله المنزلة السامية، والمكانة العالية من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،

---

(١) وحديث «ما صب الله في صدري شيئاً إلا صب مثله في صدر أبي بكر» موضوع لا أصل له.

وتأدبهم معه غاية الأدب وإجلالهم إياه غاية الإجلال، في حياة رسول الله ﷺ وبعده، وكذلك التابعون لم يقولوا: ما كان أحد بعد رسول الله ﷺ أعلم من أبي بكر، ولو قالوا: ما كان أحد من الناس يقول: سلوني غير أبي بكر، وإنما قالوا ذلك في علي، وأخبروا به عنه، وهم أيضاً أعلم الناس بفضل أبي بكر وعلو مقامه ومنزلته من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وأيضاً لم يفتتن أحد بأبي بكر رضي الله عنه، ولا ادعى فيه من رآه دعوى خارجة إلى حد الغلو والإفراط، كما إدعاه بعض من رأى علياً عليه السلام، وما ذلك إلا لكونهم رأوا فيه من خوارق العادات، وبواهر العقول، وسمعوا من المعارف والأسرار، ما دعاهم إلى ذلك. كما هي عادة الناس في كل من رأوا منه أمراً خارقاً للعادة، وخارجاً عن طوق أكثر البشر، وتحقق بذلك قول النبي ﷺ لعلي عليه السلام. «إن فيك مثلاً من عيسى» مما لم يقل مثله لأبي بكر رضي الله عنه:

وأما المشاهدة فإن أثار علي عليه السلام في العلم ظاهرة للعيان، وبطون الدفاتر عامرة بالنقل عنه في التفسير والحديث والفقه والقضاء والفرائض وأحكام البغاة والحكم والأمثال والآداب واللغة والخطب والحقائق العرفانية والتوحيد والتاريخ والأخبار بالمغيبات عن العرش فما دونه من السموات والأرضين والملائكة والجن والأمم الماضية وأخبار الفتن والملاحم الآتية وإشراط الساعة وأخبار القيامة والموقف والجنة والنار وغير ذلك مما لا يوجد عشر عشره بالإضافة عشر مرات عن أبي بكر رضي الله عنه، بل وسائر الصحابة رضي الله عنهم معه، وقد أفردت حكمه وخطبه وأشعاره بالمؤلفات، وجمعت أقواله في الأحكام والقضايا والفروع الفقهية والفرائض في مجلدات، وهذا عبد الله بن عباس حبر الأمة وبحر علوم التفسير يخبران كل ما عنده من ذلك مأخوذ عن علي، وهؤلاء أهل بيته الأكرمين من زين العابدين والباقر والصادق والكاظم والرضى رضوان الله عليهم أجمعين، قد ملأوا الدنيا علوماً ومعارف وإسرار حتى افتتن بهم من افتتن، وكل ذلك مما ورثوه عن جدهم الإمام علي عليه السلام، بل الإمام جعفر الصادق وحده نقلت عنه مئات المجلدات، وهذه أخبار الملاحم والفتن وإشراط الساعة قد جمعت في مجلدات كلها من علوم علي وآل بيته

الكرام، وقد ظهر مصداق جل ما في تلك الأخبار، ولا زالت حوادث الأيام تظهر صدق الباقي، وكذلك أسرار الحروف والأسماء، وعلوم الجداول والتصرف بها، مما أفرد بالتأليف، إنما نقلت عن علي وآل بيته الكرام، ولم ينقل في شيء مما ذكر حرف واحد عن أبي بكر رضي الله عنه، فضلاً عما يملأ المجلدات ويفرد بالمؤلفات، لا عنه ولا عن ذريته. نعم نقلت عنه كلمات في المعرفة وحقائق الإيمان، هي دالة على علو كعبه، ورسوخ قدمه، في المعرفة بالله تعالى على ما يليق بعظيم فضله، وجليل منصبه، ومكانته السامية من رسول الله ﷺ، ولكنها قطرة من بحار علوم علي عليه السلام والمشاهدة أكبر دليل، وأعظم برهان، وقد كان علي عليه السلام يصرح بذلك، تحدثاً بنعمة الله، وتعريفاً للخلق بما عنده، حتى يحصل الإقبال عليه، والانتفاع به، فكان يخبران عنده من علوم الحقائق والمعارف الإلهية ما لم يجد له حملة من أهل عصره، مع أنه عصر الصحابة والتابعين، وعصر السلف الصالح، وخير القرون بعد قرن رسول الله ﷺ، على الإطلاق.

فقال كميل بن زياد: كنت مع أمير المؤمنين علي في مسجد الكوفة، وقد صلينا عشاء الآخرة: فأخذ بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبانة[1] فلما أصحرنا تنفس الصعداء، ثم قال: يا كميل بن زياد: القلوب أوعية فخيرها أوعاها، إحفظ عني ما أقول لك، الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيؤا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق، يا كميل العلم خير من المال، العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، والعلم يزكو على الإنفاق، والمال تنقصه النفقة، يا كميل محبة العالم دين يدان به يكسبه العلم الطاعة لربه في حياته، وجميل الأحدوثة بعد وفاته، ومنفعة المال تزول بزواله، والعلم حاكم، والمال محكوم عليه، يا كميل مات خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة ثم تنفس الصعداء. فقال: ها ها إن ها هنا علماً جماً، وأشار بيده

---

(١) بتشديد الباء الصحراء. وأصحر خرج إليها.

إلى صدره، لو أصبت له حملة الخ الوصية العجيبة المشهورة، رواها جمع من الحفاظ منهم الطبراني وأبو نعيم في الحلية وأبو موسى المديني والمرهبي في العلم وابن عساكر في التاريخ والمزي في التهذيب والذهبي في التذكرة، إلا أنه لم يخل هذا الأثر أيضاً من تنكيته الشامي. وطعنه الناصبي. في فضائل عليّ ومزاياه. فقال بعد إيراده من طريق إسماعيل بن موسى الفزاري، عن عاصم بن حميد الحناط، أو رجل عنه، عن ثابت بن أبي صفية أبي حمزة الثمالي، عن عبد الرحمن بن جندب، عن كميل ما نصه: رواه ضرار بن صرد، عن عاصم بن حميد، ويروى من وجه آخر عن كميل وإسناده لين[1] اهـ. مع أنه أثر صحيح، له طرق متعددة عن كميل، ولكن نفس الذهبي لا تسمح بالسكوت على فضيلة لعليّ عليه السلام، ولله در من قال: لو كان قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ نازلاً في حق عليّ، لقال الذهبي إنها آية ضعيفة وقد اعتنى الأئمة والحفاظ بهذا الأثر وشرحوا غريبه واستخرجوا فوائده، ومن آخر من رأيته أفرده بالتأليف في مجلدة لطيفة، العلامة المحدث الشيخ محمد السفاريني الحنبلي صاحب المنظومة المتداولة في عقيدة السلف وشرحها، فهذا العلم الذي أشار عليّ عليه السلام: أنه في صدره ولم يجد له حملة، هو علم المعرفة، وحقائق الإيمان، الذي ينفيه عنه ابن تيمية كذباً وبهتاناً. ويقول الصوفية العارفون رضي الله عنهم: إن إمامهم فيه عليّ بن أبي طالب، لا أبو بكر رضي الله عنه، على أن عليًّا عليه السلام أعلم بعلم الظاهر والباطن كما قررناه، وقد قال أبو الطفيل، وهو من صغار الصحابة رضي الله عنهم: شهدت عليّ بن أبي طالب يخطب وهو يقول: سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا أخبرتكم به، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما منه آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار، أم بسهل أم بجبل، فقام ابن الكواء وأنا بينه وبين عليّ وهو خلفي، فقال: أرأيت البيت المعمور، ما هو؟ فقال: ذاك الضراح[2] فوق سبع سموات، تحت العرش، يدخله كل يوم سبعون ألف

---

(١) اللين في عرف المحدثين ضعف خفيف..

(٢) بضم الضاد المعجمة.

ملك لا يعودون فيه إلى يوم القيامة، ررواه الأزرقي في تاريخ مكة، وله طرق متعددة، وفيه إشارة إلى بعض علوم القرآن التي اخترع الكلام فيها بعض المتأخرين أهل القرن السادس والسابع فما بعدهما. فهو رضي الله عنه أول من فتح لهم الباب.

وروى عبد الرزاق في مصنفه عن نصر بن عاصم، قال: قال رجل: ليس على المجوس جزية. فأنكر ذلك المستورد بن عصمة، فذهب إلى عليّ بن أبي طالب، فذكرا ذلك له. فقال: اجلسا والله ما على الأرض اليوم أحد أعلم مني، إن المجوس كانوا أهل كتاب، ثم ذكر الحديث بطوله.

ولنختتم هذا الفصل بما أخرجه ابن دريد في كتاب (المجتنى) فقال: حدثنا العكلي عن ابن عائشة عن حماد عن حميد عن أنس بن مالك، قال: أقبل يهودي بعد وفاة النبيﷺ، حتى دخل المسجد فقال: أين وصي رسول اللهﷺ؟ فأشار القوم إلى أبي بكر، فوقف عليه فقال: أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي أو وصي نبي، قال أبو بكر سل عما بدا لك، قال اليهودي: أخبرني عما ليس لله، وعما ليس عند الله، وعما لا يعلمه الله، فقال أبو بكر: هذه مسائل الزنادقة يا يهودي، وهمَّ أبو بكر والمسلمون باليهودي، فقال ابن عباس ما أنصفتم الرجل، فقال أبو بكر: أما سمعت ما يتكلم به؟ فقال ابن عباس: إن كان عندكم جوابه، وإلا فاذهبوا به إلى عليّ يجيبه، فإني سمعت رسول اللهﷺ يقول لعلي «اللهم اهد قلبه وثبت لسانه» فقام أبو بكر، ومن حضر، حتى أتوا علياً فاستأذنوا عليه، فقال أبو بكر: يا أبا الحسن إن هذا اليهودي سألني مسائل الزنادقة، فقال عليّ ما تقول يا يهودي؟ فقال: أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي أو وصي نبي، فقال له: قل، فرد اليهودي المسائل، فقال علي رضي الله عنه: أما ما لا يعلمه الله فذلك قولكم، يا معشر اليهود: إن العزير ابن الله، والله لا يعلم أن له ولداً، وأما قولك أخبرني عما ليس عند الله. فليس عنده ظلم العباد. وأما قولك أخبرني بما ليس لله فليس لله شريك، فقال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فقال أبو بكر والمسلمون لعلي يا مفرج الكروب.

فصل

ومن هذه الوجوه يعلم أيضاً بطلان قول ابن خلدون: إن علياً عليه السلام لم يختص من بين الصحابة بتخلية ولا طريقة في لباس ولا حال، وكذلك قوله عن الصحابة رضي الله عنهم لم يختص أحد منهم في الدين بشيء يؤثر عنه بالخصوص فإنه كلام يدل على جهله التام بالسنة النبوية، بل هو ضرب من الهذيان، والكلام الفارغ، الذي لا طائل تحته، لأنه إن أراد عدم اختصاص أحد من الصحابة بشيء من الدين يعمل به في نفسه دون غيره، فهذا باطل من جهة أن التصوف المنقول من طريق عليّ عليه السلام، ليس هو أمراً خاصاً به، ولا بمن أخذه عنه، ونقل من طريقه، حتى يرد بمثل هذا. لأن التصوف ليس شيئاً زائداً على العمل بالعلم على وجه الإخلاص، مع الأخذ بالعزائم، وترك الرخص، وهذا أمر يشترك فيه المسلمون كافة، فمن سلك منهم في العمل هذا المنهاج سمي صوفياً، ومن لا فلا. فأين الاختصاص الملصق بعليّ والصوفية رضي الله عنهم، والمنفيّ عنهم باشتراك سائر الصحابة وعدم اختصاص واحد منهم بشيء في الدين، وإن أراد عدم اختصاص أحد من الصحابة بشيء يؤثر عنه ويروى من طريقه دون غيره كما هو ظاهر عبارته، فهو أبطل وأبطل، بل هو كلام يدل على جهل تام بالدين، وعدم معرفة شيء من طرق روايته، ووصوله إلى المسلمين. لأنه ليس أحد من الصحابة إلا وقد اختص بنقل ما لم ينقله غيره في الدين من أخبار التوحيد والإسلام والإيمان والإحسان وأحكام الحلال والحرام، والزهد والرقائق وغير ذلك، ولم يشترك الصحابة كلهم إلا في نقل ما هو معلوم من الدين بالضرورة، كأصول الإيمان والتوحيد وأركان الإسلام، دون ما اشتملت عليه من الأحكام والفروع إذ لو اشتركوا في ذلك ولم يختص بعضهم بشيء دون بعض، فكانت الأمة متفقة غير مفترقة فرقاً ومذاهب في الأصول والفروع، ولما اختلف الصحابة ذلك الاختلاف الشديد في الأحكام والفروع، مع اشتراكهم في الأخذ عن رسول الله ﷺ، ورؤيته ومجالسته، ثم مع ثبوت هذا الاختصاص لكل فرد منهم نجد لآخرين منهم اختصاصاً زائداً على هذا أيضاً من جهة التفاوت في الحفظ

والفهم والمعرفة وفقاهة النفس والعناية بنوع خاص من الدين. كاختصاص بعضهم بعلم التفسير كعليّ وابن عباس وابن مسعود، واختصاص بعضهم بالقراءات كأبيّ بن كعب وابن مسعود، واختصاص بعضهم بالحديث كأبي هريرة وأنس وعائشة وأبي سعيد وجابر وابن عمر وابن عمرو، واختصاص بعضهم بالفرائض كعليّ وزيد بن ثابت وابن مسعود، واختصاص بعضهم بالفقه كعليّ وعمر وابن عمر وابن مسعود، واختصاص بعضهم بأخبار الفتن والملاحم وأشراط الساعة كعليّ وحذيفة بن اليمان، وقد اختص الثاني بمعرفة المنافقين دون غيره من الصحابة، واختصاص عليّ بنواح متعددة كمعرفة أحكام قتال البغاة التي قال الإمام الشافعي وغيره من الأئمة، ما استفدنا أحكام قتال البغاة إلا من محاربة عليّ لمعاوية والخوارج، وكذلك علم الحقائق ومواجد القلوب المروية من طريقه بالتلقي والصحبة والاقتداء، وقد قال أبو هريرة: حفظت عن رسول الله ﷺ وعائين، أما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم. رواه البخاري، وقال ابن عباس: لو حدثتكم بكل ما أعلم لرجمتوني بالبعر، ثم ما ناظرتموني. وقال في قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ لو أخبرتكم بتفسيرها لكفرتم، وقال: كنا نتحدث أن النبي ﷺ عهد إلى عليّ سبعين عهداً لم يعهده إلى غيره. وقال عليّ عليه السلام في سلمان الفارسي رضي الله عنه: أوتي العلم الأول والآخر لا يدرك ما عنده. فكل هذا إشارة إلى علوم الحقائق التي اختص بها بعض الصحابة دون بعض، وكانت اليد البسطى فيها لعليّ عليه السلام. بل جل من نقل عنه شيء منها فهو من حزب عليّ عليه السلام: واختصاص بعض الصحابة بأنواع من العلم، دون بعض. أمر معلوم بالضرورة لمن عرف السنة، وخالط علم الأخبار والآثار وسير الرجال.

قال الإمام العارف أبو نصر السراج الطوسي الزاهد شيخ الصوفية في عصره، المتوفى سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة في كتاب (اللمع) ما نصه: باب ذكر جواز التخصيص في علوم الدين، وتخصيص كل علم بأهله، والرد على من أنكر علماً برأيه، ولم يدفع ذلك إلى أهله، وإلى من يكون ذلك من شأنه، ثم قال: أنكرت جماعة من العلماء أن يكون في علم

الشريعة تخصيص، ولا خلاف بين هذه الأمة أن الله تعالى أمر رسولهﷺ بإبلاغ ما أنزل عليه فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ الآية وروي عن النبيﷺ أنه قال (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) فلو كان الذي علم مما لا يعلمون من العلوم التي أمره بالإبلاغ لأبلغ، ولو جاز لأصحابه أن يسألوه عن ذلك العلم لسألوه، ولا خلاف بين أهل العلم أن من أصحاب رسول اللهﷺ من كان مخصوصاً بنوع من العلم، كما كان حذيفة مخصوصاً بعلم أسماء المنافقين، كان قد أسره إليه رسول اللهﷺ، حتى كان يسأله عمر رضي الله عنه. فيقول: هل أنا منهم؟ وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال علمني رسول اللهﷺ سبعين باباً من العلم لم يعلم ذلك أحداً غيري، وقد ذكر هذا الباب بتمامه في آخر الكتاب، والمراد من تكرار هذا أن العلم المبثوث بين أصحاب الحديث والفقهاء والصوفية هو علم الدين. ولكل صنف من أهل العلم في علمه دواوين، ومصنفات، وكتب وأقاويل، ولكل صنف منهم أئمة مشهورون، قد أجمع أهل عصرهم على إمامتهم، لزيادة علمهم وفهمهم. ولا خلاف أن أصحاب الحديث إذا أشكل عليهم علم من علوم الحديث، وعلل الأخبار، ومعرفة الرجال، لا يرجعون في ذلك إلى الفقهاء، كما أن الفقهاء لو أشكل عليهم مسألة في الخلية والبرية والدور والوصايا لا يرجعون في ذلك إلى أصحاب الحديث، وكذلك من أشكل عليه علم من علوم هؤلاء الذين تكلموا في مواجيد القلوب، ومواريث الأسرار، ومعاملات القلوب، ووصفوا الخواطر واستنبطوا في ذلك بإشارات لطيفة، ومعان جليلة، فليس له أن يرجع في ذلك إلا إلى عالم ممن يكون هذا شأنه، ويكون ممن قد مارس هذه الأحوال، ونازلها واستبحث عن علومها ودقائقها، فمن فعل غير ذلك فقد أخطأ وليس لأحد أن يبسط لسانه بالوقيعة في قوم لا يعرف حالهم، ولم يعلم علمهم، ولم يقف على مقاصدهم ومراتبهم، فيهلك ويظن أنه من الناصحين اهـ.

والباب الذي أشار إليه هو قوله باب (تفسير العلوم وبيان ما يشكل على فهم العلماء من علوم الخاصة وتصحيح ذلك بالحجة) اعلم أن العلم أكثر من أن يحيط به فهم الفهماء، أو يدركه عقول العقلاء، وكفاك بقصة

موسى والخضر عليهما السلام مع جلالة موسى عليه السلام وما خصه الله به من الكلام والنبوة والوحي والرسالة، وقد ذكر الله تعالى في المحكم الناطق على لسان نبيه الصادق عجز موسى عليه السلام عن إدراك علم عبد من عباده، إذ قال تعالى: ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ حتى سأله فقال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾ الآية. مع تأييد موسى عليه السلام وشرفه وعصمته من الإنكار عليه على أن الخضر عليه السلام لم يلحق درجة موسى عليه السلام في النبوة والرسالة والتكليم أبداً.

وقال النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ولما تلذذتم بالنساء، ولا تقاررتم على فرشكم، ولخرجتم إلى الصُّعدات تجأرون إلى الله تعالى. والله لوددت أني كنت شجرة تعضد». رواه إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبي ذر عن النبي ﷺ. وفي هذا الخبر دليل على أن قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ ولم يقل: ما تعرفنا به إليك. وقوله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم»، لو كان من العلوم التي أمر فيها بالبلاغ لبلغهم، ولو صح لهم أن يعلموه لعلمهم، لأن الله تعالى خص النبي ﷺ بعلوم ثلاث: علم بين للخاصة والعامة، وهو علم الحدود والأمر والنهي، وعلم خص به قوم من الصحابة دون غيرهم، وهو العلم الذي كان يعلمه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، حتى كان يسأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع جلالته وفضله، ويقول يا حذيفة هل أنا من المنافقين؟ وكذلك روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: علمني رسول الله ﷺ سبعين باباً من العلم لم يعلم ذلك أحداً غيري. قال: وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا أشكل عليهم شيء يلتجئون في ذلك إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وعِلم خص به رسول الله ﷺ لم يشاركه فيه أحد من أصحابه، وهو العلم الذي قال: «لو تعلمون ما أعلم» فمن أجل ذلك قلنا لا ينبغي لأحد أن يظن أنه يحوي جميع العلوم حتى يخطيء برأيه كلام المخصوصين ويكفرهم ويزندقهم وهو متعرٍ من ممارسة أحوالهم، ومنازلة حقائقهم وأعمالهم، وعلوم الشريعة على أربعة أقسام: فالقسم الأول منها علم

الرواية، والآثار، والأخبار، وهو العلم الذي ينقله الثقات عن الثقات والقسم الثاني علم الدراية، وهو علم الفقه والأحكام، وهو العلم المتداول بين العلماء والفقهاء. والقسم الثالث علم القياس والنظر والاحتجاج على المخالفين، وهو علم الجدل وإثبات الحجة على أهل البدع والضلالة نصرة للدين. والقسم الرابع هو أعلاها وأشرفها، وهو علم الحقائق والمنازلات، وعلم المعاملات والمجاهدات، والإخلاص والطاعات، والتوجه إلى الله عز وجل من جميع الجهات، والانقطاع إليه في جميع الأوقات، وصحة المقصود[1] والإرادات، وتصفية السرائر من الآفات، والاكتفاء بخالق السموات، وإماتة النفوس بالمخالفات، والصدق في منازلة الأحوال والمقامات، وحسن الآداب بين يدي الله في السر والعلانية في الخلوات، والاكتفاء بأخذ البلغة عند غلبة الفاقات، والإعراض عن الدنيا وترك ما فيها طلباً للرفعة في الدرجات، والوصول إلى الكرامات، فمن غلط في علم الرواية غلطاً، لم يسأل عن غلطه أحداً من أهل الدراية. ومن غلط في علم الدراية شيئاً لا يسأل عن غلطه أحداً من أهل الرواية، ومن غلط في شيء من علم القياس والنظر، فلا يسأل عن غلطه أحداً من أهل علم الدراية والرواية، وكذلك من غلط في شيء من علم الحقائق والأحوال فلا يسأل عن غلطه إلا عالماً منهم، كاملاً في معناه، ويمكن أن توجد هذه العلوم كلها في أهل الحقائق، ولا يمكن أن يوجد علم الحقائق في هؤلاء إلا ما شاء الله. لأن علم الحقائق ثمرة العلوم كلها، ونهاية جميع العلوم وغايتها، إلى علم الحقائق، فإذا انتهى إليها وقع في بحر لا غاية له، وهو علم القلوب، وعلم المعارف، وعلم الأسرار، وعلم الباطن، وعلم التصوف، وعلم الأحوال، وعلم المعاملات، أي ذلك شئت معناه واحد. قال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ ألا ترى أن هؤلاء لا ينكرون شيئاً من علومهم، وهم ينكرون علوم هؤلاء، إلا ما شاء الله، وكل صنف من هؤلاء إذا تبحر في علمه فصار متقناً في فهمه، فهو السيد لأصحابه، لا بد لهم

---

(١) جمع قصد، وهو من الجموع القليلة الاستعمال، كخيور جمع خير.

من الرجوع إليه فيما يشكل عليهم، فإذا اجتمعت هذه الأقسام الأربعة في واحد، فهو الإمام الكامل، وهو القطب والحجة، والداعي إلى المنهج والمحجة، كما روي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في كلام له: لكميل بن زياد: اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله، بحجة، لئلا تبطل آياته، وتدحض حجته، أولئك الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله تعالى قدراً اهـ.

وقال الحافظ محمد بن قاسم التركماني في (القول المستحسن) في الكلام على حديث التلقين ما نصه: وقد نص القشاشي والكردي على أن السبب في عدم اشتهار التلقين عند أوائل أهل الحديث، أن هذا أمر خاص بخواص من أهل سلوك طريق العزيمة وليس كرواية الأحاديث، ونقل الأحكام الشرعية العامة حتى يقع لها الشهرة قلت: ومما يدل على أن الأسرار خاصة ببعض دون بعض، حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: دعا رسول الله ﷺ عليًّا يوم الطائف فانتجاه، فقال الناس: لقد طالت نجواه مع ابن عمه، فقال رسول الله ﷺ: «ما أنا انتجيته ولكن الله انتجاه». رواه الترمذي، وقال كما في الرياض النضرة. حسن صحيح غريب، وأبو يعلى والطبراني في الكبير وأبو نعيم.

وروى الطبراني من حديث ناجية بن جندب قال: لما كان يوم غزوة الطائف، قام النبي ﷺ مع عليٍّ ملياً من النهار، فقال أبو بكر يا رسول الله لقد طالت مناجاتك عليًّا منذ اليوم، فقال له: «ما أنا انتجيته ولكن الله انتجاه». وقال الترمذي عقب حديث جابر يقول: إن الله أمرني أن أنتجي معه.

قال المظهر في شرح المصابيح يعني بلغته عن الله تعالى ما أمرني أن أبلغه على سبيل النجوى، فحينئذ انتجاه الله تعالى، لا أنا انتجيته. وقال الطيبي ووافقه عبد الحق الدهلوي، كان ذلك أسراراً إلهية وأموراً غيبية جعله من خزانها اهـ.

أما قول القاري فيه: أن الظاهر أن الأمر المتناجي به من الأسرار الدينوية المتعلقة بالأخبار الدينية من أمر الغزو ونحوه، إذ ثبت في صحيح البخاري أنه سئل ﷺ هل عندكم شيء ليس في القرآن؟ فقال: والذي فلق

الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن. إلا فهماً يعطى رجل في كتاب الله، وما في هذه الصحيفة. قيل: وما في الصحيفة قال: العقل[1]. وفكاك الأسير وألاّ يقتل مسلم بكافر اهـ. فمعلول بأن الظاهر، بل الحق الصريح كما يعلم من رواية البخاري عن يزيد التيمي، قال عليّ ما عندنا كتاب نقرؤه إلاّ كتاب الله غير هذه الصحيفة. وفي لفظ: والله ما عندنا من كتاب يقرأ إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة، الحديث، ومن رواية ابن منيع والترمذي وصححه عن أبي جحيفة، قلت لعلي: يا أمير المؤمنين هل عندكم سوداء في بيضاء ليس في كتاب الله، قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما علمته إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في الصحيفة، الحديث. فهذا يدل أن محل السؤال والجواب شيء مكتوب يقرأ سوى ما في القرآن كما تزعمه الشيعة، لا بما ليس بمكتوب من الأحكام الظاهرة، والأسرار الباطنة، والعلوم اللدنية، وقد صرح بهذا القاري نفسه. فقال في شرح البردة، بعد أن ذكر خبر علمني ربي ليلة الإسراء علوماً شتى، فعلم أخذ على كتمانه، وعلم خيرني فيه، وعلم أمرني أن أبلغه، قال فكان يسر إلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلى ما خير فيه. ذكره جمع من الشراح ولم أقف له على أصل في كتب الحديث، ما نصه: ولا ينافي ما رواه البخاري فذكر هذا الخبر، ثم قال: لأن هذا فيما يتعلق بتبليغ الناس، وذاك في غيره، كما هو ظاهر اهـ مع أن قول عليّ ﷺ إلا فهماً يعطى رجل في كتاب الله، يتضمن جميع علوم الأسرار، وفهوم الأخبار، قوله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾.

قال ابن عباس: جميع العلوم في القرآن لكن تقاصر عنه أفهام الرجال.

وروى سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال: من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين، قال البيهقي: يعني أصول العلم.

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عنه قال: أنزل في هذا القرآن كل

---

(١) أي الدية.

علم، وبين لنا فيه كل شيء، ولكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرآن.

وروى سعيد بن منصور عن الحسن، قال: أنزل الله مائة وأربعة كتب أودع علومها في أربعة منها: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم الثلاثة في القرآن، أي مع زيادات لا تنحصر.

وروى عبد الله بن أحمد في زوائد المسند بسند صحيح عن ابن مسعود قال: تمارينا في سورة من القرآن: فقلنا خمس وثلاثون آية، ست وثلاثون آية، فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ، فوجدنا علياً يناجيه، فقلنا له: إنا اختلفنا في القرآن، فاحمر وجه رسول الله ﷺ، فقال عليّ: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرؤا كما علمتم.

وقد مضى حديث أبي نعيم عن ابن مسعود: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن، وأن علي بن أبي طالب عنده منه علم الظاهر والباطن.

وقال الطبراني في الصغير: حدثنا محمد بن سهل بن الصباح الصفار الأصبهاني، حدثنا أحمد بن الفرات الرازي، حدثنا سهل بن عبدويه السندي الرازي، ثنا عمرو بن أبي قيس عن مطرق بن طريف عن المنهال بن عمرو، عن التميمي، عن ابن عباس، قال: كنا نتحدث أن النبي ﷺ عهد إلى عليّ رضي الله عنه سبعين عهداً لم يعهدها إلى غيره. قال الطبراني لم يروه عن مطرق إلا عمرو بن قيس، ولا عن عمرو إلا سهل بن عبدويه، تفرد به أحمد بن الفرات، واسم التميمي إربده اهـ.

قلت وبالنظر في رجاله يعلم أنه حسن إن لم يكن صحيحاً.

وقد أخرجه أبو نعيم، قال حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا أحمد بن محمد الحمال، ثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات به.

وقال ابن عقدة: حدثنا أبو عوانة موسى بن يوسف بن راشد، حدثنا عبد السلام بن عاصم، ثنا إسحاق بن إسماعيل بن لاهوية ثنا عمرو بن قيس، عن ميسرة بن حبيب، عن المنهال بن عمرو، قال: أخبرني رجل من بني تميم عن ابن عباس قال: كنا نتحدث أصحاب محمد أن النبي ﷺ عهد إليه ثمانين عهداً لم يعهد شيئاً منها إلى أحد غيره، وعن ابن عقدة رواه

الجعابي والمفيد والطوسي في مشيخته، ومما يشهد للعهد أخباره بما يقع له ولأهل بيته من الفتن والمحن لا تغادر صغيرة منها ولا كبيرة، وما رواه أحمد وابنه عبد الله وأبو يعلى كلهم قالوا: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا جرير بن عبد الحميد، عن مغيرة، عن أم موسى عن أم سلمة قالت: والذي أحلف به إن كان علي لأقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ، قالت: كان عندنا رسول الله ﷺ، غداة بعد غداة، وهو يقول: جاء علي مراراً؟؟ ولفظ أبي يعلى: كان رسول الله ﷺ يوم قبض في بيت عائشة فجعل رسول الله ﷺ غداة بعد غداة يقول: «جاء عليّ» مراراً، قالت: وأظنه كان بعثه في حاجة، قالت: فجاء بعد فظننا: أن له إليه حاجة، فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب، فكنت من أدناهم من الباب، فأكب عليه عليّ فجعل يسايره ويناجيه، ثم قبض رسول الله ﷺ من يومه ذلك، زاد أحمد وابنه، فكان أقرب الناس به عهداً.

وقال أبو يعلى: ثنا أبو خيثمة، ثنا جرير بن عبد الحميد، عن مغيرة، فذكره، وفيه ثلاث مرات فجاء قبل طلوع الشمس.

وأخرجه النسائي في خصائصه، قال: أخبرني محمد بن قدامة، ثنا جرير، فذكره، ومن جهة أحمد، رواه الحاكم، وقال صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وكأنه لذلك دعا النبي ﷺ رافعاً يديه، وكان بعث جيشاً فيهم عليّ «اللهم لا تمتني حتى تريني علياً» رواه أحمد والترمذي وحسنه من حديث أم عطية.

وقال عبد الحق الدهلوي: ليس كل العلوم والأسرار والمعارف مشتركة فيما بين الصحابة بأجمعهم، ولا بد كان بعضهم مخصوصاً بما لم يكن عند غيره، كحذيفة المشهور بصاحب السر إلاّ الأحكام الشرعية من الأوامر والنواهي فإنه لم يكتمها عن واحد، ولم يخص بها بعضاً دون بعض.

ففي صحيح مسلم عن حذيفة أنه قال: والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وفي الصحيحين: أن أبا الدرداء، قال لعلقمة: أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره؟ وعند الترمذي،

وقال حسن صحيح: من قول أبي هريرة لخيثمة بن أبي سبرة أليس فيكم حذيفة صاحب سر رسول الله ﷺ؟ اهـ.

قلت: وهذا السر الذي خص به رسولُ الله ﷺ حذيفة في معرفة المنافقين، وتفاصيل إخبار الفتن والملاحم الآتية إلى قيام الساعة، لم يكن تعليمه إياها من طريق الظاهر، والتحديث باللسان، فإن حذيفة رضي الله عنه لم يكن يختلي برسول الله ﷺ وقتاً طويلاً دون الصحابة، لأن ما كان يعلمه حذيفة من ذلك يستدعي أخذه وقتاً طويلاً مع حفظ واسع، أو كتابة كتاب، ولم ينقل في خبر أن رسول الله ﷺ كان يختلي به وحده، ويعقد له مجالس خاصة به للتحدث والمذاكرة في هذا السر، وإنما حصلت تلك الخصوصية من طريق السر الإلهي والمدد الباطني الذي ينفتح به مقفل خزائن العلوم، الكامنة في سر العبد وتتفجر معه ينابيع المعارف من عيون قلبه، فينظر بنور الله، وينطق بأسرار توفيقه، لأنه ممن أحبه الله، فكان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ومتى صار العبد يسمع بالله ويبصر به صار الغيب له شهادة، والمستقبل له حاضراً. فينطق بالمغيبات، ويخبر عنها خبر من عاينها، لا فرق بين الماضي والمستقبل، ولا بين القريب والبعيد، وإذا ثبت هذا في حق حذيفة رضي الله عنه الذي خصه النبي ﷺ بسر واحد فما بالك بعليّ وارث علمه ﷺ، ووصيه وخليفته الباطني الذي أخبر عنه أنه: باب (مدينة علمه) وأنه أعلم أمته، وبما سبق من الأحاديث والنصوص تعلم انطماس بصيرة ابن تيمية وابن خلدون. وعمي قلبهما وبصرهما عن رؤية خصوصية هذا الإمام الجليل رضي الله عنه وعنّا به ونفعنا بعلومه وأسراره آمين.

فصل

وقول ابن تيمية: فأين الحقائق القلوبية من لباس الأبدان؟ هو مغالطة منه وتجاهل، وتعام عن الحق وتغافل، بل جحود وكتمان، وقلب للحقائق والأعيان، وبيان ذلك من وجوه:

(الوجه الأول): أن المنقول عن عليّ عليه السلام هو لب الحقائق القلوبية وسر المعارف الإلهية التي هي نتيجة العمل بالشريعة المحمدية، وهي

القطبية العظمى، والفردية الكبرى، وما يندرج تحتها من مقامات المعرفة، ومنازل الولاية، في القرب والوصول إلى الحضرة العلية، والخرقة إنما هي اصطلاح وعلامة على الدخول في الطريق، وذلك عند بعض الصوفية، لا عند جميعهم، فالشاذلية ليس لهم خرقة، ولا هي عتبة للدخول في طريقهم، كما عند غيرهم، بل أكثرهم لا سيما شيوخ المغرب منهم، من لا يعرفها، بل ولا يسمع بها، لعدم ذكرها في كتب تربيتهم وسلوكهم، بل وكذلك التلقين والأوراد والأذكار. فإنه شيء أحدثه متأخروهم، قال ابن عطاء الله في لطائف المنن: سمعت شيخنا أبا العباس يعني المرسي رضي الله عنه يقول: طريقنا هذه لا تنسب المشارقة ولا للمغاربة، بل واحد عن واحد إلى الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما، وهو أول الأقطاب، وإنما يلزم تعيين المشايخ الذين يستند إليهم طريق الأنساب، من كانت طريقه بلبس الخرقة، فإنها رواية، والرواية تتعين بتعين سندها. وهذه هداية، وقد يجذب الله العبد إليه فلا يجعل عليه منة لأستاذ، وقد يجمع شمله برسول الله ﷺ فيكون آخذاً عنه. وكفى بهذا منة اهـ، ولما تكلم القسطلاني في المواهب اللدنية على الخرقة. قال: وكثير من السادات يكتفي بمجرد الصحبة. كالشاذلي وشخينا أبي إسحاق المتبولي، وقال العارف الكبير أبو عبد الله محمد بن عراق في كتاب له في الخرقة ما نصه: والسادات الشاذلية لم يعتبروا في طريقهم لبس الخرقة وإنما المعول عليه عندهم الصحبة الصادقة مع الاقتداء، وأما تلقين الذكر وإرخاء العذبة، فلهما عندهم أصل صحيح، وكذا عند أستاذي ابن ميمون[1]. اهـ. ولما سأل الشيخ زروق شيخه أبا العباس أحمد بن عقبة الحضرمي عن خرقته، قال له: نحن لا نعرف شيئاً من هذا ولكن طريق أمي وسلفها تنتهي إلى الشيخ أبي مدين المغربي كما تقدم نقله عن الشيخ زروق، وقال إمام الطريقة القطب الأشهر أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في كتابه

---

(١) هو الشيخ علي بن ميمون الغماري، صاحب رسالة «غربة الإسلام بين صنفي المتفقهة والمتفقرة في مصر والشام وما والاها من بلاد الأعجام» وهي مطبوعة بالمغرب وفيها تشديد اهـ.

(المجموع في المعرفة، على مراد الربوبية) في باب الأوراد منه ما نصه: وسأل رجل أستاذي فقال: يا سيدي وظف عليَّ وظائف وأوراداً فغضب منه الأستاذ، وقال: أرسول أنا؛ فأوجب الواجبات، الفرائض معلومة، والمعاصي مشهورة، فكن للفرائض حافظاً، وللمعاصي رافضاً، واحفظ قلبك من إرادة الدنيا، وحب النساء، وحب الجاه؛ وإيثار الشهوات؛ وامتنع عن ذلك كله بما قسم الله لك؛ إذا خرج لك مخرج الرضى فكن شاكراً وإذا خرج لك مخرج السخط فكن عنه صابراً؛ وحب الله قطب تدور عليه الخيرات؛ وأصل جامع لأنواع المسرات؛ وحصون ذلك كله أربعة: صدق الورع، وحسن النية، وإخلاص العمل، وصحبة العلم، ولا تتم لك هذه الجملة إلا بصحبة أخ صالح، أو شيخ ناصح اهـ فهذا قطب الطريقة، وشيخ إمامها يصرح بأن الأصل في الطريق هو صحبة الشيخ الناصح المرشد إلى العمل بالشريعة على وجه الإخلاص وحسن النية، وأنه ليس فيها أوراد ولا وظائف فضلاً عن لبس الخرقة.

وقال العلامة الأديب الصوفي أبو الربيع سليمان بن محمد الحوات في (البدور الضاوية في أخبار أهل الزاوية الدلائية) لما ترجم لأبي بكر الدلائي ما نصه: وطريقته رضي الله عنه إنما هي شاذلية، ولا تلقين في الطريقة الشاذلية كما قال القسطلاني وقال والدنا الإمام العلامة سيدي محمد بن عبد الله الحوات الحسن العلمي الموسوي في كتابه (تحفة المعاصر في بعض صالحي تلامذة أبي عبد الله ابن ناصر) ما نصه: وسألت شيخنا الإمام العلامة أبا عبد الله من أحمد المشناوي عن هذا التلقين والورد المعطى للفقراء على الكيفية المعروفة، فأجابني بأنه لم يكن في الصدر الأول، وإنما أحدثه الشيخ أحمد بن يوسف الملياني فقيل له في ذلك، فقال: رأيت أن أشغل من الفقراء في بعض الأوقات بعض الجوارح، أو ما هذا معناه اهـ.

ويحكى أن الشيخ أبا العباس أحمد بن عبد الله صاحب المخفية سأل الشيخ سيدي أحمد بن ناصر بقوله: ما هذا الذكر الذي تعطيه للناس وتضربهم بعصاً واحدة أو ما هذا معناه فأجابه بأنه لينبه الناس إلى ذكر الله اهـ.

قلت: وفي المقصد الأحمد في مناقب سيدي أحمد بن عبد الله المذكور لأبي محمد عبد السلام بن الطيب القادري ما نصه: وليس من شأنه إعطاء الأوراد ولا توظيف الوظائف بل إذا خالطه أحد تركه حتى يشرق بباطنه التوحيد، وتترشح فيه الأنوار، فيهتدي إذ ذاك للاتباع والعمل، وذكر الله عز وجل من غير كلفة لا تعمل اهـ.

وقال القادري في الكتاب المذكور لما تكلم على الخرقة ما نصه: وقد تداول هذه الخرقة الأقدمون من الأكابر كلهم أو جلهم، وليست عندهم للتبرك، إذ لبسوا متشبهين، وتعاطوها كثيراً فيما بينهم، إلى أن ظهرت الشاذلية فانقطع ذلك، فلا تجد في أسانيدهم شيئاً منها، وكذلك التلقين؛ وصفته: أن يقول الشيخ للمريد وهو يسمع: لا إله إلا الله، ثلاث مرات رافعاً بها صوته مغمضاً عينيه ثم يقولها المريد كذلك اهـ.

وقال الصومعي في (المعزى في أخبار الشيخ أبي يعزى) وقد قدمنا أن هذا شأن الفقراء والشيوخ بالبلاد المشرقية، وأهل المغرب إنما غالب أمرهم الصحبة والاقتداء اهـ.

قلت: وهو قد أدرك أصحاب الشيخ زروق رضي الله عنه. ولا يزال الأمر على ذلك بالمغرب إلى الآن لأن أكثر الطرق به شاذلية زروقية أو جزولية.

فصل

وكذلك نص النقشبندية في كتبهم على أن العمدة في طريقهم على الصحبة والاقتداء، لا على لبس الخرقة. قال الإمام الرباني أحمد بن عبد الأحد السهرندي: وفي هذه الطريقة معنى النقشبندية الصوفية، المشيخة والإرادة، بتعليم الطريق وتعلمها لا بالقلنسوة والشجرة نقله عنه الخافي في (البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية).

فصل

بل الأقدمون من الصوفية كلهم لا يعرفون الخرقة، وإنما يعرفون

الصحبة والاقتداء، ومن قرأ كتبهم وكتب تراجمهم (كالرعاية) للحارث المحاسبي، (والقوت) لأبي طالب المكي، (والتعرف) للكلاباذي، و (اللمع) لأبي نصر السراج الطوسي، (والرسالة) للقشيري، (والحلية) لأبي نعيم، و (سنن الصوفية وطبقاتهم) لأبي عبد الرحمن السلمي، ونحوها لا يجد فيها للخرقة ذكراً، ولا لروايتها أثراً، لأنها لم تكن مشهورة عندهم، ولا متداولة فيما بينهم، كاشتهارها وتداولها بين المتأخرين أهل القرن الخامس، فمن بعدهم وأول ظهورها في القرن الرابع، في زمن أصحاب الجنيد كالشبلي المتوفى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وابن خفيف المتوفى سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، كما سيأتي عن الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي رضي الله عنه، ولذلك لم يروها الحفاظ المخرجون للسنن والآثار، مع شدة اعتنائهم بالرواية وسعة حفظهم، وكثرة بحثهم عن كل ما يتصل بالنبيﷺ ظاهراً من سنن وأحكام وأخلاق وآداب، بل لما اشتهرت بين المتأخرين من الصوفية أنكرها عليهم أهل الحديث، لعدم ثبوتها مروية في كتب المتقدمين منهم، وأول من علمته ذكرها واستدل لها الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي المتوفي سنة سبع أو ثمان وخمس مائة في كتابه (سنن الصوفية) المعروف بكتاب (الصفوة) فقال في كتاب اللباس منه: باب السنة في لبسهم الخرقة من يد الشيخ، ثم أخرج من طريق الحاكم، ثم من حديث أم خالد بنت خالد قالت: أتى النبيﷺ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة، فقال «من ترون أكسو هذه» فسكت القوم، فقال رسول اللهﷺ «ائتوني بأم خالد» فأتى بها فألبسنيها بيده، وقال «أبلي وأخلقي» يقولها مرتين، وجعل ينظر إلى علم في الخميصة أصفر وأحمر، ويقول «يا أم خالد هذا سناه» والسناه بلغة الحبشة: الحسن اهـ فاستدل لها بهذا الحديث، ولم يرو لبسها مسلسلاً من طريق الشيوخ، لعدم اشتهار سندها في عصرها بسند الخرقة، وإنما كان معروفاً بسند الصحبة والاقتداء، نعم أفردها بالتأليف الحافظ أبو موسى المديني المتوفى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة في جزء سماه «استدعاء اللباس عن كبار الناس» ولعله ذكر سندها المعروف فيه، فإنا لم نقف عليه، وقد أنكرها عصرية الحافظ أبو الفرج بن الجوزي في (تلبيس إبليس) وقال: إن سندها كذب ومحال، وما

كان من عادة رسول الله ﷺ الإلباس، ولا فعل هذا أحد من أصحابه وتابعيهم الخ ما قال، وهو جهل منه بالأصول التي تشهد لإلباس الخرقة من السنة الصحيحة دون حديث أم خالد الذي ذكره الحافظ أبو الفضل ابن طاهر المقدسي، واعترض عليه ابن الجوزي فيه، وإنما الغرض الاستشهاد من كلامه بأنها لم تكن معروفة بين المتقدمين، لا من الصوفية ولا من المحدثين.

وقال الحافظ السخاوي في (المقاصد الحسنة) حديث لبس الخرقة الصوفية، وكون الحسن البصري لبسها من عليّ، قال ابن دحية وابن السلاح: إنه باطل، وكذا قال شيخنا يعني الحافظ أنه ليس في شيء من طرقها ما يثبت، ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي ﷺ ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه، ولا أمر أحداً من أصحابه بفعل ذلك وكل ما يروى في ذلك صريحاً فباطل اهـ المراد منه، ونقل الحافظ السيوطي في (زاد المسير عن الحافظ ابن الصلاح أنه قال: بعد ذكر سنده في الخرقة وليس بقادح فيما أوردناه كون لبس الخرقة ليس متصلاً إلى منتهاه على شرط أصحاب الحديث في الأسانيد، فإن المراد ما يحصل به البركة والفائدة باتصالها بجماعة من السادات الصالحين اهـ. وهو عكس ما نقله عنه السخاوي من الحكم ببطلانها، وكأن ابن الصلاح يقصد فيما نقله عنه السخاوي، وكذا عن الحافظ حديث الخرقة الباطل الموضوع الذي فيه إخراجها من الجنة من صندوق من النور، كما هو مذكور في الموضوعات، وقال بعض من اختصر كتاب (بهجة الأسرار) في مناقب مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، ما نصه: أعلم أن لفظ الصحبة في هذه الطائفة كان من وقت النبي ﷺ إلى وقت شيخ الطائفة وإمام الأمة أبي القاسم الجنيد البغدادي رضي الله عنه، ثم منه إلى الآن يستعمل مكانه لفظ الخرقة اهـ.

وقال الشيخ الأكبر رضي الله عنه في «الفتوحات المكية» في الباب الخامس والعشرين، بعد حكاية ما جرى له مع الخضر عليه السلام، وكونه لبس منه الخرقة، ما نصه: ومن ذلك الوقت قلت بلباس الخرقة وألبستها الناس،

لما رأيت الخضر قد اعتبرها، وكنت قبل ذلك لا أقول بالخرقة المعروفة الآن، فإن الخرقة عندنا إنما هي عبارة عن الصحبة والأدب والتخلق، ولهذا لا يوجد لباسها متصلاً برسول الله ﷺ، ولكن يوجد صحبة وأدب وهو المعبر عنه بلباس التقوى انتهى المراد منه. وقال في رسالة «نسب الخرقة» بعد تمهيد سيأتي ما نصه: ولما تقرر هذا في نفوس أهل الله أرادوا أن يجمعوا بين اللبستين ويتزينوا بالزينتين، ليجمعوا بين الحسنين، فيثابوا من الطرفين، إلى أن قال: فظهر الجمع بين اللبستين من زمن الشبلي وابن خفيف، إلى هلم جرا، فجرينا على مذهبهم في ذلك فلبسناها من أيدي مشايخ جمة سادات، بعد أن صحبناهم وتأدبنا بآدابهم، ليصح اللباس ظاهراً وباطناً اهـ فصرح بأن أول ظهور لبس الخرقة كان في زمن الشيلي وابن خفيف، وهو القرن الرابع وأنه قبل ذلك لم يكن إلا الصحبة والاقتداء، ولم يكن لباس الأبدان معروفاً بينهم، وهو الحق الذي لا شك فيه، وإن تعقبه عليه الصفي القشاشي وتبعه بعض المغرمين بلباس الخرقة، من الهنود المتأخرين بما لا طائل تحته، وقال السهروردي في (عوارف المعارف) ولا خفاء أن لبس الخرقة على الهيئة التي يعتمدها الشيوخ في هذا الزمان لم يكن في زمن رسول الله ﷺ، وهذه الهيئة والاجتماع لها والاعتداد بها من استحسان الشيوخ، وأصله من الحديث ما رويناه يعني حديث أم خالد السابق انتهى المراد منه، ولما نقله العلامة المقري صاحب (نفح الطيب) في كتابه (زهر الكمامة في أخبار العمامة) قال ما نصه: وكان طائفة من السلف الصالحين لا يعرفون الخرقة ولا يلبسونها المريدين اهـ. وقال الشيخ زروق في (عدة المريد الصادق).

فصل

في ذكر ظهور المشايخ والمشيخة وما يتبع ذلك من طريق الاقتداء ونحوها.

اعلم: أن الأوائل من القوم لم يكن لهم ترتيب في المشيخة معروف ولا اصطلاح مألوف، وإنما كانت المحبة واللقاء، فكان الأدنى منهم إذا

لقي الأعلى، استفاد برؤيته أحوالاً لأن من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها، والأحوال موروثة فلذلك قال ابن العريف كيف يفلح من لم يخالط مفلحاً وكان الصحابة رضي الله عنهم ينتفعون برؤيته عليه الصلاة والسلام حتى قال أنس رضي الله عنه: ما نفضنا التراب عن أيدينا من دفنه ﷺ حتى وجدنا النقص في قلوبنا، كانت الصحبة عندهم بتعلم الأدب، وأخذ العلم، بوجه يعرف أحدهم بالتزام الوجه الذي يأخذ منه، ويواليه موالاة من يرى فضله عليه، ويشكر إحسانه إليه من غير زائد على ذلك، وأصلهم في ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ الآية، فلما غلب الخبْطُ على النفوس والتخليط على القلوب، ظهر متأخرو الصوفية بالاصطلاح في التربية، وترتيب المشيخة على ما هو معلوم من شأنهم، مستندين لما ذكرنا من قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ اهـ المراد منه. وهو غاية في التحقيق، فصرح بأن المشيخة على الهيئة المتعارفة اليوم، لم تكن في زمن الأقدمين من القوم، فضلاً عن إلباس الخرقة الحادث عند بعضهم في القرن الرابع.

فصل

فبان من هذا بطلان قول ابن تيمية: فأين الحقائق القلوبية من لباس الأبدان؟ وأن المروى عن عليّ عليه السلام ليس هو الخرقة ولباس الأبدان، بل المروي عنه هو المعرفة بالله تعالى، وعلم الباطن الذي هو سر الاقتداء الذي هو نتيجة العمل على الإخلاص، وأن إلباس الخرقة أمر حادث، وشيء اصطلح عليه شيوخ الصوفية بعد وفاة عليّ عليه السلام بثلاثة قرون، كما اصطلح الفقهاء وأهل الأصول على قواعد وضوابط، واستنبطوا من النصوص أحكاماً وفروعاً، وتوسعوا في ذلك حتى ذكروا حكم المستحيل، وما لا يتصور في العادة وجوده، وذلك بعد النبي ﷺ بقرون وأزمان، ثم نسبوا جميع ما استنبطوه إلى الشريعة، وصرحوا بأنه حكم الله تعالى، وحكم رسوله ﷺ مع عدم ورود شيء منه، لا في كتاب الله تعالى، ولا في سنة رسوله ﷺ، بل ولا عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وعنا بهم آمين.

وإنما وردت أصول وثبتت أدلة، فاستنبطوا منها تلك الفروع، واستخرجوا منها تلك القواعد والأحكام، وقاسوا عليها وعلى ما هو مقيس عليها أضعاف أضعافها، فكان في استنباطهم الحق والباطل، والصواب والخطأ، بقدر إحكام طرق الاستنباط، وتحقيق العلل، وتحرير المناط، وعلى حسب العلم بالدليل، والجهل به، والقرب منه، والبعد عنه، بخلاف مسائل الصوفية رضي الله عنهم، فإن غالبها مستخرج من نفس الكتاب والسنة، لا من الأقيسة الفاسدة، والشبه الباطلة، والتقليد المحرم الممنوع، فالخرقة وإن لم ترد عن النبيﷺ بالصفة المخصوصة، والهيئة المتعارفة بين الصوفية المتأخرين، أو من اختارها منهم إلا أنا وجدنا لمن استحسنها منهم لمصلحة المريدين، أصولاً هي أقرب من أصول الفقهاء، في أكثر فروعهم، وأدلة أقوى من أدلة الفقهاء في جل أحكامهم، فقد ثبت عن النبيﷺ أنه عمم جماعة من أصحابه بيده الكريمة، منهم عليّ بن أبي طالب الذي تروى الخرقة من طريقه. وكذلك كسا أهل بيته الكرام، وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» وهم الأقطاب الذين تروى من طريقهم المعارف الإلهية، وتستقي من جهتهم الحقائق العرفانية، بل كانﷺ لا يولي والياً حتى يعممه.

قال الدولابي في (الكنى والأسماء): حدثنا عبد الصمد بن عبد الوهاب المعروف بصيدله، حدثنا يحيى بن صالح الوحاظي، حدثنا جميع بن ثوب، حدثنا أبو سفيان الرعيني، عن أبي أمامة، قال: كان رسول اللهﷺ لا يولي والياً حتى يعممه، ويرخي له من جانب الأيمن حذاء الأذن. ومن هذا الوجه رواه أيضاً الطبراني.

وأخرج أبو داود والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، قال: عممني رسول اللهﷺ فسدلها بين يدي ومن خلفي.

ورواه البزار والدارقطني في (الإفراد) وأبو نعيم في (المعرفة) والبيهقي في (شعب الإيمان) من طريق عطاء الخراساني: أن رجلاً أتى ابن عمر، فسأله عن إرخاء طرف العمامة، فقال له عبد الله: إن رسول اللهﷺ بعث سرية وأمَّر عليها عبد الرحمن بن عوف، وعقد له لواءاً، وعلى عبد

الرحمن بن عوف عمامة من كرابيس[1] مصبوغة بسواد، فدعاه رسول الله ﷺ فحل عمامته، ثم عممه بيده وأفضل موضع أربع أصابع، أو نحو ذلك، فقال: «هكذا فأعتم فإنه أحسن وأجمل».

ورواه ابن أبي شيبة وابن عساكر من حديث عائشة، ولما ذكر الحافظ السيوطي في (زاد المسير) استدلال السهروردي للخرقة بحديث أم خالد، قال: وقد استنبطت للخرقة أصلاً من السنة أوضح مما تقدم، ثم ذكر حديث عبد الرحمن بن عوف، ثم قال: فالاستدلال بهذا لإلباس الخرقة أنسب، والله أعلم اهـ.

قلت: بل الأنسب هو الاستدلال بتعميم النبي ﷺ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، وإلباس الكساء لآل بيته الأطهار، لأن من جهتهم تروى الخرقة، لا من جهة عبد الرحمن بن عوف.

قال الطبراني في الكبير: حدثنا بكر بن سهل، حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا يحيى بن حمزة، حدثنا أبو عبيدة الحمصي، عن عبد الله بن بشر، قال: بعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب إلى خيبر فعممه بعمامة سوداء، ثم أرسلها من ورائه، أو قال: على كتفه الأيسر، وتردد فيه. وربما جزم بالثاني.

ورواه أيضاً الضياء في (المختارة) على ما في (سبل الهدى والرشاد) للشامي، وحسنه الحافظ السيوطي والسخاوي على ما نقله القاري في (المقالة العذبة).

وقال الطيالسي في مسنده: حدثنا الأشعث بن سعيد، حدثنا عبد الله بن بشر، عن أبي راشد الجراني، عن عليّ، قال: عممني رسول الله ﷺ يوم غدير خُمّ[2] بعمامة سدلها خلفي، ثم قال: «إن الله عز وجل أمدني يوم بدر وحنين بملائكة يعتمون هذه العمة» وقال: «إن العمامة حاجزة بين الكفر والإيمان» الحديث ورواه أيضاً ابن أبي شيبة في (المصنف) وأحمد بن منيع

---

(١) قطن، والحديث حسن، وهو أصح حديث في تعيين قدر العذبة بأربع أصابع.

(٢) بضم الخاء وتشديد الميم، موضع فيه أثبت النبي ﷺ، ولاية علي عليه السلام، بحضور الصحابة.

في (المسند) والبيهقي في (السنن) هكذا أيضاً، وروى أبو نعيم في (المعرفة) من طريق إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن بشر عن عبد الرحمن بن عدي البهراني، عن أخيه عبد الأعلى بن عدي: أن رسول الله ﷺ دعا علي بن أبي طالب يوم غدير خم فعممه، وأرخى عذبة العمامة من خلفه، ثم قال: «هكذا فاعتموا فإن العمائم سيما الإسلام وهي حاجزة بين المسلمين والمشركين» وهو مرسل جيد. وله طرق أخرى، منها: أن النبي ﷺ، كان له عمامة تسمى السحاب فوهبها لعلي. فربما طلع فيها، فيقول النبي ﷺ «آتاكم عليّ في السحاب» رواه ابن عدي، وأبو الشيخ، من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرسلاً، وهو ضعيف جداً: كما يقول الحافظ العراقي في (المغني)، وقد ألبس النبي ﷺ جماعة آخرين أعرضنا عن ذكر أحاديثهم اختصاراً، وأما حديث الكساء فسيأتي، ولما نقل الصفي القشاشي في (السميط المجيد) كلام الحافظ السخاوي في (المقاصد الحسنة) تعقبه بقوله، وأما قوله: لم يرد: أن النبي ﷺ ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه فليس فيه إلا نفي ورود الكيفية المخصوصة لهم، وأما الكيفية المخصوصة من فعله ﷺ، فقد فعلها بعليّ بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عوف، في إلباس العمامة، وبالعباس، وولده، فحصل عند كل أحد من هؤلاء كيفية. فدل على الإطلاق، وجواز الكيفية بعد ثبوت الإلباس بالعمامة والأنبجانية وغيرها. فنفى الكيفية كما ذكر غير قادح إذ لا يلزم من ذلك نفي أصل الإلباس بغير تلك الكيفية، وهو ظاهر. ألا ترى أن الشيخ شهاب الدين السهروردي قد قال في العوارف: ولا خفاء بأن لبس الخرقة على الهيئة التي يعتمدها الشيوخ في هذا الزمان، لم تكن في زمان رسول الله ﷺ، وهذه الهيئة والاجتماع لها من استحسان الشيوخ. اهـ، مع أنه لم يذكر هذا الكلام إلا بعدما روى حديث أم خالد بسنده المثبت لأصل اللبس بكيفية ما، مع أنه مخرج في الصحيح، فظهر أن عدم ورود الكيفية المخصوصة لا ينافي ورود أصل اللبس بغير تلك الكيفية. على أنه قد ثبت تعدد الإلباس منه ﷺ بكيفيات مختلفة كما مر، وهو دليل على أن الأمر فيه سعة، وليس محصوراً في كيفية خاصة، ولا في ثوب خاص، ولا مختص بالذكر، ولا بالأنثى،

ولا بالصغير، ولا بالكبير، فقد مر أنه ألبس عليّ وابن عوف العمامة، وأرخى للأول طرفها، وللثاني طرفيها، وكلاهما كيفية، وثبت في حديث أم خالد، أنه ألبسها خميصة سوداء صغيرة بيده، وقال: «أبلي وأخلقي» وثبت في حديث ابن عباس عند الترمذي أنه ﷺ ألبس عباساً وولده كساء، ودعا لهم. وإذا ثبت ذلك، وأنه كان يفعل بما أراه الله بنور النبوة ما هو اللائق بالحال والشخص والثوب، فكذلك الشيخ الوارث له أن يفعل ما أراه الله بنور الولاية لائقاً بحال الشخص وزمانه ومكانه، وهو في كل ذلك متبع للسنة، لما عرفت من عدم الحصر في كيفية، والله أعلم. وحيث أن الخرقة كما قال السهروردي في (العوارف) عتبة الدخول في الصحبة. والمقصود الكلي هو الصحبة، وبالصحبة يرجى كل خير للمريد اهـ. كان الظن بهم أنهم ما اختاروا هذه الهيئة، إلا لكونها في زمانهم أنفع للمريد، فيما هو المقصود منه، من التخلق بأخلاقهم، والتأدب بآدابهم، وكل ما يكون وسيلة إلى المطلوب فهو مطلوب، وإن لم يكن واردا بخصوصه عن رسول الله ﷺ اهـ. وفيه اعتراف منه بحدوث إلباس الخرقة، وأنه لم يكن في السلف الصالح إلا الصحبة والاقتداء، كما قال السهروردي والشيخ الأكبر في (الفتوحات المكية) ولكن القشاشي لما نقل كلامه تعقبه بما قدمناه سابقاً وتعقبناه والعلم عند الله تعالى.

فصل

الوجه الثاني: من أوجه الرد على ابن تيمية في قوله: فأين الحقائق القلوبية من لباس الأبدان؟ إن القائلين بالخرقة من الصوفية لم يجعلوها أصلاً في طريقهم حتى تكون هي الغاية المقصودة، والنتيجة المطلوبة، بل جعلوها علامة على الدخول في طريقهم، والانخراط في سلكهم، كما يجعل الملوك الخلع علامة على الولاية، ولباس الجند علامة على الدخول في الجندية. وخدمة الدولة، والمقصود منها إعطاء البيعة على التوبة والإقلاع عن المعاصي، والإقبال على الآخرة بالعمل الصالح، والإعراض عن الدنيا بالزهد فيها، وترك التشوف إليها، والاشتغال عنها بذكر الله وعمارة الوقت بطاعته، كما هو شأن أهل تلك الخرقة والمرقعة، قال

الشيخ الأكبر في رسالة (نسب الخرق) بعد مقدمة ستأتي: ولما تقرر هذا في نفوس أهل الله، أرادوا أن يجمعوا بين اللبستين، ويتزينوا بالزيتين ليجمعوا بين الحسنيين فيثابوا من الطرفين، فسنوا لباس هذه الخرقة على الهيئة المعلومة عندهم، ليكون تنبيهاً على ما يريدونه من لباس بواطنهم، وجعلوا ذلك صحبة وأدباً. اهـ.

وقال السهروردي في (عوارف المعارف): لبس الخرقة ارتباط بين الشيخ وبين المريد، وتحكيم من المريد للشيخ في نفسه. والتحكيم سائغ في الشرع لمصالح دنيوية، فماذا ينكر المنكر للبس الخرقة على طالب صادق في طلبه، يتقصد شيخاً بحسن ظن وعقيدة، يحكمه في نفسه؛ لمصالح دينه يرشده ويهديه، ويعرفه طريق المواجيد، ويبصره بآفات النفوس، وفساد الأعمال، ومداخل العدو، فيسلم نفسه إليه، ويستسلم لرأيه واستصوابه في جميع تصاريفه، فيلبسه الخرقة إظهاراً للتصرف فيه فيكون لبس الخرقة علامة التفويض والتسليم ودخوله في حكم الشيخ دخوله في حكم الله تعالى وحكم رسوله ﷺ، وإحياء لسنة المبايعة مع رسول الله ﷺ. أخبرنا أبو زرعة قال: أخبرني والدي الحافظ المقدسي، قال: أنا أبو الحسين أحمد بن محمد البزار، قال: أنا أحمد بن محمد أخي ميمي، قال: ثنا يحيى بن محمد بن صاعد، قال: ثنا عمرو بن عليّ قال: سمعت عبد الوهاب الثقفي، يقول: سمعت يحيى بن سعيد، يقول: ثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، قال: أخبرني أبي عن أبيه، قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله. وأن نقول بالحق حيث كنا، ولا نخاف في الله لومة لائم، ففي الخرقة معنى المبايعة والخرقة عتبة الدخول في الصحبة، والمقصود الكلي هو الصحبة. وبالصحبة يرجى للمريد كل خير. اهـ.

وقال الإمام العارف نجم الدين البكري بعد الاستدلال للخرقة، بحديث الكساء: وهذه حقيقة الخرقة فإنها علامة الانسلاك في سلك التطهير والتنوير. وقال العارف ابن عراق في رسالته في الخرقة: واعلم أن أخذ العهد ولبس الخرقة وإرسال العذبة، قد استحسنها السلف الصالح، فمن

أجلهم سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي قدس الله سره، قال: الأصل في أخذ العهد ولبس الخرقة عندي، والله أعلم: أن المريد يوسم بزي أهل الخير حتى يستحي بسبب لبس الخرقة فلا يرجع إلى ما كان فيه من الذنوب، فهي قيد له عن الدخول فيما لا يليق به. اهـ.

وقال العلامة الأمير في (فهرسته): واعلم أن الخرقة وعلم الراية والحزام ونحو ذلك، ليست هي المقصود الأصلي من الطريق، بل مدار أصل الطريق مجاهدة النفس وإلزامها بالشريعة والسنة المحمدية في الباطن والظاهر، ولذلك لما سئل الإمام مالك رضي الله عنه عن علم الباطن؟ قال للسائل: اعمل بعلم الظاهر يورثك الله علم الباطن. لكن مستند القوم أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر، وقد ورد تعميم النبيﷺ لبعض أصحابه في الجهاد، وعقده اللواء له اغتفاره إنشاد الشعر والتبختر بين الصفين، كما قال: «إنها لمشية يبغضها إلا في مثل هذا الموضع» وجعل الشعار في القوم ليجتمع بعضهم على بعض، فكذلك القوم تبركوا بإلباس الخرقة، وإنما الأعمال بتياتها ونشروا الأعلام، واغتفروا هز الجسم في الذكر والإنشاد، إعانة على المجاهدة وليجتمع بخرقتهم أصحاب طريقتهم الذين هم يتعاونون بحال واحد، من غير عصبية ولا بغض لغير خرقتهم، بل على حد ما قيل:

فنادمني بمثل لسان حالي تربحني واطرب من قريب

والمدعون اليوم أفسدوا الأوضاع، واقتصروا على الصور الظاهرية.

واعلم بأن طريق القوم دارسة وحال من يدعيها اليوم كيف ترى؟

فالمقصود من الخرقة ما وراءها، لا مجرد لباسها، ولذلك شرطوا على لابسها للإرادة والتحكيم شروط السير والسلوك، قال الشيخ الأكبر في رسالة (نسب الخرقة) أما بعد: فإن مما جاء به الرسول الكريم من العلي الحكيم في الكتاب المنزل الذي هو القرآن العظيم: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ فالضروري من اللباس الظاهر ما ستر السوآت، وهو لباس التقوى من الوقاية، والرياش ما يزيد على ذلك مما تقع به الزينة التي هي زينة الله التي أخرج لعباده من خزائن

غيوبه، وجعلها خالصة للمؤمنين في الحياة الدنيا ويوم الإقامة فلا يحاسبون عليها. وإذا لبسوها وتزينوا بها من غير هذه النية، ولا هذا الحضور، ولبسوها فخراً وخيلاء، فتلك زينة الحياة الدنيا، فالثوب واحد، ويختلف الحكم عليه باختلاف المقاصد، ثم أنزل في قلوب العباد لباس التقوى، وهو خير لباس، وهو على صورة لباس الظاهر سواء فمنه لباس ضروري يواري سوأة الباطن وهو تقوى المحارم مطلقاً ومنه ما هو مثل الريش في الظاهر، وهو لباس مكارم الأخلاق، مثل نوافل العبادات، كالصفح والإصلاح، وإن كان الشارع قد أباح لك أخذ حقك ولكن تركه مما يزين به الرجل في باطنه، فهي زينة الله في الباطن، وهو كل لباس ندبك الشارع إليه، فقد تحقق لباس الباطن أنه على صورة الظاهر شرعاً، وكما يختلف الظاهر بالمقاصد والنيات، كذلك يختلف لباس الباطن بالنيات والمقاصد، ولما تقرر هذا في نفوس أهل الله أرادوا أن يجمعوا بين اللبستين ويتزينوا بالزينتين، ليجمعوا بين الحسنيين فيثابوا من الطرفين، فسنوا لباس هذه الخرقة على الهيئة المعلومة عندهم، ليكون تنبيهاً على ما يريدونه من لباس بواطنهم، وجعلوا ذلك صحبة وأدباً وأصل هذا اللباس عندي على ما ألقي في سري أن الحق لبس قلب عبده المؤمن. قال: ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن. فإن الثوب وسع لابسه فظهر الجمع بين اللبستين في زمان الشبلي وابن خفيف إلى هلم جرا، فجرينا على مذهبهم، فلبسناها من أيدي مشايخ جمة سادات، بعد أن صحبناهم وتأدبنا بأدبهم، ليصح اللباس ظاهراً وباطناً، فذكر جملة ستأتي، ثم قال:

وشروط هذه الخرقة المعروفة على صورة ما أظهرها الحق من ستر السوأة. فتستر سوأة الكذب بلباس الصدق، وتستر سوأة الخيانة بلباس الأمانة، وسوأة الغدر بلباس الوفاء، وسوأة الرياء بخرقة الإخلاص، وسوأة سفاسف الأخلاق بخرقة مكارم الأخلاق، وسوأة المذام بخرقة المحامد، وكل خلق دنى بخرقة كل خلق سني، وترك الأسباب بتوحيد التجريد، والتوكل على الأكوان بالتوكل على الله، وكفر النعمة بشكر المنعم، ثم تتزين بزينة الله من ملابس الأخلاق المحمودة، مثل الصمت عما لا يعنيك، وغض البصر عما لا يحل النظر إليه، وتفقد الجوارح بالورع،

وترك سوء الظن بالناس، وتصفح ما مضت به الأيام من أفعالك وما سطرته أقلام الكتبة الكرام عليك، والقناعة بالموجود، وعدم التشوف إلى طلب المزيد إلا من أفعال الخير، وتفقد أخلاق النفس، ومعاهدة الاستغفار، وقراءة القرآن، والوقوف مع الآداب النبوية، وتعرف أخلاق الصالحين، والمنافسة في الدين، وصلة الرحم، وتعاهد الجيران بالرفق، وبذل العرض، وقد رغب رسول الله ﷺ في ذلك بقوله: «ألا يستطيع أحدكم أن يكون كأبي ضمضم؟ كان إذا أصبح يقول: اللهم إني تصدقت بعرضي على عبادك» وسخاوة النفس وهو أن يبذلها في قضاء حوائج الخلق، وصنائع المعروف، مع الصديق والعدو، والتواضع، ولين الجانب، واحتمال الأذى، والتغافل عن زلل الإخوان، وعدم الخوض فيما شجر بين الصحابة، ومن تقدم من الأكابر، وترك مجالسة الغافلين، إلا أن نذكرهم، أو نذكر الله فيهم، والكف عن الخوض في الاعتراض في آيات الله، وترك الطعن على الملوك والمذنبين من أمة سيدنا محمد ﷺ، وترك الغضب إلا عند انتهاك محارم الله، وترك الحقد والغل من الصدور، والصفح عن المسيء، وهو أن لا تغضب لنفسك، وإقالة عثرات أهل المروءات، ذوي الهيئات والإبقاء على أهل الستر، وتعظيم العلماء، وأهل الدين، وإكرام ذي الشيبة، وإكرام كريم القوم، كانوا من كانوا، من مسلم أو كافر، كل ذلك على الحد المشروع مما يجوز لك أن تكرم به ذلك الشخص، وحسن الأدب مع الله تعالى، ومع كل أحد من حي وميت، وحاضر وغائب، ورد الغيبة عن عرض المسلم، وإيَّاك والتصنع، والتشدق فإن كثرة الكلام يؤدي إلى سقطه، وتوقير الكبير، والرفق بالضعيف، والرحمة بالصغير، وتفقد المحتاجين ومواساتهم، بالبر والصلة، وميسور القول، والهداية، وقرى الضيف، وإفشاء السلام، والتحبب إلى الناس على الحد المشروع، ولا تكن لعَّاناً ولا طعَّاناً ولا عيَّاباً ولا سخاباً، ولا تجزىء أحداً بالسيئة في حقك، إلا إحساناً، والنصيحة لله تعالى ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم، ولا تنتظر الدوائر بأحد، ولا تسب أحداً من عباد الله على التعيين من حي ولا ميت، فإن الحي لا يعرف إن كان كافراً بما يختم له؟ وإن كان مؤمناً بما يختم له؟ ولا تعير أحداً من أهل الشهوات بشهواتهم،

ولا ترد الرياسة على أحد، ولا تواطىء[1] عقبك خدمة عن أمرك، وإياك أن تترك الناس أن يبولوا في أذنك بنقل ما يسوءك عنك، وعن غيرك، ولتحب المؤمنين كلهم مسيئهم إليك ومحسنهم، لحبهم الله ورسوله، ولا تبغضهم لبغضهم إياك، أو مِن[2] كان غير الله ورسوله. فبهذا أوصاني رسول الله ﷺ في المنام في رؤيا رأيتها في حق شخص وقع في بعض شيوخي، فأبغضته، فرأيت رسول الله ﷺ في المنام، وقال لي: لم أبغضت فلاناً؟ فقلت له: لبغضه ووقوعه في شيخي، فقال عليه الصلاة والسلام: ألست تعلم أنه يحب الله ويحبني؟ قلت له: بلى، قال: فلم لا تحبه بحبه إياي؟ وأبغضته لبغضه شيخك؟ فقلت له: يا رسول الله من الساعة فما أحسنك من معلم! لقد نبهتني على أمر كنت عن مثله غافلاً. ولا تفرح بما ينتشر في العامة من ذكرك بما تحمد، وإن كنت عليه، فإنك لا تدري هل يبقى عليك؟ أو يسلب عنك؟ ولا تتميز بين المؤمنين بخلق غريب محمود يعرف منك، إلا إن كنت ممن يقتدى به، ولا تظهر الخشوع في ظاهرك بجمع أكتافك وأطرافك إلى الأرض، إلا أن تكون في باطنك كذلك، ولا تحب التكاثر من الدنيا، ولا تبالي بجهل من جهل قدرك، بل لا ينبغي أن يكون لنفسك عندك قدر، ولا ترغب في إنصات الناس لكلامك، ولا تجزع من الجواب بما لا يسرك في حقك، واصبر للحق ومع الحق، ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ وانصف من نفسك. ولا تطلب الإنصاف من أحد في حقك، وسلم على المؤمنين ابتداء، ورد السلام على من سلم عليك، وإياك والطعن على الأغنياء إذا بخلوا، وعلى أبناء الدنيا إذا تنافسوا فيها، ولا تطمع فيما في أيديهم، وادع للملوك وولاة الأمر، ولا تدع عليهم. وإن جاروا، وجاهد نفسك وهواك، فإنه أكبر

---

(١) أي لا تدع خادماً لك يمشي خلفك، فإن ذلك شأن المتكبرين والجبارين.

(٢) أي أو بعضهم أي أحد كان، من الله ورسوله. فلا يستحق البغض إلا من أبغضهما، وأبغض ما يتعلق بهما.

أعدائك، ولا تكثر الجلوس في الأسواق ولا المشي فيها، وكف ضررك عن أئمة الدين، واترك الشهادة على أهل القبلة بما يؤدي عند السامعين إلى الخروج عنها، وعليك بالإمساك عن الخوض في الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا، وترك المرآء في القرآن والقدر، وترك مجالسة أهل الأهواء والبدع القادحة في الدين، وعليك بإخراج الحرص والحسد والعجب من قلبك، بأن تصرف هذه الصفات في غير مواطنها المشروعة. وعليك بالدخول في الجماعة، فإن الذئب لا يأكل إلا القاصية، وإياك والعجلة في أمرك، إلا في خمس: في الصلاة لأول وقتها، والحج عند وجود الاستطاعة، وتقديم الطعام للضيف قبل الكلام، وتجهيز الميت، وتجهيز البكر إذا أدركت[1]، وبذل المجهود في نصح عباد الله من مسلم وكافر ومشرك، وقطع أسباب الغفلة، والمحافظة على إقامة الصلوات، وتحسين نشأتها، وَالقيام على النفس بالحسبة، والخروج من الجهل لطلب العلم، وأن تستوصي بطالب العلم خيراً، وَالندم على التفريط في استعمال الخير، وَالتجافي عن الشهوات، وَدار الغرور، واعتقاد مقت النفس، فإن النفس في اعتقاد أهل الله كل خاطر مذموم، ورد المظالم، وإصلاح الطعمة، والسعي في إصلاح ذات البين، فإن الله تعالى يصلح بين عباده يوم القيامة، وإسقاط الريب، والحذر الدائم والخشية، والهم في الله، والحب والبغض في الله، والمودة في قرابة رسول الله ﷺ، وموالاة الصالحين، وكثرة البكاء، وَالتضرع إلى الله تعالى، وَالابتهال ليلاً ونهاراً، والهرب من طريق الراحات، وَالتذلل في كل حال إلى الله تعالى، ومراقبة الكمد وتنغيص العيش، بالفكر فيما يتعين عليك من شكر المنعم فيما أنعم به عليك، والقصد إلى الله تعالى في كل حال، وَالتعاون على البر والتقوى، وإجابة الداعي، ونصرة المظلوم، وإجابة الصارخ، وإغاثة الملهوف، وتفريج الكرب عن المكروب، وصوم النهار، وقيام الليل، وإن كان بالتهجد فهو أولى، وذكر الموت، وتعاهد زيارة القبور، وأن لا تقول وأنت فيها هجراً، والصلاة على الجنائز، واتباعها، إن كنت ماشياً

---

(١) يضاف إليها التوبة وأداء الدين إذا حل أجله.

فأمامها، وإن كنت راكباً فمن خلفها، ومسح رؤوس اليتامى، وعيادة المرضى، وبذل الصدقات، ومحبة أهل الخير، ودوام الذكر، والمراقبة ومحاسبة النفس على أفعالها الظاهرة والباطنة، والأنس بكلام الله، وأخذ الحكمة من كلام كل متكلم، بل من نظرك في كل منظور، والصبر على أحكام الله، فإنك بعينه، كما قال لك: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ والإيثار لأمر الله، والتعرض لكل سبب يقرب إلى الله تعالى، واستفراغ الطاقة في محاب الله ومراضيه، والرضا بالقضاء، لا بكل مقضي، بل بالقضاء به، وتلقي ما يرد من الله تعالى بالفرح، وموالاة الحق بأن تكون معه، فإن الله مع عباده أينما كانوا، ودر مع الحق حيثما دار، والتبري من الباطل، والصبر في مواطن الامتحان، والزهد في الحلال، والاشتغال بالأهم في الوقت، وطلب الجنة بالشوق إليها، لكونها محل رؤية الحق تعالى، ومجالسة أهل البلاء بالاعتبار، ومحادثة المساكين، والقعود معهم في محال فقرهم، ومعونة من يطالبك حاله بإعانته، وسلامة الصدر والدعاء للمسلمين يظهر الغيب، وخدمة الفقراء، وأن تكون مع الناس على نفسك، فإنك إذا كنت عليها فأنت لها، والسرور بصلاح الأمة، والغم بفسادها، وتقديم من قدمه الله ورسوله، وتأخير من أخره الله ورسوله فيما قدمه، وفيما أخره، فإذا لبست هذه الملابس، صح لك أن تقعد في صدور المجالس عند الله تعالى، وتكون من أهل الصفوف الأولى، فهذه ملابس أهل التقوى التي هي خير لباس، فاجهد أن تكون هذه ملابسك، أو أكثرها فعليه الجماعة، وعليه ألبس شقيق البلخي حاتم الأصم وأمثاله، ولم يكن به صمم، وإنما كلمته امرأة، فخرج منها صوت يعني ضرطت، فخجلت من الشيخ، فقال لها وهي تحدثه: ارفعي صوتك جداً، يظهر أنه لا يسمع فزال خجلها، وقالت: ما سمعني فسمي لذلك حاتم الأصم. فعلى مثل هذه الأخلاق درجوا، وهي لباسهم وحليهم، وعليها لبست وألبست من ألبسته لله الحمد على ذلك اهـ. كلام الشيخ الأكبر رضي الله عنه، وقد ذكر غيره شروطاً أخرى للبس الخرقة تركنا ذكرها اختصاراً مع أنها في الحقيقة راجعة إلى ما ذكره الشيخ الأكبر رضي الله عنه، وهي شروط جامعة لجميع خصال الخير، وأصول طريق القوم، وهي المقصود من الخرقة المروية عن

عليّ عليه السلام، لا مجرد لباس الأبدان، كما يقوله ابن تيمية عدو أهل الله، وآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

فصل

ويؤيد ذلك كون الخرقة متعددة، بتعدد الشيوخ المؤسسين للطرق، ومختلفة باختلاف مشاربهم في التربية والتسليك، من تشديد وتخفيف، وتنويع للعبادة والأوراد والوظائف والأذكار، مع اختلاف في الكيفيات، واختيار للخلوات، بحسب ما أداهم إليه النظر والاجتهاد، وما تلقاه كل شيخ، وسلك عليه، وحصل له به الفتح والوصول إلى الله تعالى، ولو كان القصد مجرد اللباس لما وقع هذا الاختلاف مع اتحاد السند والمخرج، كما لم يقع ذلك في المصافحة والمشابكة وغيرهما من المسلسلات المروية بقصد التبرك، لأن المراد من المصافحة عينها، وهي غير مختلفة إلا من جهة الإسناد والنسبة، إلى من رويت من طريقه، كالأويسية والخضرية والمعمرية الملثمية والحبشية وغيرها، بخلاف الخرقة. فإن المراد شروطها وأصولها وهي مختلفة باختلاف شيوخها، كاختلاف المذاهب إلى مالكي وشافعي وحنبلي وحنفي وظاهري وأوذاعي وثوري وجريري وزيدي وأمامي وغيرها. مع اتحاد الدين والشريعة والكتاب والسنة والإمام الأعظم الذي يستقي منه الجميع وينتهي إليه استناد الكل، وهو النبي صلى الله عليه وآله.

فكذلك اختلفت الطرق المعبر عنها في اصطلاح المتأخرين بالخرق إلى شاذلية وقادرية ورفاعية وسهروردية وخلوتية ونقشبندية وجشبتية وكبروَية ومولوية وعيدروسية وغيرها.

مما هو معروف مع اتحاد السند والمخرج الذي هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، واتحاد الأصل والمنبع الذي هو سيد الأكوان صلى الله عليه وآله لا يقال: فلعل اختلاف أسماء الخرق لاختلاف أسماء الشيوخ المروية من طريقهم كاختلاف أسماء المسلسل بالمصافحة. لأن المصافحة ليس لها شرط أصلاً، وشروط الخرق معروفة مفردة بالمؤلفات من أئمة كل طريق، وذلك دليل قاطع على أن المراد بالخرق شروطها، وأصول السير والسلوك في كل طريق.

فصل

ويؤيد ذلك أيضاً اختلافهم في التعبير عن المروي بسند الخرقة. فبعضهم يروي به: الخرقة واللباس، وبعضهم يروي: الصحبة والاقتداء، وبعضهم يروي به: الأدب والسلوك، وبعضهم يروي التلقين، بالنون أي تلقين الذكر، وبعضهم يروي به: التلقيم بالميم، أي كل واحد أطعم من دونه وجعل في فيه لقمة، وبعضهم يروي به: المصافحة، وبعضهم يروي به: البيع وأخذ العهد، وبعضهم يعبر بالأخذ ولا يذكر بيعه، وبعضهم يجمع الجميع فيقول: لبست وتلقنت وصاحبت واقتديت بفلان، كما لبس هو وتلقن وصحب واقتدى بفلان. وبعضهم يروي به الأسماء الإدريسية الأربعين. فالسند واحد من جهة الحسن البصري عن عليّ عليه السلام، وأكثره من طريق الجنيد عن خاله السري عن معروف الكرخي بسنديه المعروفين، والمروي به مختلف بالتعبير عنه، وإن كان المراد به واحداً، وهو مطلق الأخذ وانتفاع التلميذ من الشيخ واستفادة الأدنى من الأعلى، إلا أنها لما كانت الاستفادة مختلفة وطرقها متنوعة، عبر كل واحد بحسب طريقه واستفادته، كما أن الشريعة واحدة، والسنة المنقولة عن النبي صلى الله عليه وآله متحدة، ولما كانت طرق استفادة الأحكام منها مختلفة باختلاف أصول الأئمة وأفهامهم.

روى كل فريق عن النبي صلى الله عليه وآله مذهبهم الخاص المنسوب إلى إمامهم مالك أو الشافعي أو ابن حنبل أو أبي حنيفة أو غيرهم، مع أن المنقول عنه واحد، وهو الكتاب والسنة، فكذلك أهل الخرق، فمن صحب شيخاً وسلك على يديه حتى فتح له، روى عنه بطريق الصحبة والاقتداء، ومن صحب شيخاً وتأدب بأدبه، ولم يسلك عل يديه عبر بقوله تأدبت بفلان، ومن كان أول دخوله الطريق بلباس الخرقة عبر باللباس، ومن كان أول دخوله بتلقين الذكر، روى الإسناد باسم التلقين، ومن اجتمع بشيخ عارف وتبرك به وأطعمه لقمة، روى عنه التلقيم. ومن أخذ عنه طريقة الأسماء والاختلاء بها روى عنه الأسماء. فاختلفت جهات النفع والاستفادة مع اتحاد السند والمخرج، وهذا وإن كان فيه تساهل على طريقة أهل الحديث

من جهة عدم تعيين المروي وتحديده، إلا أنه غير معتبر عند الصوفية كل ما هو معتبر عند الفقهاء والمحدثين، ولكل قوم اصطلاح يخصهم، وأصول يعتمدون عليها في فنهم، فلا يعترض على الصوفية باصطلاح المحدثين، كما لا يعترض على المحدثين باصطلاح الصوفية، على أن الواقع في سند القوم ليس منكراً ولا مردوداً على طريقة المحدثين أيضاً، لأنه من باب الرواية بالمعنى التي لا يكاد يخلو منها حديث، لا سيما الطوال، إلا على سبيل الندرة، وكم حديث في الصحيح مخرجه واحد[1] وألفاظ متعددة متباينة، مع قيام الدليل على أن النبيﷺ، لم ينطق بذلك الحديث إلا مرة واحدة في قصة واحدة، مما يستحيل معه أن يكون النبيﷺ، نطق بجميع تلك الألفاظ، لا سيما مع اتحاد الراوي عنه، بل كثيراً ما يقع مثل هذا الاختلاف بالنسبة إلى شيخ واحد كالزهري وشعبة وَمالك وَالثوري، فيروَى الحديث عن وَاحد منهم عشرة من أصحابه أوَ ثمانية وَكل وَاحد منهم يذكره بلفظ مخالف للآخر. إما في النقص والزيادة، وَإما في الألفاظ التي يختلف الحكم باختلافها، وَمع ذلك يحكم أهل الحديث بصحة الجميع، أو قبوله.

فسند أهل الطريق من ذلك القبيل، بل هو أقرب إلى الصحة وَأوَلى بالقبول، لعدم ترتب الأحكام الشرعية عليه من جهة، وَكونه متفقاً في

---

(١) كحديث «إنما الأعمال بالنيات» روى هكذا. وروى «الأعمال بالنيات» وروى «العمل بالنية» وروى «وإنما لامرىء ما نوى» وروى «وإنما لكل امرىء ما نوى» وروى «ومن كانت هجرته إلى امرأة يتزوجها» وروى «ينكحها» مع أن مخرجه من طريق علقمة بن وقاص الليثي عن عمر رضي الله عنه. لم يرو في الصحيحين وغيرهما بالسند الصحيح إلا من هذا الطريق. وكحديث «بني الإسلام على خمس» روى بتقديم الصيام على الحج، وبالعكس، وهو في الصحيحين في رواية السكسكي عن ابن عمر رضي الله عنهما. وحديث الحوفي، روى بلفظ «ليذادن رجال» «قوم» رهط «أناس» وكلها في الصحيحين. بل من الرواية بالمعنى ما يحكيه القرآن الكريم من أقوال الرسل والأمم السابقة الذين لم تكن لغتهم العربية، ولهذا جوز الجمهور رواية الحديث بالمعنى، للعالم بمدلولات الألفاظ، وبما لا يحيل المعنى. إلا ما تعبد بلفظه كالأذان والإقامة فلا تجوز روايته بالمعنى. ومع هذا فقد كان الإمام مالك يتشدد في رواية الحديث في الياء والتاء ونحوهما. حكاه عنه الترمذي في العلل بإسناد صحيح وكان على طريقته في التشديد الإمام أحمد وكثير في الحفاظ.

المعنى من جهة أخرى. وَقد قرر علماء الأصول أن الخبر إذا تعددت قيوده، يحمل على المطلق عكس ما إذا لم تعدد القيود فإن المطلق حينئذ يحمل على المقيد بقيد وَاحد، كما حلوا في حديث الابتداء بالبسملة الوارد بلفظ (الحمد) ولفظ (البسملة) ولفظ (الصلاة على النبيﷺ) ولفظ (الذكر) فقالوا: تحمل الروايات المقيدة على المطلقة وهي ذكر الله تعالى، لاشتمالها على جميع الروايات المقيدة وهكذا، سند القوم، فإن مقيده يحمل على مطلقه، وهو الأخذ الشامل لجميع الأنواع.

فصل

بل صرحوا بأن المراد من الخرقة هو الصحبة سواء كان هناك إلباس خرقة أم لا. وقالوا: إن التعبير من زمن النبيﷺ إلى الجنيد، كان بلفظ: الصحبة، ومن بعده صار يستعمل لفظ: الخرقة واللباس، مكان الصحبة والاقتداء. والجميع صحبة، وإنما اختلف التعبير باختلاف الأزمان، وتغير الأحوال، والأعراف، كما كان يعبر في السلف الصالح عن العلم بالفقه، ثم صار التعبير بالفقه خاصاً بالفروع التي استنبطها الأئمة، وكانت السنة تشمل ما هو أعم من الفرض والمندوب، ثم خصها اصطلاح أهل الفقه والأصول بما ليس بواجب وكم لهذا من نظير، وقع كثير من الفقهاء بسبب الجهل به في أغلاط فاحشة في الفقه والفتوى، كما نبه عليه القرافي في الفروق، وابن القيم في إعلام الموقعين، والشوكاني في نيل الأوطار، وآخرون.

فصل

الوجه الثالث: أن الصوفية الذين اتخذوا الخرقة (مع كونهم جعلوها عتبة للدخول في الطريق وعلامة على بداية الصحبة والاقتداء) لم يكن ذلك أيضاً مجرد قصدهم، بل قصدوا ما يقترن باللباس من سريان حال الشيخ وبركته وسره إلى المريد، وتلبسه بعده بحال لم يكن على مثلها من قبل، فيكون ذلك سبباً في جذب قلبه إلى الطريق، وتعلقه بالله، ورغبته الكلية

الصادقة في السلوك، وإعراضه عن الدنيا وشهواتها، وقد يفتح عليه بالعلوم الوهبية، والمعارف الإلهية بمجرد الإلباس، واتصال شيء من الشيخ بالمريد، متى كان الاستعداد حاصلاً من الطرفين، كما وقع لكثير من الأولياء كأبي يعزى فإنه تفل عند احتضاره في فم ولده يعزى ففتح عليه في الحال، وكسيدي محمد وفا، فإنه لما دنت وفاته، خلع منطقته على الإبزاري صاحب الموشحات وقال: هي وديعة عندك حتى تخلعها على ولدي علي، فعمل أيام كانت المنطقة عنده الموشحات الظريفة إلى أن كبر سيدي علي، فخلعها عليه، فانتقل السر إلى سيدي علي، فصار الإبزاري لا يعرف شيئاً ولا يقدر على قول الموشحات، وكبهاء الدين نقشبند، فإن سبب إقباله على الله تعالى، كان بسبب وصول قلنسوة بعض العارفين إليه في حكاية طويلة. وكذلك سيدي العربي الفَشْتَالي مع العارف الكبير سيدي عبد العزيز ووالدته، وكانت ابنة أخته، فقال لهما: هذه أمانة الله عندكما حتى يولد لكما ولد اسمه عبد العزيز، فأعطوه هذه الأمانة، وكانت شاشية وسباطاً كتابياً أسود، لأنه كان هو الملبوس في ذلك الزمان، وكان ذلك سنة تسعين وألف، فأخذت المرأة الأمانة وصانتها فولد لها بعد ذلك بنت، ثم بعدها ولد العارف سيدي عبد العزيز فلما كبر وبلغ الحلم، دفعت إليه أمه الأمانة، قال: فأخذت الشاشية وجعلتها على رأسي، ولبست السباط في رجلي، فحصلت لي سخانة عظيمة حتى دمعت عيناي، وعرفت ما قال لي سيدي العربي، وفهمت إشارته. وكان ذلك سبب إقباله واشتغاله، وبداية تعلقه وفتحه. وكالشيخ بابا فرج التبريزي مع نجم الدين الكبرى حيث تلبس الأول بحالة عظمت فيها صورته، وكان يتلألأ كالشمس، وانشق ثوبه الذي كان عليه، فلما سري عنه قام فألبس ذلك الثوب الشيخ نجم الدين الكبرى، وكان ذلك في أيام طلبه للحديث، قال فتغير على الحال، وانقطع تعلق باطني عما سوى الحق سبحانه وتعالى، في كثير من أمثال هذه الحكايات التي ثبتت أصولها وشواهدها من الكتاب والسنة كقصة يوسف مع أبيه يعقوب عليهما السلام، فإن يعقوب ارتد بصيرا بقميص يوسف عليه السلام، إما لكونه من ثياب الجسنة كما قيل، أو لتلبس يوسف عليه السلام حين لبسه بحال تنفعل له المكونات فيه، فلما اتصل بيعقوب عليه السلام أثر فيه بقوة سريان ذلك الحال

فارتد بصيراً، ولو شاء الله تعالى لرد عليه بصره بدون ذلك، ولكن اقتضت حكمته، وسبقت إرادته، أن تقع المسببات في هذا الكون غالباً عن أسبابها المتنوعة إلى مادية، وروحية وحسية، ومعنوية، فكذلك الشيخ الكامل، إذا نزع ملبوساً من جسمه بعد تلبسه بالحال، وألبسه المريد، سرى ذلك إليه، فارتد بصيراً بعد عمي بصيرته بالجهل وظلمة رؤية الأكوان، وكقصة بقرة بني إسرائيل فإن الميت ضرب بلحمها فعاد حيا بعد طول المدة، فسر الإحياء ليس في البقرة ولا في لحمها، وإنما هو في التجلي الذي قابلها من ذات موسى، وبواسطته عليه السلام، وتخصيص البقرة بهذا الأمر، وخصوصاً بتلك الأوصاف، إنما هو لنفع صاحبها البار بوالدته، وإظهار فضل بر الوالدين. وكذلك انفلاق البحر وانفجار الحجر بالمياه عند ملاقاة عصى موسى بهما هو أيضاً من هذا القبيل، وكذلك حديث اختصام الملأ الأعلى الذي حسنه[1] الترمذي من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربي في أحسن صورة، فقال لي: يا محمد. قلت: لبيك ربي وسعديك. قال: هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى. قلت: لا أدري فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي. أو قال في نحري فعلمت ما في السموات وما في الأرض، أو قال ما بين المشرق والمغرب، قال: يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى، قلت نعم في الدرجات والكفارات ونقل الأقدام إلى الجماعات وإسباغ الوضوء في السبرات وانتظار الصلاة بعد الصلاة ومن حافظ عليهن عاش بخير ومات بخير وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه الحديث وفي رواية أحمد «فرأيته وضع كفه[2] بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في صدري فتجلى لي كل شيء

---

(١) بل هو صحيح، لأن من طرقه الكثيرة عند أحمد والبزار والطبراني، ما هو على شرط الصحيح، كما في مجمع الزوائد وللحافظ ابن رجب في شرحه رسالة مطبوعة، اسمها اختيار الأولى.

(٢) من سقطات ابن تيمية ـ وما أكثر سقطاته ـ دعواه أن النبي ﷺ اتخذ العذبة صبيحة الليلة التي رأى فيها هذه الرؤية ليغطي موضع كف الله من كتفه!! وهذا هو التجسيم بعينه، تعالى الله عنه علواً كبيراً. وليس معنى وضع الكف أو اليد (منه سبحانه) إلا عبارة عن التجلي الخاص بصفة العلم، لأن الرؤيا من عالم المثال الذي تظهر فيه المعاني بصور=

وعرفت» ومن هذا حديث علي عليه السلام قال بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً، فقلت: يا رسول الله إني شاب، ولا علم لي بالقضاء، فوضع يده على صدري، وفي رواية: فضرب بيده على صدري، وقال: «اللهم ثبت لسانه واهد قلبه» فما شككت في قضاء بين اثنين حتى جلست مجلسي هذا، وفي رواية: فما شككت في قضاء بعد، رواه ابن سعد في (الطبقات) وابن جرير في (تهذيب الآثار) والحاكم في (المستدرك) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي. وحديث أبي هريرة في الصحيح قال: حضرت مع النبي ﷺ فجلس فقال: «من يبسط رداءه حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه إليه فلن ينسى شيئاً سمعه مني» فبسطت بردة علي، حتى قضى حديثه، ثم قبضتها، فوالذي نفسي بيده، ما نسيت[1] شيئاً سمعته منه بعد، وحديث الكساء السابق إذا جلل به النبي ﷺ فاطمة والحسن والحسين وأباهما علياً عليهم السلام، فإن السر فيه هو ما فاض فيه النبي ﷺ من المعارف والأسرار والعلوم اللدنية فأراد إيصالها إلى آل بيته الأطهار وتطهيرهم من كل رجس وجهل ودنس ولذلك لم يقبل دخول غيرهم من أزواجه ﷺ معهم، إرادة لاختصاصهم بتلك المعارف والأسرار، فكانوا بحور العلم. وجبال المعرفة، حتى كان الصحابة يقولون، في الحسن والحسين عليهما السلام وهما شابان: إن ولدي رسول الله ﷺ يغران العلم[2] غراً، إلى غير هذا مما يطول تتبعه، ولا يمكن استقصاؤه لا سيما من حكايات الأولياء المتواترة بنحو هذا، قال الشيخ الأكبر في رسالة «نسب الخرقة» ومذهبنا في لباس مريدي التربية هو على غير ما هو عليه الأمر اليوم، وذلك أن الشيخ المربي ينظر في حال المريد الذي يريد أن يلبسه، فأي حال يكون للمريد فيه

= محسوسة، وهذا كما أول النبي ﷺ رؤيا شرب اللبن، بالعلم ولبس القميص بالدين. أما العذبة فهي عادة عربية، كالعمامة. كان العرب يستعملوها لمصالح، منها اتقاء حر الشمس وسن لنا لبسهما. ون النبي ﷺ استعملهما، وحض عليهما.

(١) أراد مروان وهو وال على المدينة من قبل معاوية أن يختبر حفظ أبي هريرة فدعاه، فسأله عن حديث، فحدثه به فكتبه من غير علمه، وبعد سنة، دعاه، وزعم له أنه نسي الحديث، فحدثه به ثانياً: فعرضه على ما كتبه، فوجده لم يخرم منه حرفاً.

(٢) غره بالعلم، أي لقمه إياه. يقال غر الطائر فرخه إذا زقه.

نقص، فإن الشيخ يتلبس بذلك الحال، حتى يتحقق به ويغمره فتسرى قوة ذلك الحال في الثوب الذي يكون على الشيخ فيجرده في الحال ويكسوه ذلك المريد، فيسري فيه سريان الخمر في أعضائه، فيغمره ويتم له الحال وهذا اليوم عزيز اهـ، وقال في (الفتوحات المكية) في الباب الخامس والعشرين، بعدما ذكر أنه كان لا يقول بالخرقة حتى رأى الخضر عليه السلام يلبسها للناس، ما نصه: فجرت عادة أصحاب الأحوال إذا رأوا أحداً من أصحابهم عنده نقص في أمر، وأرادوا أن يكملوا له حاله، يتحد به هذا الشيخ، فإذا اتحد به، أخذ ذلك الثوب الذي عليه في حال ذلك الحال، ونزعه وأفرغه على الرجل الذي يريد تكملة حاله، ويضمه فيسري فيه ذلك الحال، فيكمل له ذلك الأمر فهذا هو اللباس المعروف عندنا والمنقول عن المحققين من شيوخنا.

وقال أيضاً في الفتوحات لما تكلم على أسرار الأقطاب العيسويين: منها إذا إنهم أرادوا أن يعطوا حالاً من الأحوال التي هم عليها، وهي تحت سلطانهم لما يرون في ذلك الشخص من الاستعداد إما بالكشف وإما بالتعريف الإلهي، فيلمسون ذلك الشخص، أو يعانقونه، أو يقبلونه، أو يعطونه ثوباً من لباسهم، أو يقولون له أبسط ثوبك، ثم يغرفون له مما يريدون أن يعطوه، والحاضر ينظر أنهم يغرفون له من الهواء، ويجعلونه في ثوبه على قدر ما يحد لهم من الغرفات، ثم يقولون له ضم ثوبك إلى صدرك، أو ألبسه على قدر الحال الذي يحبون أن يهبوه إياها، فبأي شيء فعلوا من ذلك، سرى ذلك الحال في ذلك الشخص المأمور المراد به من وقته، لا يتأخر، قال: وقد شكى جرير بن عبدالله البجلي إلى رسول الله ﷺ أنه لا يثبت على ظهر الفرس، فضرب في صدره بيده، فما سقط عن ظهر فرس بعد، ونخس رسول الله ﷺ مركوباً كان تحت جابر بن عبد الله، بطيئاً يمشي به في آخر الناس، فلما نخسه لم يقدر صاحبه على إمساكه، وكان يتقدم على جميع الركاب، وشكى أبو هريرة إلى رسول الله ﷺ سوء حفظه، فقال يا أبا هريرة أبسط رداءك، فبسط أبو هريرة رداءه، فاغترف رسول الله ﷺ غرفة من الهواء أو ثلاث غرفات، وألقاها في رداء أبي هريرة، وقال «ضم رداءك إلى صدرك» فضمه إلى صدره فما

نسي بعد ذلك شيئاً سمعه من رسول الله ﷺ. وهذا كله من هذا المقام اهـ.

وقال السهروردي في «عوارف المعارف»: وسر الخرقة أن الطالب الصادق إذا دخل في صحبة الشيخ وسلم نفسه، وصار كالولد الصغير مع الوالد يربيه الشيخ بعلمه المستمد من الله تعالى بصدق الافتقار، وحسن الاستقامة، ويكون للشيخ بنفوذ بصيرته، الإشراف على البواطن. فقد يكون المريد يلبس الخشن كثياب المتقشفين المتزهدين، وله في تلك الهيئة من الملبوس هوى كامن في نفسه ليرى بعين الزهاد. فأشد ما عليه لبس الناعم، وللنفس هوى واختيار في هيئة مخصوصة من الملبوس في قصر الذيل والكم وطوله، وخشونته ونعومته على قدر حسبانها وهواها؛ فيلبس الشيخ مثل هذا الراكن لتلك الهيئة ثوباً يكسر لذلك على نفسه هواها وغرضها، وقد يكون على المريد ملبوس ناعم أو هيئة في الملبوس تشرئب النفس إلى تلك الهيئة بالعادة، فيلبسه الشيخ ما يخرج النفس من عادتها وهواها، فتصرف الشيخ في الملبوس، كتصرفه في المطعوم، وكتصرفه في صوم المريد وإفطاره، وكتصرفه في أمر دينه إلى ما يرى له من المصلحة من دوام الذكر، ودوام التنفل في الصلاة، ودوام التلاوة ودوام الخدمة، وكتصرفه فيه برده إلى الكسب أو الفتوح أو غير ذلك، فللشيخ إشراف على البواطن، وتنوع الاستعدادات، فيأمر كل مريد من أمر معاشه ومعاده بما يصلح له، والمريد الصادق الملتهب باطنه بنار الإرادة في بدء أمره، وحدة إرادته، كالملسوع الحريص على من يرقيه ويداويه فإذا صادف شيخاً انبعث من باطن الشيخ صدق العناية به لإطلاعه عليه وينبعث من باطن المريد صدق المحبة بتألف القلوب، وتشام الأرواح، وظهور سر السابقة فيهما، لاجتماعهما لله وفي الله وبالله، فيكون القميص الذي يلبس المريد خرقة تبشر المريد بحسن عناية الشيخ به، فيعمل عند المريد عمل قميص يوسف عند يعقوب عليهما السلام، وقد نقل أن إبراهيم الخليل عليه السلام، حين ألقي في النار، جرد من ثيابه، وقذف في النار عرياناً؛ فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة وألبسه إياه، وكان ذلك عند إبراهيم عليه السلام، فلما مات ورثه إسحاق، فلما مات ورثه يعقوب، فجعل يعقوب عليه السلام ذلك القميص في تعويذ وجعله في عنق يوسف فكان لا يفارقه، فلما ألقي في البئر عرياناً جاءه جبريل،

وكان عليه التعويذ. فأخرج القميص منه وألبسه إياه.

أخبرنا الشيخ العالم رضى الدين أحمد بن إسماعيل القزويني إجازة. قال: أنا أبو سعد محمد بن أبي العباس. قال: أنا القاضي محمد بن سعيد. قال: أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد. قال: أخبرني ابن فنجويه الحسين بن محمد. قال: حدثنا مخلد بن جعفر. ثنا الحسن بن علويه. ثنا إسماعيل بن عيسى. ثنا إسحاق بن بشر، عن ابن السدي، عن أبيه، عن مجاهد، قال كان يوسف أعلم بالله تعالى من ألا يعلم أن قميصه لا يرد على يعقوب بصره، ولكن ذلك كان قميص إبراهيم، وذكر ما ذكرناه. قال: فأمره جبريل أن أرسل بقميصك، فإن فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلي أو سقيم إلا صح وعوفي، فتكون الخرقة عند المريد الصادق متحملة إليه عرف الجنة لما عنده من الاعتداد بالصحبة، ويرى لبس الخرقة من عناية الله به وفضل من الله، اهـ. وقال بعض من اختصر (بهجة الأسرار) للشطنوفي: واعتقادي أن المراد بالخرقة نوع من تصرف الصالحين لمن ألبسوه ذلك. كما تصرف النبيﷺ بضربه في صدر جرير، حتى يثبت على الفرس، ولم يكن يثبت قبل ذلك. وأنهﷺ أخذ شيئاً وأعطاه أبا هريرة، فصار بعد ذلك لا ينسى شيئاً. وكان بخلاف ذلك، وكما ينقلون عن الشيخ علي الطواسي أنه ركض اليافعي نفع الله بهما، وحاشا الشريعة مجرد لبس الخرقة قربة موصلة إلى الله تعالى يحافظ عليها بسند ينتهي إلى رب العالمين، وإن ألبس النبيﷺ جماعة فهو لفوائد أخر على وجه التصرف والدعاء، ولو كان مجرد لبس الخرقة من مستحبات الشرع، لكان علماء الشريعة أولى بذلك فهم ورثتهﷺ اهـ.

وقال: العارف الشعراني في (مدارج السالكين) واعلم يا أخي أن السر في لبس الخرقة عند الكمل من العارفين، أنهم يخلعون على المريد الصادق جميع الأخلاق المحمدية، حين إلباسهم له قلنسوة، أو قميصاً، أو ينزعون منه حال أمرهم له ينزع قلنسوته مثلاً، جميع الأخلاق الردية، فلا يحتاج المريد بعد ذلك اللباس إلى معالجة خلق من الأخلاق الشريفة، بل تصير سجيته تعطي الأخلاق الحسنة من غير تكلف. وأما إلباس الخرقة

لغير العارفين، فإنما ذلك تبركاً وتشبهاً بالقوم لا غير اهـ.

وقال السيد شيخ بن محمد الجفري في (كنز البراهين الكسبية) بعد نقل كلام في الخرقة ما نصه: فالمريد الصادق إذا دخل تحت حكم الشيخ وصحبته، وتأدب بأدبه، سرى من باطن الشيخ إلى باطن المريد سر كسراج يقتبس من سراج، قال الرداد: وقد أجمل المشايخ في ذكر الخرقة، فمنهم من قال: هي خرقة إرادة، وخرقة تشبه، وخرقة تبرك، ومنهم من قال: هي خرقتان خرقة تعريف، وخرقة تشريف، ومنهم من قال: خرقة إرادة، وخرقة تشبه، وقال سيدي الشيخ أبو بكر الميدروس رضي الله عنه: الخرقة في حقيقتها خرقة واحدة، وإن تعددت بأيدي المتمسكين بها، فإنها سبب بين الله وبين العباد، لا تعدد حقيقة كالعروة للمتمسكين، والحبل للمعتصمين، وهي من حيث تفاوت الناس في معناها لا تتناهى، كالمناهج للسالكين، والمعارج للمريدين، والمدارج للعارفين، والمباهج للمحققين، لأنها من السبل الموصلة، والناس في هذه المعاني يتفاوتون على حسب ما هم به مع الحق، وما هو به معهم، والشيخ يد الله في أهل إرادته، وسره بين أهل طاعته، قال الله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ ومن حيث رسوم الأحكام هي خرق ثلاث مجازية، وهي خرقة التأليف، وجوازية وهي خرقة التعريف، وإجازة وهي خرقة التصريف، فالمجازية للمجيبين المتشبهين، وبها يتألفون مشاهد الطريق، والجوازية للمريدين المتمسكين، وبها يتعرفون شواهد الهداية والتوفيق، والإجازية للهداة الداعين، وبها يتصرفون في معاقد أحكام العلم والتحقيق، فالخرقة الأولى لطلابها رعاية، والثانية لأصحابها هداية، والثالثة لأربابها ولاية اهـ، وقال السيد عيدروس بن عمر الحبشي في (عقد اليواقيت الجوهرية) قال سيدنا عبد الله الحداد: إذا قيل فلان أخذ عن فلان، ليس معناه أنه أخذ عنه في كتاب، وإنما معناه أنه اقتدى به في سيرته، بأخلاقه وأفعاله وأقواله، فإذا فعل ذلك، فذلك له شيخ، وهو له مريد اهـ، ولبس الخرقة في عرف السادة الصوفية واصطلاحهم عبارة عن الصحبة وأخذ العهد وتلقين الذكر، وحقيقته تصرف الشيخ في المريد بل تصرفه في قلبه، وسريان روحه في روح المريد، وتربيته بالباطن اهـ، وقال البديري في ؛ثبته المسمى بالجواهر

الغوالي في الأسانيد العوالي) نقلاً عن العارف الشعراني: ولا تظن يا مسكين، أنها خرقة بلغة أو خضراء أو حمراء أو زرقاء توضع على الأكتاف، مع وجود ارتكاب أردى الأوصاف، وإنما هي عبارة عن لبس يضعه على جسده الشيخ الواصل الطاهر الأنفاس برهة من الزمان، ثم ينزعه ويلبسه حالاً لذلك المريد، فيزول ما كان عنده من وَصف ذميم، وَيبدل بوصف حمد، وَخلق كريم اهـ.

وَقال الصفي القشاشي في (السمط المجيد) وسر إلباس الخرقة إذا كان لبسها للإرادة لا للتبرك فقط، أن ينظر الشيخ المربي في حال المريد الذي يريد أن يلبسه فأي حال يكون للمريد فيه نقص فإن الشيخ يتلبس بذلك الحال، حتى يتحقق به، ويغمره فتسري قوة ذلك الحال في الثوب الذي يكون على الشيخ فيجرده في الحال ويكسوه ذلك المريد فيسري فيه سريان الخمر في أعضائه فيغمره، ويتم له الحال، ولا عجب من أمر الله كما وقع لسيدنا يوسف عليه السلام مع أبيه يعقوب عليه السلام كما وقع للشيخ نجم الدين الكبرى مع بابا فرج التبريزي، فذكر حكايته السابقة، ثم قال: وهذا وإن كان عزيزاً اليوم. لكن سيدنا علي لكونه من أكابر الورثة المحمديين من الصحابة، فلا ينبغي أن يشك في أنه من أهل هذا الشأن العلي، والفيض الساري، والحسن البصري أيضاً لا يليق التوقف في كونه في ذلك الوقت من أهل الإرادة، الأحقاء بهذا الإلباس الخاص فخير ذلك مسترسل، ولكل منهم نصيب بقدره اهـ.

فصل

فهذا سر إلباس الخرقة عند أول من استحسنها من الشيوخ العارفين، لكنها لما اشتهرت بين المتأخرين من الصوفية والمتشبهين بهم ظن من ليس منهم أنها رواية لباس مجرد عن الشروط والآداب وسلوك طريق الوصول إلى الله تعالى، خال عن السر والحكمة، فتهافتوا على روايتها وصار يلبسها ويلبسها من ليس من أهلها، وإن قلت من العمل والسلوك، إلى السند والرواية، وخرجت من يد المشايخ العارفين وانتظمت في أثبات الراوين

ومعاجم المحدثين، فظن من لا علم له بأصولها وشروطها أن لبسها وروايتها واتصال السند المسلسل بها هي الغاية القصوى، والنهاية العظمى منها. وهو خاطىء في ظنه، كاذب في دعواه، كابن تيمية وابن خلدون. ولهذا لما رأى المشايخ العارفون أنه قد شاركهم في لبسها وإلباسها من ليس منهم، قسموها إلى خرقة إرادة لأهل السلوك، وخرقة تبرك لأهل الرواية، والتبرك كما ذكره السهروردي في (العوارف) ومن جاء بعده من المصنفين في الخرقة والمتكلمين عليها في كتبهم.

فصل

ومما يؤيد شرف الخرقة وفضلها، وأن المراد منها ما ذكره العارفون، وكونها عتبة الدخول في طريق أهل الله مع ما يسري من الشيوخ إلى المريدين بواسطتها من الحال الجاذب للبواطن إلى الحضرة الإلهية، كون النبيﷺ ألسها جماعة في المنام واليقظة أيضاً، منهم العارف الكبير أبو البيان بشاء بن محمد إبن محفوظ القرشي المتوفى سنة إحدى وخمسين وخمسمائة الذي تنسب إليه الطريقة البيانية، فقد ألبسه النبيﷺ الخرقة يقظة. وبقيت عنده مدة حياته وبعد وفاته. وكان الناس يزورونها ويتبركون بها كما رواه جماعة منهم الحافظ أبو الفتوح أحمد الطاوسي في كتابه (جمع الفرق لرفع الخرق) ومنهم العارف الكبير سيدي إبراهيم المتبولي، وتلميذه سيدي علي الخواص، وأبو المواهب الشناوي.

قال الصفي القشاشي: رأيت في بعض مجاميع شيخنا أبي المواهب قدس سره بخطه. قال: وأخذت عن عمي عبد الوهاب هو الشناوي والشيخ حسن الدنجيهي والشيخ أحمد بن قاسم، عن سيدي علي الخواص، عن سيدي إبراهيم المتبولي، عن النبيﷺ بالكيفية المعهودة بين القوم، ولم يمت الخواص حتى أخذ ذلك، ووصله إلى ذلك كثرة الصلاة على النبيﷺ، حتى كان يصلي خمسين ألف صلاة كل يوم.

قال القشاشي: وقد ذكر شيخنا رضي الله عنه أنه لم يمت حتى أخذ عن النبيﷺ يقظة كالمتبولي، قلت: وقد ذكر هذا العارف الشعراني في

كتابه (الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية) لما أورد سند التلقين فقال: ولى طريق آخر بيني وبين رسول الله ﷺ رجلان فقط، وذلك أني أخذت عن سيدي علي الخواص وهو أخذ عن الشيخ سيدي إبراهيم المتبولي. وهو أخذ عن رسول الله ﷺ يقظة ومشافهة بالكيفية المعلومة عند القوم، في عالم الروحانيات ثم إن سيدي علياً الخواص لم يمت حتى أخذ عن النبي ﷺ من غير واسطة، كما أخذ سيدي إبراهيم المتبولي اهـ.

وقال الحافظ الصوفي أبو الحسن علي بن يوسف الشطنوفي في: (بهجة الأسرار) أخبرنا قاضي القضاة شيخ الشيوخ شمس الدين أبو عبد الله المقدسي قال: سمعت الأشياخ الثلاثة الشيخ العارف أبا الحسن علي بن سليمان البغدادي، المعروف بالخباز. والشيخ الصالح أبا زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى الصرصري، والشيخ العالم كمال الدين أبا الحسن محمد بن محمد بن وضاح الشهرباني. قالوا: سمعنا الشيخ الجليل أبا محمد علي بن إدريس اليعقوبي، يقول: سمعت شيخنا الشيخ القدوة على ابن الهيثمي رضي الله عنه، يقول سمعت شيخنا الشيخ القدوة تاج العارفين أبا الوفا رضي الله عنه، يقول سمعت شيخنا الشيخ القدوة أبا محمد الشنبكي، يقول: كان شيخنا الشيخ أبو بكر بن هوار رضي الله عنه، شاطراً يقطع الطريق بالبطائح، ومعه رفقاء، وكان مقدمهم، وكانوا يجلسون على تلك المعابر يقتسمون أموال الناس، فسمع ليلة امرأة تقول لزوجها أنزل ههنا لئلا يأخذنا ابن هوار وأصحابه، فاتعظ وبكى، وقال: الناس يخافوني وأنا لا أخاف الله تعالى، وتاب في وقته ذلك، وتاب أصحابه معه، وانقطع مكانه متوجهاً إلى ربه عز وجل على قدم الصدق والإخلاص في إرادته، فوقع عنده أن يسلم نفسه إلى من يوصله إلى ربه عز وجل، ولم يكن بالعراق يومئذ شيخ مشهور من أهل الطريق، فرأى في منامه رسول الله ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه فقال له: يا رسول الله ألبسني خرقة، فقال له: يا ابن هوار، أنا نبيك، وهذا شيخك. وأشار إلى الصديق رضي الله عنه، ثم قال: يا أبا بكر ألبس سميك ابن هوار كما أمرت، فألبسه الصديق رضي الله عنه ثوباً وطاقية وأمر يده على رأسه ومسح على ناصيته، وقال: بارك الله فيك، فقال له رسول الله ﷺ: يا أبا بكر بك تحيا سنن أهل الطريق من

أمتي بالعراق بعد موتها ويقوم منا أرباب الحقائق من أحباب الله تعالى بعد دروسها، وفيك تكون المشيخة بالعراق إلى يوم القيامة، وقد هبت نسمات الله تعالى بظهورك، وأرسلت نفحات الله بقيامك، ثم استيقظ فوجد الثوب والطاقية بعينهما عليه، وكانت على رأسه ثواليل فلم يرها، وكأنه نودي في الآفاق أن ابن هوار، وصل إلى الله عز وجل فهرع إليه الخلق من كل قطر، وبدت علامات قربه من الله عز وجل الخ.

وقال أيضاً في ترجمة الشيخ علي الهيثمي وكانت عنده الخرقتان اللتان ألبسهما أبو بكر الصديق رضي الله عنه أبا بكر بن هوار رضي الله عنه في النوم، واستيقظ فوجدهما عليه وهما ثوب وطاقية، وأعطاهما ابن هوار لمريده الشيخ أبي محمد الشنبكي رضي الله عنه: وأعطاهما الشنبكي لمريده تاج العارفين أبي الوفا، رضي الله عنه، وأعطاهما تاج العارفين لمريده الشيخ علي بن الهيثمي. رضي الله عنه، وأعطاهما ابن الهيثمي لمريده الشيخ علي بن إدريس رضي الله عنه، فقدتا من بعده اهـ.

وذكر أيضاً في ترجمة الشيخ علي بن وهب السنجاري بسنده إليه أنه رأى أيام طلبه للعلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه في النوم، فقال لي: يا علي قد أمرت أن ألبسك هذه الطاقية، وأخرج من كمه طاقية ووضعها على رأسي قال: فاستيقظت والطاقية بعينها على رأسي، وذكر حكاية طويلة في رؤية الخضر عليه السلام، ثم النبي ﷺ، ثم رؤية الحق سبحانه وتعالى، وأمره إياه بالإرشاد. فكان لبس الخرقة بداية الفتح.

وذكر بسنده عن الشيخ الجليل العارف أبي عبد الله محمد بن أحمد البلخي أحد أصحاب الشيخ مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه: أنه وقع له مثل ذلك يقظة مع علي بن أبي طالب عليه السلام، وذلك في أول ليلة من اجتماعه بمولانا عبد القادر رضي الله عنه، وكان مع علي عليه السلام بعض الملائكة، في قصة طويلة وكم لهؤلاء من نظير، لا سيما من لبسها من يد المشايخ العارفين بعد الانتقال، بطريق المنام، والاجتماع الروحاني في اليقظة، وكل ذلك مما يدل على اعتبارها وشرفها وبركة ما أودع من السر فيها.

فصل

أما حديث الخرقة الذي يروونه عن النبيﷺ: أنه نزل بها من الجنة ليلة المعراج بعدما لبسها من يد جبريلعليه السلام، فباطل موضوع[1] وإن ذكره بعض الصوفية وصححه كابن عراق، فإنه قال في رسالته في الخرقة: وليعلم أنه لا شك أن اليد كانت فيما بين يدي النبيﷺ إلى زمن سيد الطائفة أبي القاسم الجنيد، يد عهد ولبس وتحكيم، وصحبة وأدب، خلافاً لما ذهب إليه جماعة من المتفقهة، فإنهم يزعمون أنه لم يكن إلا مجرد الصحبة دون ما ذكر أين هم عما رواه الإمام العلامة قدرة العلماء العاملين ولسان العارفين مربي المريدين ومرشد السالكين أبو السري أحمد بن القاضي الكبير أبي بكر محمد البكري القرشي في كتاب (تلخيص القواعد الوفية في أصل حكم خرقة الصوفية) قال: رحمه الله هذا الاعتراض وهم من قوم، وقلة علم من آخرين، بل الصحيح المعروف عند الجم الغفير المتضلعين من متفرقات العلوم والأخبار، المطلعين على غوامض الأسرار، أنه لبس محقق متصل لا نزاع فيه، وقد صح أن جبريل ألبس النبيﷺ، وهو عليه الصلاة والسلام ألبس جمعاً من الصحابة رضي الله عنهم، كأبي بكر وعمر وعلي وبلال وعمار وصهيب وحذيفة وعائشة، وحفصة وسودة وأم خالد وغيرهم، فأما لبسهﷺ من جبريل، فرواه الإمام العلامة أبو السري أحمد المشار إليه، بسنده المتصل بالحافظ الإمام الحجة أبي طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الأصفهاني، قال: أخبرني الشيخ فلان عن فلان بأسانيد صحيحة متصلة إلى الإمام أحمد بن حنبل قال؛ أخبرنا الإمام موسى الكاظم، قال: أخبرنا أبي جعفر الصادق، قال: أخبرنا الإمام محمد الباقر، قال: أخبرنا الإمام علي زين العابدين، قال: أخبرنا الإمام الحسين بن علي، قال: أخبرنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، قال: قال رسول اللهﷺ: «لما عرج بي إلى السماء السابعة أمسك جبريل بيدي بعد المناجاة وأدخلني الجنة فرأيت فيها قصراً من ياقوتة حمراء، فيه

---

(١) وكذلك ما يقال له: أن صلاة الفاتح نزلت في ورقة خضراء من الجنة تحت وسادة أحمد التيجاني، كذب سخيف وصلاة الفاتح من إنشاء البكري كما هو معلوم.

صندوق من نور عليه قفل من نور فقلت: يا أخي جبريل ما في هذا الصندوق؟ فقال: فخرك وفخر أمتك من بعدك إلى يوم القيامة، ثم فتح الصندوق وأخرج منه خرقة الفقر وألبسنيها، وقال: يا حبيب رب العالمين يا محمد قد أمرني الحق سبحانه وتعالى أن ألبسها لك» قال الإمام رضي الله عنه، فلما جال بها النبيﷺ في الجنة قال الفقر فخري وبه أفتخر وفي رواية «فخري وفخر أمتي من بعدي».

قلت: وكل هذا باطل لا أصل له، وإن بالغ في إثباته هذا العارف رضي الله عنه، ومن نقل عنه تصحيحه أيضاً وهو أبو العباس الرداد صاحب كتاب (تلخيص القواعد الوفية) ويحسن أن أذكر هنا ما قاله ابن حجر الهيثمي في (فهرسته) إذ اختصر فيها رسالة الخرقة المذكورة لابن عراق، وقال: قبل إيراد الرسالة ما نصه: لي في لبس الخرقة وإرخاء العذبة وتلقين الذكر طرق أخرى تلقيتها عن الشيخ العارف قطب الوقت محمد بن عراق رضي الله عنه المهاجر إلى المدينة الشريفة، فجاور فيها مدّة مديدة على أكمل أحوال القوم، وتوفي بمكة سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة، وقد أجمع أهل عصره على أنه لم يكن في عصره ولا قبله بأزمان ولا بعده من يدانيه فضلاً عن أن يساويه، في كونه ملزماً على السنة وآدابها وكمالاتها وأحوالها الباهرة. وعلى أنه لو كان في زمن أبي القاسم القشيري لذكره من جملة رجال رسالته، وعلى أنه وصل من الورع والزهد والإرشاد والتربية وكرم الأخلاق وكثرة الكرامات إلى ما لم يصل إليه أحد من أهل عصره، وهو وإن لم ألقه لكن شيخنا الإمام العالم الصالح الشيخ محمد الحطاب الكبير أخذ عنه جميع مروياته ومجازاته، ونحن أخذنا ذلك عن شيخنا المذكور، وله أعني العارف ابن عراق كتاب مؤلف (في لبس الخرقة) وما ذكر معه ذكر فيه لها خمس طرق بأسانيده المشتملة على كثير مما لا يراه أئمة الحديث، وسننبه على بعضه، وإنما ذكرناها مع ذلك تبركاً بالقوم، لا سيما على رأي من يقول الإلهام حجة، فأهل الطريق والجمع المعتبرون منهم إذا أطبقوا على شيء فغير بعيد أن يكون من جملة ما ألهموه، فيكون حقاً في باطن الأمر، وإن كان علماء الظاهر لا يقيمون له وزناً. ثم لما وصل ابن حجر في التلخيص إلى هذا الموضع. قال عقبة: هكذا ساق الشيخ هذه

المعضلات كما ذكر وكان الأولى به بل المتعين عليه ترك هذا كله، فإنه من أقبح الكذب على رسول الله ﷺ وقد أجمعوا على أن تمدد الكذب عليه ﷺ من أكبر الكبائر، بل بالغ الإمام الجليل والد إمام الحرمين أبو محمد الجويني فقال: إنه كفر يخرج به الإنسان من الإسلام إلى الكفر، فتفطن لذلك. ثم قال ابن حجر قال: الشيخ يعني ابن عراق تفريعاً على ذلك الحديث الموضوع الذي التبس عليه حكمه، حتى ظنه صحيحاً، وحتى غلط بعض الفقهاء الذين أنكروه، كل ذلك لعدم معرفته بفن الحديث، فلما كان الحال كما ذكر، لبس الخرقة سادات القوم من أيدي سادات التابعين، كأويس القرني، والحسن البصري، وأجل قصدهم التزين بزي أهل السنة، والحرص على الاتصال بمن أخذت عنه اهـ.

قلت: ومن عدم معرفته بالحديث كونه أورد الحديث بدون إسناد مع قوله عن السلفي أنه قال: حدثنا فلان عن فلان، ولو كان له إلمام بالفن لأورده بسنده حتى يبرأ من عهدته، ويعرف الناظر فيه مرتبته من معرفة حال رجاله.

وقد أورده السيد شيخ ابن عبد الله العيدروس في كتابه (في التصوف) مسنداً من جهة الرداد صاحب تلخيص القواعد الوفية.

قال السيد شيخ: أخبرنا شيخنا الفقيه جمال الدين محمد بن أحمد أبو الفضل، أخبرنا شيخنا القاضي العلامة جمال الدين محمد بن مسعود الأنصاري، أخبرنا الشيخ القاضي الإمام جمال الدين محمد بن سعيد المعروف بابن كثير القرشي، أخبرنا الولي الصالح العلامة شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الرداد الصوفي الصديقي، أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن أبي بكر المقري إجازة، أخبرني الشيخان الأكبران الفقيه شهاب الدين أحمد بن أبي الخير بن منصور الشماخي، وتقي الدين عمر بن علي ابن عبد الله بن محمد بن أبي الخير الشعبي، قالا: أخبرنا القاضي الكبير فخر الدين إسحاقي بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري المكي سماعاً عليه للشعبي، وإجازة للشماخي، قال الرداد: وأخبرني الصالح جمال الدين محمد بن عمر الحاجر قراءة مني عليه بالمدرسة الغربية بزبيد، وأجازني عن

القاضيين الإمامين العالمين برهان الدين إبراهم بن عمر العلوي، وموفق الدين علي بن أبي بكر بن شداد المقري، عن أبي الخير الشماخي وابن أبي الخير الشعبي، عن القاضي فخر الدين، قال: أخبرنا الشيخ الإمام القدوة سلطان أهل الحقيقة والشريعة فخر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد أبي الفوارس الحيري الفارسي، قال: أخبرنا الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي، الأصبهاني. قال: أخبرني أبو الحسن المقري، قال: أخبرنا البقال، قال: أخبرنا القاضي السعيد أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل، قال: أخبرنا الإمام موسى الكاظم، فذكره بسنده السابق وهو سند مجهول من فوق السلفي إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل، وفيه انقطاع.

وقد نص جمع من الحفاظ على بطلان حديث (الفقر فخري وبه أفتخر).

فصل

الوجه الرابع: أن الخرقة تروى أيضاً من جهة أبي بكر رضي الله عنه، وإن كانت روايتها من جهته نادرة، فما قاله ابن تيمية في روايتها عن عليّ، فهو بعينه وارد في روايتها عن أبي بكر، فإن كان المراد بها الأحوال العرفانية، وحقائق القلوب، فهما في ذلك أعني عليًا وأبا بكر رضي الله عنهما سواء، وإن كان المراد بها مجرد لباس الأبدان فهما أيضاً فيه سواء، والحديث الذي ذكره ابن تيمية شامل لهما معاً، فإن الخرقة الطيفورية الشامية المنسوبة إلى الشيخ طيفور الشامي، وهي المعروفة بالهند بالمدارية، ويقال الشاهمدارية نسبة إلى شاه مدار، أحد رجالها، ويقال لها الصديقية، تروى من طريق الشيخ محمد علاء الدين فاضل الشاه مداري، عن حسام الدين الشاه مداري، عن الشيخ بديع الشامدار الذي تنسب إليه الطريق، عن الشيخ طيفور الشامي الذي تنسب إليه أيضاً عن يمين الدين الشامي عن الشيخ عبد الله حامل راية النبيﷺ، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. هكذا ذكره جماعة تبعاً للغوث في (كتابه الدرجات) ولا

يخفى ما فيه، قال العجيمي: ولا يبعد أن يكون بعضهم أخذ بالروحانية عن بعض، فيكون متصلاً.

قلت: الطرق التي تروى من جهة أبي بكر رضي الله عنه كلها منقطعة من جهة الظاهر، وإنما تروى من جهة الاجتماع الروحاني.

فإن الطريقة المشهور التي تروى من جهته رضي الله عنه هي النقشبندية، وهي منقطعة الإسناد في موضعين من جهة الظاهر، متصلة فيهما من جهة الأخذ الروحاني، وفي موضع ثالث من جهتهما معاً، فإن بهاء الدين محمد بن محمد البخاري المعروف بنقشبند، أخذ عن الشيخ أمير كلال، عن الخواجة محمد بابا السماسي، عن الخواجة علي الراميتني، عن الخواجة الأنجير فغنوي، عن الخواجة عارف الريوكري عن الخواجة عبد الخالق الغجدواني، عن الخواجة يوسف الهمداني، عن أبي عليّ الفارمدي، عن أبي القاسم الكركاني الطوسي،عن أبي الحسن الخرقاني، وهو من روحانية أبي يزيد البسطاسي، وهو من روحانية الإمام جعفر الصادق، وهو من القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق: وهو من سلمان الفارسي، وهو من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفي أخذ القاسم بن محمد عن سلمان الفارسي رضي الله عنه انقطاع لا يمكن اتصاله لا من جهة الظاهر، ولا من جهة الاجتماع الروحاني، لأنه عند وفاة سلمان الفارسي كان القاسم صغيراً ابن سنتين أو ثلاث، لا يتصور منه الأخذ من الجهتين، فلذلك قال الأئمة من أهل الطريق إن سند الطريقة النقشبندية راجع أيضاً إلى عليّ عليه السلام، لأن انتفاضة جعفر الصادق الحقة إنما هي عن والده عن أجداده إلى عليّ عليه السلام.

وأما الطريقة الصديقية فإنها روحانية محضة، وغالباً من تلقاها عن أبي بكر رضي الله عنه، في القرن الرابع والخامس وما بعدهما كأبي بكر بن هواري، وأبي عبد الله الهزميري، وغيرهما.

وذكر صاحب (المنح البادية في الطريقة الملامتية) سنداً متصلاً بأبي بكر الصديق رضي الله عنه من جهة جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، إلا أنه من جهة أهل الظاهر، ثم هو مع ذلك لا يصح، فإنه أورده من طريق

المراغي، عن القطب إسماعيل الجبرتي، عن جمال الدين محمد بن أبي بكر الضجاعي، عن البرهان إبراهيم بن عمر العلوي،عن تقي الدين عمر بن علي الشعبي، عن أحمد بن موسى الحموي، عن أبي اليمن بن عساكر، عن تقي الدين أبي عمر بن الصلاح، عن أبي الحسن المؤيد بن محمد الطوسي، عن أبي الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد، عن جده أبي القاسم القشيري، عن أبي عبد الرحمن السلمي محمد بن الحسين الصوفي، عن محمد بن حمدون بن مالك البغدادي، عن الحسن بن أحمد بن المبارك عن أحمد بن صبيح الفيومي، عن ذي النون واسمه ثوبان بن إبراهيم المصري، عن الفضيل بن عياض، عن محمد بن حية، عن أبي رجاء العطاردي، عن جابر بن عبدالله الأنصاري، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهو سند باطل مركب ملفق من فوق أبي القاسم القشيري، فقد ذكره ابن الصلاح نفسه على خلاف هذا، فقال: ولي في الخرقة إسناد عال جداً. ألبسني الخرقة أبو الحسن المؤيد ابن محمد الطوسي، قال: أخذت الخرقة من أبي الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد بن أبي القاسم القشيري، قال: أخذت الخرقة من جدي الإمام أبي القاسم، وهو أخذها من أبي علي الدقاق. وهو أخذها من أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن حمويه النصرأباذي. وهو أخذها من أبي بكر الشبلي. وهو أخذها من الجنيد، وهو أخذها من المري السقطي. وهو أخذها من معروف الكرخي. وهو أخذها من داود الطائي. وهو أخذها من حبيب العجمي. وهو أخذها من الحسن البصري. وهو أخذها من عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. وهو أخذها من النبي ﷺ.

ولما أورد هذا السند الحافظ السيوطي في (زاد المسير) قال: بعده وأخبرني بهذا الطريق العالي محمد بن مقبل. إجازة عن الصلاح ابن أبي عمر عن الفخر ابن البخاري. عن المؤيد الطوسي به اهـ.

وأيضاً من إبن لإبن الصلاح والمؤيد الطوسي وأمثالهما من المذكورين في السند. أخذ طريق الملامتيه، بل ولا الطريق من أصلها. لولا قصدهم التبرك بأخذ الخرقة كما صرح به ابن الصلاح. فقال عقب

ذكره للسند المتقدم: وليس بقادح فيما أوردناه كون لبس الخرقة ليس متصلاً إلى منتهاه على شرط أصحاب الحديث في الأسانيد، فإن المراد ما يحصل من البركة والفائدة باتصالهما بجماعة من السادة الصالحين اهـ.

وذكر الساحلي في (البغية) سند طريقتهم متصلاً بأبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقال: أما والدي وهو أبو عبد الله الساحلي فصحب شيخه أبا القاسم المريد وصحب أبو القاسم المريد شيخه أبا علي الحرار، وصحبا معاً شيخهما أبا عمران البرادعي، وصحب أبو عمران شيخه أبا عبد الله التاودي، وصحب التاودي شيخه أبا الحسن بن حرزهم، وصحب أبو الحسن عمه أبا محمد بن حرزهم، وشيخه أبا بكر بن العربي، وصحب أبو محمد شيخه وجيه الدين، وصحب وجيه الدين والده محمد بن عمويه، وصحب محمد والده عمويه، وشيخه أبا العباس الدينوري، وصحب عمويه والده سعداً، وصحب سعد والده الحسين، وصحب الحسين والده القاسم، وصحب القاسم والده النضر، وصحب النضر والده القاسم، وصحب القاسم والده محمد، وصحب محمد والده عبد الله، وصحب عبد الله والده عبد الرحمن، وصحب عبد الرحمن والده القاسم، وصحب القاسم والده أبا بكر الصديق، وصحب أبا بكر رسول الله ﷺ، ثم ذكر السند الثاني من طريق الجنيد، عن السري، عن معروف، بسنديه. ثم تكلم على رجاله بالاختصار. وقال في ترجمة أبي محمد بن حرزهم: ووقع عندي إشكال في أخذه عن وجيه الدين، أو عن ابن أخيه ضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر بن عبد الله والأقوى عندي أنه إنما أخذه عن وجيه الدين، لقرائن قامت عندي مقام التحقيق، لكني أبرأ من عهدته، وبالله التوفيق.

قال: وأما الشيخ وجيه الدين فهو عمر بن محمد بن عمويه أبو حفص السهروردى القرشي البكري اليتمي، وليس بأبي حفص عمر بن محمد شهاب الدين صاحب (عوارف المعارف) إنما هو عم عمه ضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر بن عبد الله المذكور، شيخ الشيوخ، إمام التربية أخذ عن عمه وجيه الدين وعلى يديه سلك، وشهاب الدين صاحب العوارف الواعظ أخذ عن عمه ضياء الدين أبي النجيب المذكور، وعلى يديه سلك اهـ.

وذكر هذا السند صاحب (المنح البادية) في الطريقة السهروردية ـ ببعض اختلاف. وذكره أبو عيسى الفاسي في تحفة (أهل الصديقية) نقلاً عن (بغية السالك) للساحلي كما نقلناه، ثم قال: وما تقدم في عمود نسب عبد الله عمويه، هو الذي في بغية السالك وغيره، والذي في ابن خلكان غير ذلك، وهو أن عبد الله عمويه بن سعد بن الحسين بن القاسم بن علقمة بن النضر بن معاذ بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ثم قال: وقال محب الدين بن النجار في تاريخ بغداد نقلت نسب الشيخ أبي النجيب من خطه، وهو عبد القاهر بن عبد الله ابن محمد بن عمويه، واسمه عبد الله ابن سعد بن الحسين القاسم بن النضر ابن القاسم بن سعد ابن النضر بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وإذا كان بخطه هكذا، فهو أصح مما ذكرته فليعتمد عليه اهـ. والذي في ابن خلكان في نسب الحافظ أبي الفرج بن الجوزي موافق لما في (بغية السالك) في نسب عمويه، وهو: أنه جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. فإبن الجوزي والشيخ وجيه الدين وأخوه والد الشيخ ضياء الدين وهو جد صاحب العوارف شهاب الدين في مرتبة واحد، يلتقي ابن الجوزي معهم في القاسم بن النضر، وبينهم وبين القاسم المذكور أربعة آباء اهـ.

وأنا لست على يقين من اتصال الخرقة والصحبة والتأدب في الطريق بهذا العمود، ولم يذكره فروع الطريقة السهروردية وليس هو مشهوراً بل ولا معروفاً بينهم، فلا أدري مستند الساحلي فيه والله أعلم.

والمقصود إثبات وجود رواية الخرقة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأن ما يقوله ابن تيمية في خرقة عليّ عليه السلام، هو وارد عليه في خرقة أبي بكر رضي الله عنه.

فصل

وقول ابن تيمية: ويقال ثانياً الخرق متعددة أشهرها خرقتان خرقة إلى عمر وخرقة إلى علي، فخرقة عمر لها إسنادان إسناد إلى أويس القرني، وإسناد إلى أبو مسلم الخولاني، وأما الخرقة المنسوبة إلى عليّ، فإسنادها إلى الحسن البصري الخ جوابه من وجوه: الوجه الأول أن الخرقة التي تروَى عن عمر رضي الله عنه إنما تروَى من طريق أويس القرني، وهو لبسها من عمر وعليّ معاً، لا من عمر وحده. وأما طريق أبو مسلم الخولاني فهو لقاء مجرد، لا خرقة فيه، مع انقطاع سنده أيضاً. فعاد الأمر فيها إلى عليّ عليه السلام، وشاركه عمر رضي الله عنه في روايتها وإلباسها وفيما يريد ابن تيمية أن يحط به من شأنها وهو كونها لباساً مجرداً لا فضل فيه، فتعرضه لذكر الخرقة التي تروى عن عمر رضي الله عنه لا يفيده المطلوب من إخراجها عن دائرة عليّ وسلب المزية بها عنه عليه السلام، فقد اتفق كل من ذكرها من طريق أويس على أنه لبسها من عمر وعليّ معاً رضي الله عنهما.

قال الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي رضي الله عنه في رسالة نسب الخرقة ولبستها أيضاً من يد أبي عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي، ومن يد تقي الدين عبد الرحمن بن علي بن ميمون بن أبي التوزري وقالا لي إنهما لبساها من يد أبي الفتح محمد بن أحمد بن محمود المحمودي، ولبسها المحمودي من يد أبي الحسن علي بن محمد البصري، ولبس البصري من يد أبي الفتح ابن شيخ الشيوخ وَلبس أبو الفتح من يد أبي إسحاق بن شهريار المرشد، ولبس المرشد من يد حسن أو حسين الأكار، ولبس الأكار من يد أبي عبد الله بن خفيف، وابن خفيف صحب جعفر الحذاء، وصحب الحذاء شيخه أبا عمرو الأصطخري، وصحب أبو عمرو شيخه أبا تراب النخشبي وصحب أبو تراب شيخه شقيق البلخي، وصحب شقيق إبراهيم بن أدهم، وصحب إبراهيم موسى بن زيد الراعي، وصحب الراعي أويساً القرني، وصحب أويس عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب، وصحب عمر وعليّ رسول الله ﷺ. وأخذا عنه وتأدبا بأدبه. اهـ.

وقال الصفي القشاشي في (السمط المجيد) لبست الخرقة من يد شيخنا أبي المواهب أحمد بن علي القرشي العباسي الشناوي قدس سره، وهو لبسها من والد علي بن عبد القدوس. وهو من الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، وهو من يد شيخ الإسلام القاضي زين الدين أبي يحيى زكريا الأنصاري وأرخى له العذبة، وذلك في محرم الحرام سنة أربع عشرة وتسعمائة، وهو لبسها من الشيخ شهاب الدين أحمد بن الفقيه علي بن محمد الدمياطي، الشهير بالزلباني وهو من الشيخ زين الدين أبي بكر بن محمد الخوافي وهو من الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام القرشي الشبريسي، ثم القاهري، وهو من الشيخ ابن المحاسن جمال الدين يوسف بن عبد الله الكوراني العجمي، وهو من الفقيه حسن الشمشيري، والشيخ نجم الدين محمود بن سعد الله الأصفهاني، بلباس أولهما عن ثانيهما، وكذا عن الشيخ بدر الدين محمود الطوسي، وهما لبسا من الشيخ نور الدين عبد الصمد الطنزي، وهو من الشيخ نجيب الدين علي بن برغش الشيرازي، وهو من الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي، وهو من عمه الشيخ ضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد السهروردي، وهو من عمه الشيخ وجيه الدين عمر بن محمد المعروف بعمويه السهروردي، وهو من والده الشيخ المعمر محمد بن عمويه عبد الله بن سعيد السهروردي، ومن الشيخ أخي فرج الزنجاني، كلاهما يد أحدهما مشاركة اليد الآخر، فأما عمويه فمن الشيخ أحمد الأسود الدينوري، وهو من الشيخ حمشاد علي الدينوري، وأما فرج الزنجاني فمن الشيخ أبي العباس النهاوندي، وهو من شيخ مشايخ وقته أبي عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي، وهو من الشيخ أبي محمد رويم بن أحمد البغدادي، وهما أي حمشاد ورويم لبسا من سيد الطائفة أبي القاسم الجنيد، وهو من جعفر الحذاء، وهو من أبي عمرو الاصطخري، وهو من أبي تراب عسكر بن الحصين النخشبي، وهو من أبي علي شقيق بن علي بن إبراهيم البلخي، وهو من أبي إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور العجلي، وقيل التميمي البلخي،

وهو من موسى بن زيد الراعي، وهو من أبي عمرو أويس بن عامر القرني، وهو من عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وقدس أسرارهم أجمعين اهـ.

ورواها الفخر محمد بن إبراهيم الفارسي العارف الصوفي المحدث في كتابه في التصوف، عن والده عن نصر بن خليفة البيضاوي، عن إبراهيم بن شهريار، عن أبي علي الحسين بن محمد الأكار، بسنده السابق عند الشيخ الأكبر، وفيه أن عمر رضي الله عنه ألبس أويساً القرني قميصه بعرفات بحضور علي عليه السلام، وأن علياً ألبسه رداءه حينئذ، ثم ألبسه قميصه بصفين، وهما لبسا من النبي ﷺ.

(الوجه الثاني): أن جزمه بسند خرقة عمر مع الطعن في سند خرقة علي، يفيد أن سندها عن عمر صحيح ثابت، بخلاف سندها عن علي، وأن ذلك هو رأيه فيها، وهو تدليس منه وتلبيس، فإن سند خرقة عمر رضي الله عنه متكلم فيه، وقد صرح ابن تيمية نفسه بأنه منقطع.

قال البرزلي في (جامع نوازله) قال ابن تيمية، وقد تكلم على لباس الخرقة: إنه يحتاج إلى أصل من الأثر يعتمد عليه، فيخرجه من البدعة، أو من مقاطع الاجتهاد والرأي، فإنه منقطع الإسناد، فإن له إسنادين. أحدهما الإسناد المتصل بأويس عن عمر بن الخطاب، وإسناد الحسن عن علي معلوم عند أهل العلم، وهو أشهر من الأول، فأحد طرقه طريق الشيخ عبد القادر عن أبي السعادات الحربي فذكره إلى معروف، عن داود الطائي، عن حبيب العجمي، عن الحسن البصري عن عليّ بن أبي طالب، قال ونقله معروف أيضاً عن علي بن موسى الرضى، والرضى عن أبيه، فذكره ثم قال ومن طريق آخر إلى جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: فأما السند إلى معروف فمتصل، فإن الأشياخ لقي بعضهم بعضاً. وانتفع به، ومن بعد معروف منقطع، إذ لا تعرف له صحبة عن داود الطائي، ولا لعلي ابن موسى الرضي، وصحبة معروف معروفة لبكر بن خنيس، وعنه يروي أحاديث الزهد، وما يرويه غير أهل العلم والمعرفة فالخطأ فيه كثير، وإن كانوا ذوي فضل وصلاح، ثم قال وصحبة داود لحبيب العجمي فيها نظر،

وأما صحبة الحسن لعلي فباطلة باتفاق أهل العلم بهذا الشأن، ولم يختلفوا في عدم اجتماع الحسن بعليّ، والأثر المروي أن علياً دخل المسجد وسأله ما صلاح الدين؟ قال: الورع، قال: ما فساده؟ قال: الطمع، فأقره في المسجد، فهذا الأثر كذب. ثم ذكر غير هذا من وجوه عدم لقائه له، وأنه ولد بالمدينة لسنتين بقيتاً من خلافة عمر ابن الخطاب. ونشأ بها إلى قتل عثمان، ورأى عثمان على المنبر، فحمل إلى البصرة وعليّ إذ ذاك بالكوفة والحسن في سن الاحتلام، وإنما أخذ عمن كان بالبصرة مثل عمران بن حصين وسمرة بن جندب وابن سمرة[1] وغيرهم من متوسطي الصحابة، وقد جمع الحافظ ابن عبد الواحد المقدسي مصنفاً فيمن لقيه الحسن من الصحابة، وجمع أبو الفرج بن الجوزي في مناقب الحسن، كما جمع في عمر بن الخطاب وابن عبد العزيز وغيرهم. وإسناد أويس أكثر انقطاعاً. وأما إسناد جابر ففي غاية الانقطاع.

لكن هؤلاء المشايخ الذين رووا الخرقة أعلام، كلهم لقي أشياخاً غير هؤلاء والمعول عليه إنما هو التواصي على البر والتقوى، ومن شهد له بالخير، لقوله ﷺ أنتم شهداء الله في أرضه[2] الحديث اهـ.

ثم تعقبه البرزلي على ذلك بلسان الفقهاء، لا بلسان أهل العلم والنظر. فلذلك تركت نقل كلام، والمقصود اعتراف ابن تيمية بأن سند أويس منقطع، وكأنه قال ذلك في كلام له في إبطال الخرقة. أو جواب من سأله عن سندها. فلذلك تكلم بكل ما يعتقده فيها بخلاف كلامه هنا، فإن الغرض منه نفي الفضيلة عن عليّ، وسلب مزاياه وإثباتها لغيره، كما هو معروف من حالة ابن تيمية فإنه لا يتكلم بالعلم والإنصاف ساعة الرد والمناظرة أصلاً، بل يكون جل قصده إثبات دعواه، والانتصار على الخصم بأي سبيل ولو بطريق الكذب والتدليس والتزوير والتلبيس. ولذلك كثر الاضطراب في أقواله، والتناقض في أنقاله، فتارة يجزم ببطلان حديث، ونفي وروده أصلاً، وتارة يصرح بوجوده، ويذكر مخرجه، وربما

---

(١) هو عبد الرحمن بن سمرة، وهو غير سمرة بن جندب الذي قبله.

(٢) هو في الصحيحين في قصة الثناء على ميت بخير، وعلى آخر بشر.

سكت عنه، موهماً ثبوته إذا كان الغرض في ذلك. وتارة يحكي الاتفاق على مسألة، وأحياناً يحكي فيها الخلاف، ويؤيد قول المخالف وينصره. فالرجل ديدنه نصرة رأيه وهواه، لا غرض له إلا ذلك، فلذلك لم ينفع الله تعالى بكتبه وعلمه، بل جعلها وبالاً عليه، فكم ضل من المخلوقات بسبب النظر فيها، والاغترار بمؤلفها، لا بارك الله فيه، ولا في كتبه[1] وأنصاره.

وقال علي القاري في (موضوعاته) لما تكلم على الخرقة ونقل كلام السخاوي فيها، ما نصه: وكذا نسبة التلقين المتعارف بين الصوفية، لا

---

(١) إلا كتاب «الصارم المسلول على شاتم الرسول»ﷺ، و «كتاب اقتضاء الصراط المستقيم» فقد اعتدل فيهما كثيراً، بل لم يؤلف في الحقيقة غيرهما على كثرة ما ألف. ولما أعيد طبع الكتاب الثاني في مطبعة أنصار السنة، حرفوا فيه بعض العبارات، وجدوها صريحة في مخالفتهم، وموافقة جماعة المسلمين، ومثل هذا حصل في كتاب «أهوال القبور» للحافظ ابن رجب. فقد طبع بمكة المكرمة، وحذف منه القائمون على طبعه جملة أيد بها المؤلف رحمه الله حديث عرض أعمال الأمة على نبيهاﷺ.

ومثل هذا وذاك ما حصل في تفسير «البحر المحيط» عند طبعه، فإن مؤلفه أبا حيان عرض فيه لابن تيمية، وذمه وذم بدعته، فحذف المشرف على تصحيحه بمطبعة السعادة ذلك الكلام من أصله، ولم يترك له في التفسير أثراً يدل عليه. فماذا أعد الله لهؤلاء الخائنين لأمانة العلم؟ الجانيين على كتبه؟ إنه سبحانه المنفرد بعلم ذلك، والمجازي كل نفس بما كسبت هنالك، و «كل امرىء بما كسب رهين»، كما فعل في مسألة المطلقة ثلاثاً بلفظ واحد. فإن الصحابة أجمعوا على قول عمر: لا تحل لزوجها حتى تنكح زوجاً غيره. وأخذ به الأئمة لأحاديث وردت به أيضاً، ولكن ابن تيمية لم يعترف بهذا الاتفاق، واعتبرها تطليقة واحدة ورد عليه التقي السبكي وغيره، وأعجب من هذا في تمسكه برأيه وإن خالف الحق والواقع أن ابن حزم عقد في كتابه «مراتب الإجماع» باباً للإجماع الذي يكفر مخالفه بإجماع، وصدره بحكاية الإجماع على أن ما سوى الله مخلوق، فكتب ابن تيمية يناقشه في هذا الإجماع الذي يدرك بالبداهة، ونفى أن يكون ورد عن الصحابة تصريح ـ بحدوث ما سوى الله تعالى. وحاور وداور، لكنه هاب أن يصرح برأيه الذي أنكر لأجله الإجماع المذكور، وهو: أن العالم قديم بالنوع، وهذا من مستشنع المسائل المنسوبة إليه كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، بل بلغت به الجرأة في الانتصار لهذا الرأي الشنيع أنه ادعى ـ في حديث البخاري «كان الله ولم يكن شيء غيره» وفي رواية «ولم يكن شيء معه» أنه من تصرف الرواة، وأن أصل الحديث «كان الله ولم يكن شيء قبله» لأنه يعتقد أن الله لم يكن شيء قبله، لكن لا يعتقد أنه لم يكن شيء معه، فلهذا أنكر الإجماع والحديث، انظر كتاب مراتب الإجماع، وباب وكان عرشه على الماء في كتاب التوحيد من فتح الباري بشرح صحيح البخاري، وكلاهما مطبوع.

أصل له وكذا نسبة المصافحة المتصلة إلى النبيﷺ ليس له أصل عند العلماء الأعلام، وكذا نسبة الخرقة إلى أويس وأنهعليه السلام أوصى بخرقته لأويس وأن عمر وعلياً سلماها إليه، وأنها وصلت إليهم منه فغير ثابت، ولو ذكره بعض المشايخ فالمدار على طريق الصحبة، ومتابعة الكتاب والسنة، ومجانبة الهوى، ومقاربة الهدى، والعاقبة للتقوى اهـ.

وقال: أيضاً في (المعدن العدني في فضائب أويس القرني) وأعلم أن ما اشتهر على السنة العامة من أن أويساً قلع جميع أسنانه لشدة أحزانه، حين سمع أن النبيﷺ أصيب يوم أحد، ولم يعرف خصوص أي سن كان بوجه معتمد فلا أصل له عند العلماء، مع أنه مخالف للشريعة الغراء، ولذا لم يفعله أحد من الصحابة الكبراء، على أن فعله هذا عبث لا يصدر إلا عن السفهاء، وكذا لا يثبت نسبة الخرقة النبوية إليه، ومنه إلى بعض المشايخ بما لا يعتمد عليه اهـ.

قلت: يشير بوصاية النبيﷺ بالخرقة إلى أويس، وإلباس عمر وعلي إياه بأمرهﷺ، إلى ما ذكره أبو الفتوح الطاوسي في رسالته (جمع الفرق لرفع الخرق) أن النبيﷺ أوصى عمر وعلياً رضي الله عنهما بلقاء أويس والتبرك بدعائه، وتبليغ السلام منه إليه، وأعطاهما خرقة ليلبساها إياه، فوافياه بوادي أراك، بعرفات، وتقربا إليه وألبساه إياها وهذا باطل جزماً.

وقال الحافظ في اللسان: موسى بن الراعي أبو عمران الديلمي. نزيل بلخ لم أجد له ذكراً، وأظن أن بعض من في إسناده خبره اختلقه، فإنه أسندت عنه خرقة التصوف، فزعم أو من اختلقه، أن أويساً القرني ألبسه الخرقة لما قدم بلاد الديلم، ومات بها، وأن عمر ألبسه قميصه بعرقات بحضور عليّ، وأن علياً ألبسه رداءه، ثم ألبسه قميصه بصفين، وهما لبسا من النبيﷺ، ذكره الفاخر الفارسي وهو محمد بن إبراهيم عن أبيه عن نصر بن خليفة البيضاوي عن إبراهيم بن شهريار عن أبي محمد الحسين الأكار الشيرازي، ووقع في اللسان الأبار بالباء، والصواب الأكار كما تقدم، عن محمد بن خفيف، عن أبي عمرو الاصطخري عن أبي تراب النخشبي عن أبي عمران المذكور، وفي السياق أن كلاً من هؤلاء ألبس

الذي دونه وهذا خبر باطل مشوش، وأويس قتل بصفين كما ذكرته في ترجمته، وقيل مات قبل ذلك فالله أعلم.

ومن أظرف ما يذكر هنا وأغربه أن بعض فضلاءِ الهند المتأخرين نقل كلام الحافظ المذكور، ثم تعقبه بقوله، وقد اختلف في زمان موته يعني أويساً ومحله على أقوال متباينة، فإن ثبت موته كما قال الحافظ، فهو لا محالة مات مرة في موضع، ثم حيي في آخر، ثم مات، ثم حيي، ولا يشك فيه من يؤمن بكرامات الأولياء وقد تكلم الربيع بن حراش[1] بعد موته وكذا أخوه ربعي كما ذكره ابن حبان في الثقات، وأخوه مسعود كما رواه المديني. وزيد بن خارجة الأنصاري. كما رواه جماعات ولابن أبي الدنيا كتاب (من عاش بعد الموت) وقد ساق السيوطي أخبار من حيي بعد الموت فتكلم ثم مات أو بقي حياً من الصحابة ومن بعدهم في (شرح الصدور) وأشار إلى شيء من ذلك (في الخصائص الكبرى) وهلم جرا، إلى طبقة شيوخنا، فحكى عنه حكاية، ثم قال: وروينا من وجوه حسنة كثيرة أن الولي الكبير السيد الشهير كفاية الله الحسيني الحبشي مات ودفن بحيدر آباد قاعدة مملكة الدكن، ثم ظهر حياً بلكنو قاعدة مملكة أوده، فبينما هو يقرأ القرآن يوماً إذ مر عليه رجل من التجار، كان قد شهد دفنه بالدكن فوقف متعجباً من أمره، فلما فرغ الشيخ من قراءته، قال له ما ترى؟ قال: شهدتك بالدكن، إذ مت ودفنت، قال: نعم. ولكنني أحببت أن أكون أياماً في الدنيا فظهرت هنا؟ قال: فأنا أموت هنا بعد زمان، ثم أظهر بالصين، إن شاء الله تعالى، ولا تكون لي حينئذ أنملة الخنصر من يدي، فمات ثمة بعد زمان ولقيه الرجل بعد مدة بالصين، فكان كما قال، وهذه القصة مشهورة ببلاده، ولقد سمعتها مراراً من شيخي شيخ الإسلام الإمام الهمام علم الكمال في العلم والعمل والحال مولانا الحافظ محمد علي الحسيني الرضوي الجشتي أفاض الله علينا من فيوضاته آمين اهـ.

قلت ومن هذا القبيل ما في ترجمة محمد الحليق التركي المتوفى سنة

---

(١) بالحاء المهملة المكسورة.

تسعين وستمائة، وكان بماردين له اتباع وفقراء، وكان صاحب ماردين كثير الإنكار عليه وعلى أصحابه، فاجتمع به مرة فعاتبه الشيخ فقال له: أنا معذور وأنت ظاهر موله، ويبدو منك ومن أصحابك أشياء يقع الإنكار فيها فأرنا شيئاً يكون آية ظاهرة حتى نسلم إليكم حالكم، فقال: بسم الله أنا أموت الساعة، وأنت ادفني كيف شئت وأنا أظهر بعد مائة وخمسين يوماً خمسة أشهر، فقال: رضيت ومات الشيخ لوقته، فقضى حقه وجهز له بئراً عميقاً عدة قامات، ودفنه أسفله، وعمل عليه ضريحاً بحجارة متقنة عمارة متعنت ممتحن ثم ردم البئر، وعمل في أعلاه ضريح خشب، ورسم عليه رجالاً كثيرين لا ينامون، بل يسهرون بالنوبة، فما ظهر الشيخ بعد المدة، فطلب الجماعة وانتقم منهم، بأنواع الأذى، ثم بعد عشرين يوماً، ظهر الشيخ، فجاءه الملك نادماً معتذراً عما فعل بأصحابه، وقال يا سيدي ما ظهرت في التاريخ الذي عينته؟ فقال يا بعيد الذهن في تلك المدة كنت في حبس الله تعالى، وأما الزيادة فكنت في حبسك، لأن جميع ما صرفته فيما أعددته من الامتحان والتعنت كان حراماً. فقال: صدقت، ثم صار من أكبر المحبين للشيخ والمعتقدين له.

والمقصود أن سند خرقة عمر رضي الله عنه مطعون فيه بالجهالة والانقطاع وعدم الثبوت من جهة كون أويس مات قبل الوقت الذي زعم موسى بن زيد الراعي: أن أويساً ألبسه فيه، فإعراض ابن تيمية عن هذا، وذكره للسند بطريق الجزم مع طعنه في سند خرقة عليّ، من قلبه للحقائق، وتدليسه بل من كذبه وتزويره.

(الوجه الثالث) أن قوله في خرقة عمر رضي الله عنه لها سندان، وخرقة علي تنسب إلى الحسن، يريد أن يفهم أن خرقة عمر متعددة السند مشهورة، وأن خرقة عليّ ليس لها إلا سند واحد عن الحسن البصري، ومع ذلك فهو مطعون فيه، وذلك كذب منه وتدليس، فإن خرقة عليّ تروى من طرق متعددة غير طريق الحسن البصري، كرواية الحسن السبط عليه السلام، ومن جهته يتصل سند أبي الحسن الشاذلي عن ابن مشيش الذي هو طريقة التحكيم والإرادة له كما سيأتي.

ورواية الحسين الشهيد عليه السلام، ومن جهته تتصل الطريقة العلوية

الحضرمية وغيرها. بل هو أحد السندين لمعروف الكرخي كما سبق ويأتي.

ورواية كميل بن زياد، ومن جهته تتصل الطريقة الكبروية والحبشية وغيرهما.

ورواية أبي الدرداء، ومن جهته تتصل الطريقة السهلية.

ورواية أويس القرني كما سبق، فهي أكثر طرقاً من خرقة عمر رضي الله عنه، وأثبت وأشهر، كما اعترف به ابن تيمية نفسه في كلامه السابق من نقل البرزلي عنه.

(الوجه الرابع) أن قوله أيضاً في خرقة عمر لها إسنادان، وأما خرقة علي فتنسب إلى الحسن، يفيد أن خرقة عمر ثابتة عنه، وأن خرقة عليّ إنما تنسب إلى الحسن وليس هي ثابتة عنه، مع أن الأمر بالعكس، فإن خرقة عمر رضي الله عنه تنسب إلى أويس القرني، والذي انفرد بها عن رجل مجهول. لا يعرف حاله ولا عدالته لأنه لا ذكر له في شيء من كتب رجال الحديث إلا بالضعف والطعن من جهة الجهالة وغرابة ما أتى به، لا من جهة معرفته، وإلا فهو غير معروف أصلاً، لا بعدالة ولا غيرها، ويؤيد ضعفه وبطلان روايته ما ذكره الحافظ من أن أويسامات يصفين مع عليّ عليه السلام، أو قبل ذلك على الخلاف في وفاته، وموسى بن زيد ذكر أنه ألبسه الخرقة في بلاد الديلم، وأنه بها كانت وفاته، وأيضاً فقد قدمنا نصوص أهل الحديث والصوفية وأكابر الأولياء العارفين: كالشيخ الأكبر محي الدين بن العربي والسهروردي وأمثالهما على أن الخرقة بالهيئة المعروفة لم تكن في زمن الصحابة والتابعين، وإنما كان عندهم الصحبة والاقتداء والتأدب. وأيضاً لم تذكر لموسى بن زيد الراعي هذا ترجمة في كتب الصوفية وطبقاتهم ولا عرف به أحد منهم، مع أن من دونه كلهم معروفون مشهورون فخرقته باطلة جزماً من جهة قواعد الرواية الظاهرة التي من جهتها أيضاً يبطل ابن تيمية ومن يوافقه خرقة عليّ المروية من طريق الحسن البصري، مع بيان خطئهم في ذلك وظهور بطلان قولهم فيه على حسب القواعد المقررة، بخلاف خرقة أويس، فإن ذلك فيها واضح جلي لا شبهة فيه.

وأما خرقة الحسن فرواتها كلهم أئمة مشاهير لا تحوم رائحة الطعن

والجهالة حول حمى واحد منهم، فضلاً عن أن ينبذ بشيء من ذلك، بل هم أئمة المسلمين، وسادات السلف الصالح باتفاق المسلمين، فإنها تروى عن الجنيد سيد الطائفة عن السري السقطي. عن معروف الكرخي. عن داود الطائي. عن حبيب العجمي عن الحسن، ثم عن الجنيد رواها عدد التواتر من أكابر الزهاد الأتقياء وأئمة الورع والدين والمعرفة، فمن يا ترى من هؤلاء الأئمة افتعل ذلك السند، ونسبه إلى الحسن البصري؟ هل عدد التواتر من أصحاب الجنيد، وطبقتهم ممن يستحيل عادة تواطئهم على ذلك أو توافقهم عليه، لما كانوا عليه من التقوى والورع والخشية والعلم بالله تعالى ومعرفته، أم الجنيد سيد الطائفة وأمامها، القائل: ما أخرج الله إلى الأرض علماً وجعل للخلق إليه سبيلاً إلا وجعل لي فيه حظاً ونصيباً، والقائل لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فاته أكثر مما ناله، والقائل: ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمستحسنات، والذي كان ورده كل يوم في حانوته أربعمائة ركعة قبل أن يعود إلى بيته، مع ثلاثين ألف تسبيحة، دون وروده من الليل، والذي قال عن نفسه: ما نزعت ثوبي للفراش منذ أربعين سنة، ومكث عشرين سنة لا يأكل إلا من أسبوع لأسبوع، وقيل له: من أين استفدت هذا العلم؟ قال: من جلوسي بين يدي الله ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة، وأومأ إلى درجة من داره. أما السري بن مغلس السقطي الذي قال فيه الجنيد: ما رأيت أعبد من السري، أتت عليه ثمان وسبعون سنة ما رؤي مضطجعاً إلا في علة الموت. وقال عنه الجنيد أيضاً: سألني السري يوماً عن الصحبة، فقلت: قال قوم: هي الموافقة. وقال قوم: الإيثار. وقال قوم: كذا وكذا. فأخذ السري جلدة ذراعه ومدها، فلم تمتد، ثم قال: وعزته تعالى لو قلت إن هذه الجلدة يبست على هذا العظم من محبته، لصدقت. ثم غشي عليه، فدار وجهه كأنه قمر مشرق، وكان السري به أدمة. وقال: منذ ثلاثين سنة أنا في الاستغفار من قولي: الحمد لله، مرة. قيل: وكيف ذلك؟ فقال: وقع ببغداد حريق، فاستقبلني رجل، فقال: نجا حانوتك. فقلت: الحمد لله، فمنذ ثلاثين سنة، أنا نادم على ما قلت، حيث أردت لنفسي خيراً مما حصل للمسلمين.

وقال الجنيد: دخلت يوماً على السري السقطي وهو يبكي، فقلت له: وما يبكيك؟ فقال: جاءتني البارحة الصبية، فقالت: يا أبتي هذه ليلة حارة، وهذا الكوز علقه ههنا، ثم إني حملتني عيناي فنمت، فرأيت جارية من أحسن الخلق، قد نزلت من السماء، فقلت: لمن أنت؟ فقالت: لمن لا يشرب الماء المبرد، في الكيزان. فتناولت الكوز فضربت به الأرض فكسرته. قال: فرأيتي الخزف لم يرفعه ولم يمسه حتى عفا عليه التراب. أم معروف بن فيروز الكرخي، الذي كان مستجاب الدعوة. وكان أهل بغداد يقولون: قبر معروف الترياق المجرب لقضاء الحوائج، والذي قال تلميذه السري السقطي: رأيت معروفاً الكرخي في النوم كأنه تحت العرش، فيقول الله عز وجل لملائكته: من هذا؟ فيقولون: أنت أعلم يا رب. فيقول: هذا معروف الكرخي، سكر من حبي فلا يفيق إلا بلقائي. وقال يعقوب بن أخي معروف، قال لي عمي: يا بني إذا كانت لك إلى الله حاجة فسله بي.

وقال عبيد بن محمد الوراق: جاء رجل من الشام إلى معروف يسلم عليه، وهو ببغداد. فقالوا له، فقال: إني رأيت في المنام يقال: اذهب إلى معروف فسلم عليه، فإنه معروف في أهل الأرض، معروف في أهل السماء.

وقال إسماعيل بن شداد المقري، قال لنا سفيان بن عيينة: من أين أنتم؟ قلنا: من بغداد. قال: فما فعل ذلك الحبر، قلنا: من؟ قال: معروف. قال: لا تزالون بخير ما دام فيكم. وكان يقول: طلب الجنة بلا عمل، ذنب من الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق. أم داود بن نصير الطائي؟ الذي قال فيه محارب بن دثار: لو كان داود في الأمم الماضية لقص الله علينا من أخباره. وكان يقول بالليل: إلا هي همك عطل على الهموم الدنيوية، وحال بيني وبين الرقاد. وقالت له دايته: أما تشتهي الخبز؟ فقال: بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية. وقال له رجل: يا أبا سليمان، ألا تسرح لحيتك؟ قال: إني عنها مشغول. وأخباره في الزهد والعبادة عجيبة جداً. ولما مات دخل عليه ابن السماك الواعظ فقال داود:

سجنت نفسك قبل أن تسجن، وعذبت نفسك قبل أن تعذب، فاليوم ترى ثواب ما كنت له تعمل، وكسرت تحته سرابر من شدة ازدحام الخلق، وتبركهم بنعشه، كلما يعيدونه إلى موضعه. أم حبيب بن محمد العجمي الفارسي؟ الذي كان يرى بالبصرة يوم التروية، ويرى بعرفة عشية عرفة، وصدرت على يديه كرامات عجيبة، حتى جاء كتاب من الحق تعالى بتصديقه في شراء قصر في الجنة لبعض المحسنين.

قال أبو نعيم في (الحلية): ثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الجرجاني، ثنا الحسن ابن سفيان، ثنا غالب بن وزير الغزي،ثنا ضمرة، ثنا السري بن يحيى، قال: قدم رجل من أهل خراسان وقد باع ما كان له بها، وهم بسكنى البصرة ومعه عشرة آلاف درهم، فلما قدم البصرة، وهم بالخروج إلى مكة هو امرأته، سأل لمن يودع العشرة آلاف درهم؟ فقيل لحبيب أبي محمد، فأتاه فقال له: إني حاج وامرأتي، وهذه العشرة آلاف درهم أردت أن أشتري بها منزلاً بالبصرة، فإن وجدت منزلاً ويخف عليك أن تشتري لنا بها فافعل. وسار الرجل إلى مكة، فأصاب الناس بالبصرة مجاعة. فشاور حبيب أصحابه أن يشتري بالعشرة آلاف دقيقاً، ويتصدق به. فقالوا له: إنما وضعها لتشتري بها منزلاً. فقال: أتصدق بها وأشتري له بها منزلاً من ربي عز وجل في الجنة، فإن رضي وإلا دفعت إليه دراهمه. قال: فاشترى دقيقاً وخبزه وتصدق به. فلما قدم الخراساني من مكة أتى حبيباً فقال: يا أبا محمد أنا صاحب العشرة آلاف، فما أدري اشتريت لنا بها منزلاً أو تردها عليَّ؟ فأشتري أنا. فقال: لقد اشتريت لك فيه قصوراً وأشجاراً وثماراً وأنهاراً، فانصرف الخراساني إلى امرأته. فقال: أرى قد اشترى لنا أبو محمد حبيب منزلاً أراه كان لبعض الملوك. قد عظم أمره. وما فيه. قال: ثم أقمت يومين أو ثلاثة. فأتيت حبيباً فقلت له: يا أبا محمد المنزل. فقال: قد اشتريت لك من ربي منزلاً في الجنة بقصوره وأنهاره ووصفائه. فانصرف الرجل إلى امرأته. فقال لها: إن حبيباً إنما اشترى لنا من ربه المنزل في الجنة. فقالت: يا فلان أرجو أن يكون قد وفق الله حبيباً. وما قدر ما يكون لبثنا في الدنيا؟ فارجع إليه فليكتب لنا كتاباً بهذه المنزل. قال: فأتيت حبيباً. فقلت له: قبلنا ما اشتريت لنا، فاكتب لنا كتاب عهدة.

فقال: نعم. فدعا من يكتب له الكتاب، فكتب.

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما اشترى حبيب أبو محمد من ربه عز وجل لفلان الخراساني. اشترى له منزلاً في الجنة ووصفائه ووصيفاته بعشرة آلاف درهم. فعلى ربه تعالى أن يدفع هذا المنزل إلى فلان الخراساني، ويبرىء حبيباً من عهدته.

فأخذ الخراساني الكتاب، وانطلق إلى امرأته فدفعه إليها. فأقام الخراساني نحواً من أربعين يوماً، ثم حضرته الوفاة. فأوصى إلى امرأته إذا غسلتموني وكفنتموني فادفعي هذا الكتاب إليهم يجعلوه في أكفاني، ففعلوا ودفن الرجل، فوجدوا على ظهر قبره مكتوباً في رق كتاباً أسود في ضوء الرق ـ براءة لحبيب أبي محمد من المنزل الذي اشتراه لفلان الخراساني، بعشرة آلاف درهم، فقد دفع ربه إلى الخراساني ما شرط له حبيب، وأبرأه منه، فأتى حبيب بالكتاب فجعل يقرؤه ويقبله ويبكي، ويمشي إلى أصحابه ويقول: هذه براءتي من ربي عز وجل.

وتصدق حبيب في بداية إقباله على الله بأربعين ألفاً، في أربع دفعات، تصدق بعشرة آلاف في أول النهار، فقال: يا رب اشترت نفسي منك بهذا، ثم أتبعه بعشرة آلاف أخرى، فقال: يا رب هذه شكراً لما وفقتني له، ثم أخرج عشرة آلاف أخرى، فقال: ربي إن لم تقبل مني الأولى والثانية فاقبل هذه، ثم تصدق بعشرة آلاف أخرى، فقال: رب إن قبلت مني الثالثة فهذه شكراً لها. وقال ابن حبان: كان عابداً فاضلاً ورعاً تقياً من المجابي الدعوة.

فهذا بعض البعض من أحوال رجال خرقة الحسن البصري، وتراجمهم مطولة في (الحلية) لأبي نعيم، وغيرها من كتب الزهاد والصوفية، بل ومن كتب رجال الحديث. فإن هؤلاء كلهم من الرواة وكلهم ثقات على طريقة المحدثين، بخلاف سند خرقة عمر فإن راويها عن أويس مجهول لا يعرف ونكرة لا تتعرف، والحفاظ طعنوا فيها من جهته، ومن جهة بطلان ما قال، وعدم موافقته للتاريخ، بخلاف سند خرقة الحسن، فإنهم ما تكلموا فيها إلا من جهة الانقطاع بين الحسن وعليّ، ومع ذلك

فلم يتكلموا فيها بعلم، ولا دليل أصلاً، وإنما هو نقل مجرد، وتقليد لأول من غلط في ذلك كما سيأتي، ومن هنا تعرف مقدار أمانة ابن تيمية في النقل، وصدقه في الكلام على توهين الأخبار والآثار، وتتحقق بأنه يتكلم بهواه، غير مبال بمخالفته للواقع. ولا بكذبه الواضح البيت. نسأل الله العافية.

(الوجه الخامس) أن الخرقة المروية عن عمر رضي الله عنه من طريق أبي مسلم الخولاني باطلة بدون شك، بل هي مركبة مفتعلة، وأبو مسلم الخولاني قد قال ابن حبان: إنه أسلم في زمن معاوية، وعلى الصحيح من أنه أسلم قبل ذلك، فلم تصح له رواية، إلا عن أبي عبيدة ومعاذ بن جبل، وأما عمر فلم تصح له عنه رواية، وإن ذكر أنه روى عنه، ثم على فرض ثبوت ذلك، فهي رواية مجردة، ومطلق أخذ ولقاء، لا خصوص المعنى الذي يقصده الصوفية، لأمرين:

أحدهما: أن خرقة أبي مسلم الخولاني نادرة شاذة لا تكاد تذكر بين القوم، ولا يعرفها منهم أحد، وإنما ذكرها بعض أهل الفهارس والإثبات، تبعاً لقول ابن تيمية هذا. وأخذ من مجرد الاجتماع واللقاء. فذكرها من طريق إبراهم بن أدهم، عن مالك بن دينار، عن أبي مسلم الخولاني، عن عمر رضي الله عنه.

ثانيهما: أن أكثر الأولياء العارفين وأقطاب الأمة المحمدية إنما تخرجوا من طريق خرقة عليّ عليه السلام، ومن رواية الحسن البصري عنه، وصرحوا بأن علياً عليه السلام هو إمامهم ومرجعهم، لا عمر ولا أبو بكر رضي الله عنهما. وهذه الخرقة القادرية والرفاعية والبدوية والسهروردية والكبروية والجشتية والعلوية والشاذلية والخلوتية والمدينية والنقشبندية والمحمدية والقشيرية والهروية والغزالية والدسوقية والساحلية وغيرها، وفروع الجميع التي تزيد على المائة كلها تتصل بعلي عليه السلام، إما من طريق الحسن البصري، أو من طريق آل البيت عليهم السلام، وأين هي الخرقة المعروفة باتصال سندها إلى أبي مسلم الخولاني من هذه الطرق المذكورة؟ فإنه لا وجود لها بين أسانيدها أصلاً، وإنما يتصل بعضها بأبي بكر رضي الله عنه، على ما في

الطريق إليه من مقال وانقطاع، فمن عدم أمانة ابن تيمية أن يقلب الحقائق فيوهن ما هو ثابت، ويقوي ما هو ضعيف أو باطل.

فصل

وقول ابن تيمية: إن رواية معروف الكرخي عن علي بن موسى الرضي باطلة لم يذكرها المصنفون وخبار معروف بالإسناد الثابت المتصل كأبي نعيم وأبي الفرج ابن الجوزي في كتابه الذي صنفه في فضائل معروف.

جوابه إنه إذا لم يذكر ذلك أبو نعيم ولا أبو الفرج. فقد ذكره من هو أقدم منهما، وهو أبو عبد الرحمن السلمي، شيخ أبي نعيم وأبي القاسم القشيري عصري أبي نعيم، فقال في الرسالة: سمعت محمد بن الحسين يعني أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت علي بن محمد الدلال يقول: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبي يقول: رأيت معروفاً الكرخي في النوم بعد موته، فقلت له ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، فقلت: بزهدك وورعك؟ فقال: لا بقبولي موعظة ابن السماك، ولزوم الفقر، وصحبة الفقراء، وموعظة ابن السماك ما قاله معروف الكرخي كنت ماراً بالكوفة، فوقفت على رجل يقال له: ابن السماك وهو يعظ الناس، فقال في آخر كلامه: من أعرض عن الله بكليته، أعرض الله عنه جملة. ومن أقبل على الله بقلبه، أقبل الله برحمته إليه، وأقبل بجميع وجوه الخلق إليه، ومن كان مرة ومرة، فالله يرحمه وقتاً ما. فوقع كلامه من قلبي، فأقبلت على الله تعالى، وتركت جميع ما كنت عليه إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضي. وذكرت هذا الكلام لمولاي، فقال: يكفيك بهذا موعظة إن اتعظت.

أخبرني بهذه الحكاية محمد بن الحسين، قال: سمعت عبد الرحيم بن علي الحافظ ببغداد، يقول: سمعت محمد بن عمر بن الفضيل، يقول: سمعت علي بن عيسى يقول: سمعت سرياً السقطي، يقول: سمعت معروفاً يقول ذلك. اهـ.

فهذا سند متصل إلى معروف يثبت فيه أنه مولى لعلي بن موسى الرضي ورجاله، وإن كنت لم أعرف بعضهم، إلا أن هذه الحكاية بعيدة عن قصد الكذب، وليس فيها ما يحمل عليه، ولا ما يدعو إليه. ويؤيد صدقها ما اشتملت عليه من الحكمة مع تلك الرؤيا المطابقة للواقع، والمخبرة بقصة الاستماع إلى موعظة ابن السماك مع تباين مخرج سند الرؤيا، وسند الحكاية أما محمد بن عمر بن الفضل الجعفي المذكور في الميزان بأنه حدث عن أبي القاسم البغوي وقد اتهم بالكذب، وروى أيضاً عن أبي شعيب الحراني، وابن مسروق. روى عنه أبو نعيم الحافظ قال: ابن أبي الفوارس مات سنة إحدى وستين وثلاثمائة. قال: وكان كذاباً اهـ.

زاد الحافظ في اللسان، وقال أبو نعيم: كتبنا عنه من فروع خرجها وكان ذا حفظ ومعرفة هـ. . فهو غير المذكور في سند هذه الحكاية لأن الجعفي روى عنه أبو نعيم وكتب عنه الفروع، وهذا من شيوخ شيوخ أبي عبد الرحمن السلمي الذي هو أكبر من أبي نعيم ومن طبقة شيوخه، وقد مات قبله بثمان عشرة سنة. فإذا كان أبو عبد الرحمن السلمي يروي عن عبد الرحيم بن علي الحافظ عنه، وهو أكبر من أبي نعيم، فيكيف يروي عنه أبو نعيم بدون واسطة؟ وكذلك علي بن عيسى المذكور في هذا السند هو غير المذكورين في الميزان بهذا الاسم، فإنه لا يوافق أحد منهم طبقة هذا، بل هم إما متقدم عن طبقته، أو متأخر عنها؟ وقد أورد الحافظ محمد بن قاسم التركماني هذه الحكاية ثم قال: وهؤلاء الرواة كلهم ثقات من مشاهير الصوفية، كما يظهر من كتب السلمي، وأبي نعيم والقشيري وغيرهم، فأبو عبد الله محمد بن عمر بن الفضل الصوفي الراوي عن الصوفية، غير محمد بن عمر بن الفضل الجعفي المحدث عن أبي القاسم البغوي وأبي شعيب الحراني وابن مسروق الذي قال فيه ابن أبي الفوارس: إنه كان كذاباً. ولو فرض أنه عينه؟ فقول ابن أبي الفوارس مردود بقول من عاينه وعامله، فقد قال عنه أبو نعيم كتبنا عنه من فروع خرجها، وكان ذا حفظ ومعرفة، فقول ابن أبي الفوارس إذ لم يكن عن عصبية فهو محمول على تشديد في اللهجة، وعلي بن عيسى الصوفي صاحب السري السقطي المكثر عنه غير من ذكر في الميزان واللسان، لأن جلهم متقدمون ولم يذكر

أحد منهم بالرواية عن السري السقطي، ومن ثم تبعه عامة أهل المعرفة، منهم ابن خلكان وهلم جرا. إلى شارح الرسالة الزين زكرياء الأنصاري المحدث اهـ.

وقد قال أبو القاسم القشيري في أول ترجمة معروف، وهو من موالي علي بن موسى الرضي رضي الله عنه. مات سنة مائتين وقيل سنة إحدى ومائتين. ثم قال سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول: كان معروف الكرخي أبواه نصرانيين فسلموا معروفاً إلى مؤدبهم وهو صبي فكان المؤدب يقول له قل: ثالث ثلاثة، فيقول: بل هو واحد، فضربه المعلم يوماً ضرباً مبرحاً فهرب معروف فكان أبواه يقولان ليته يرجع إلينا على أي دين يشاء، فنوافقه عليه، ثم إنه أسلم على يد علي بن موسى الرضي، ورجع إلى منزله ودق الباب، فقيل: من بالباب؟ فقال: معروف، فقالوا: على أي دين جئت؟ فقال: على الدين الحنيفي فأسلم أبواه اهـ.

فهذا أيضاً مؤيد للحكاية السابقة من اتعاظ معروف بوعظ ابن السماك، وذكره ذلك لمولاه علي بن موسى الرضي عليه السلام، وهذه حكاية مشهورة متداولة بين أهل تلك العصور، لا سيما من طائفة الجنيد الذي هو تلميذ تلميذ معروف الكرخي، فهو بلا شك ممن أخذ عن الرضي وانتفع برؤيته وخدمته، رضي الله عنهم أجمعين.

فصل

وقول ابن تيمية، وأما الإسناد الآخر فيقولون: إن معروفاً صحب داود الطائي، وهذا أيضاً باطل. لا أصل له. وليس في أخباره المعروفة ما يذكر ذلك فيها.

جوابه: أن أبا القاسم القشيري قال في باب الصحبة من رسالته: وكان الأستاذ أبو علي يقول: أخذت هذه الطريقة عن النصراباذي، والنصراباذي عن الشبلي، عن الجنيد، عن السري، والسري عن معروف الكرخي، ومعروف عن داود الطائي اهـ. فهذا أصل أصيل، وإسناد صحيح متصل، ورجاله في أعلى درجات الثقة والعدالة، والصدق والأمانة، لا

سيما والصحبة في الطريق تثبت بين التلميذ والشيخ، وتحصل بها الفائدة، ولو بالاجتماع مرة واحدة، كما سبق، ويأتي.

وقال شيخ الإسلام الهروي في (الطبقات) كان معروف قد صحب داود الطائي.

ومثله في طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسن بن أبي يعلى بن الفرا، فإنه قال: ومعروف كان أستاذ سري السقطي، وصحب معروف داود الطائي اهـ.

وكل كتب هؤلاء قد رآها ابن تيمية وعرفها، لا سيما الهروي وابن الفرا فإنهما من أكابر أئمة وشيوخ مذهبه الذين يعتمد عليهم ابن تيمية في الفروع والأصول والاعتقادات، ويكثر النقل عنهم في كثير من كتبه، وهم أئمة حفاظ، لا سيما شيخ الإسلام الهروي، فلا يذكر إلا ما ثبت عنه، ويصح لديه، من طريق الرواية والإسناد، ولا يشكل على هذا كون معروف الكرخي أسلم على يد الرضي عليه السلام، والرضي وُلد سنة إحدى وخمسين ومائة. وقيل سنة ثلاث وخمسين، وداود الطائي مات سنة خمس وستين، فيما قاله ابن نمير، ورجحه الهروي، فيكون الرضي وقت وفاة داود الطائي ابن أربع عشرة سنة على أقصى ما قيل في وفاة الطائي، وولادة الرضي. فيلزم أن يكون الكرخي صغيراً أيضاً قد لا يهتدي للأخذ عن داود الطائي في ذلك السن، لأن تاريخ ولادة معروف الكرخي غير معروف أصلاً، وقد يكون أكبر من الرضي بعشر سنين أو أزيد فيكون سنه يوم وفاة الطائي أربعاً وعشرين سنة أو أكثر، وهو سن قد حصل الفتح دونه لقوم لا يحصون من أهل القرون المتأخرة، فضلاً عن السلف الصالح أهل خير القرون، بشهادة أفضل الرسل ﷺ، ولا سيما من مثل معروف الذي هو أحد أفراد تلك العصور، والذي أكرمه الله بالهداية والتوفيق من صغره، وسيأتي ذكر من ثبتت له الصحبة، وهو ابن خمس، أو سبع سنين، وصحت عنه الرواية، وثبتت بها الأحكام الشرعية، وكذلك من حصل له الفتح وصدر منه الكشف وهو دون البلوغ، فأين ذلك من سن معروف المذكور، فلا إشكال في أخذه عن داود. والله أعلم.

فصل

وعلى فرض صحة ما يزعمه ابن تيمية من انقطاع طريق معروف الكرخي من كلا الجهتين جهة علي الرضي، وجهة داود الطائي، مع أنه باطل بلا شك، فالخرقة لها طرق عن الحسن البصري لم يتعرض لها ابن تيمية، منها طريق عبد الواحد بن زيد الذي تتصل من جهته الخرقة الجشتية بالأخذ والتلقين والصحبة والاقتداء، وهو طريق متصل لا شبهة فيه، فإن معين الدين الجشتي، أخذ عن عثمان الهاروني، عن حاجي شريف الزندني، عن قطب الدين مودود بن يوسف ابن محمد بن سمعان الجشتي، عن والده يوسف بن محمد، عن خاله محمد بن أحمد أبدال، عن أحمد الجشتي، عن أبي إسحاق الجشتي، عن ممشاد الدينوري، عن أبي هبيرة البصري، عن حذيفة المرعشي، عن إبراهيم بن أدهم، عن فضيل بن عياض، عن عبد الواحد بن زيد، عن الحسن البصري، عن عليّ عليه السلام عن رسول الله ﷺ.

ومنها: طريق مالك بن دينار الذي تتصل من جهته طريقة ابن خفيف، عن جعفر الحذا، عن أبي عمرو الأصطخري، عن أبي تراب النخشبي، عن شقيق ابن إبراهيم البلخي، عن إبراهيم بن أدهم، عن مالك بن دينار، عن الحسن البصري، عن عليّ عن النبي ﷺ.

ومنها: طريق عامر بن شعيب الذي يتصل من جهته التلقين من طريق الجنيد عن الحارث بن أسد المحاسبي، عن بشر بن الحارث الحافي، عن عامر بن شعيب، عن الحسن البصري، عن عليّ عن النبي ﷺ.

ومنها: طريق هرم بن حيان ويونس بن عبيد، فإن أبا سعيد بن الأعرابي، أخذ عن مسلم بن عبد الله الخراساني، عن الفضيل بن عياض، عن هرم بن حيان، ويونس بن عبيد، عن الحسن.

ومنها: طريق فضال العجمي، وسيأتي في رواية الحسن البصري، عن الحسن والحسين عليهما السلام، فهذه طرق متعددة للصوفية رضي الله عنهم، تثبت الأخذ والصحبة والاقتداء والانتفاع المعروف عند المتأخرين بالخرقة،

من جهة الحسن البصري، عن عليّ عليه السلام، وتبطل الطعن في الخرقة العلوية من جهة الانقطاع في الطريق، قبل الوصول إلى الحسن البصري. أما ما يزعمونه من الانقطاع بين الحسن وعلي، فسيأتي إبطاله، مع ذكر الطرق الأخرى إلى عليّ عليه السلام، من غير طريق الحسن البصري والحمد لله.

فصل

وقول ابن تيمية، وفيها يعني الخرقة: أن الحسن صحب علياً، وهذا باطل باتفاق أهل المعرفة، فإنهم متفقون على أن الحسن لم يجتمع بعليّ، جوابه من وجوه:

(الوجه الأول): أن استناده إلى حكاية الاتفاق في مثل هذا، مع الإعراض عن الدليل وإقامة الحجة على عدم الاجتماع، فرار منه وتدليس، وتمويه وتلبيس، على طريقته المعروفة في أنقاله وردوده. بل في كل ما يكتبه في نصرة رأيه وهواه. فإنه لا يسلك سبيل الصدق والأمانة، ولا يترك التختل والتلبيس، لا سيما فيما يتعلق بآل البيت الأطهار، والصوفية الأخيار، وذلك لأنه يعلم علم يقين أن الحقائق التاريخية، والقواعد الأصولية، والحديثية، تثبت رواية الحسن عن عليّ، وتحكم لها بالصحة على شرط البخاري ومسلم، كما هو محكوم بذلك لرواية من كان سنه دون سن الحسن البصري، يوم خروج عليّ من المدينة، فضلاً عن الحسن، فلأجل ذلك يضرب صفحاً عن الدليل، ويعدل إلى حكاية الإتفاق لإرتياحه إليه، ووجود ما يبتغيه فيه دون الدليل، ولو كان الحال بالعكس، لذكر الدليل وأطال في بيانه وتقريره، وانتقد الاتفاق، وضرب به وجوه أصحابه، كما فعل في بعض المسائل الفروعية التي انعقد عليها الإجماع الذي يعدون مخالفه فاسقاً، وخارقه كافراً، أو قريباً من الكافر، ومع ذلك فلم يعبأ به، وخالفه عملاً بما ظهر له من الدليل، فضلاً عن مسألة سماع الحسن من عليّ، واجتماعه به، ولكن الرجل يدور مع أغراضه ويتقلب بحسب أهوائه، وبعد فالدليل القاطع يثبت سماع الحسن واجتماعه به، فليتفق بعد ذلك من شاء، أو ليختلف. فإن العبرة بالدليل، لا بالاتفاق، والحقائق لا يثبتها في ذاتها اتفاق، ولا ينفيها اختلاف.

(الوجه الثاني) أن حكاية الاتفاق على عدم الاجتماع كذب منه وافتراء، كسائر ما يحكيه من الاتفاقات، فسماع الحسن من عليّ واجتماعه به مختلف فيه بين المتقدمين والمتأخرين.

قال: ابن أبي حاتم في المراسيل في ترجمة سماع الحسن من عثمان: سئل أبو زرعة عن الحسن: لقي أحداً من البدريين؟ قال رآهم رؤية، رأى عثمان بن عفان وعلياً، قلت: سمع منهما حديثاً؟ قال: لا، وكان الحسن البصري يوم بويع لعلي رضي الله عنه ابن أربع عشرة ورأى علياً بالمدينة، ثم خرج عليّ إلى الكوفة ولم يلقه الحسن بعد ذلك، وقال الحسن رأيت الزبير يبايع علياً رضي الله عنه، ثم ترجم ابن حاتم لسماع الحسن من عليّ، وقال: حدثنا محمد بن أحمد بن البراء، قال: قال علي بن المديني: لم ير الحسن علياً إلا أن يكون رآه بالمدينة وهو غلام اهـ.

قال البخاري في التاريخ الصغير في ترجمة سليمان بن سالم القرشي أبي داود العطار، سمع علي بن زيد عن الحسن، قال: رأيت علياً والزبير التزما. ورأيت عثمان وعلياً التزما.

وقال ابن العربي في شرح الترمذي: قد أدرك الحسن علياً مسناً اهـ.

وذكر الذهبي في التذهيب: أنه رأى علياً وعثمان وطلحة.

وخرج الحافظ ضياء الدين المقدسي، في (المختارة) رواية الحسن عن علي مصححاً لها، ثم عقب ذلك بحكاية القول بعدم سماعه منه بصيغة التمريض، فقال: وقيل لم يسمع منه اهـ. وقد اعترف ابن تيمية وجماعة من الحفاظ كابن عبد الهادي والزركشي أن تصحيح الضياء في (المختارة) أعلى من تصحيح الحاكم.

وقال الحافظ شمس الدين بن الجزري في كتابه (أسنى المطالب بمناقب عليّ بن أبي طالب) بعد أن أسند الخرقة ما نصه: وأجمع مشايخ التصوف على أن الحسن البصري صحب عليّ بن أبي طالب، ولبس منه الخرقة، وسألت شيخنا الحافظ إسماعيل بن كثير، فقال: لا يبعد أنه أخذ عنه بلا واسطة، ولقيه له ممكن فإنه سمع عثمان بن عفان، قلت: على أنا

روينا عنه الحديث عن عليّ رضي الله عنه بلا واسطة، فذكر حديث (رفع القلم) من طريق أحمد ثم قال وقد تقدم في حديث المصافحة أنه صافح علي بن أبي طالب اهـ.

وقد قال في أول الكتاب المذكور: وبعد فهذه أحاديث مسندة مما تواتر وصح وحسن من أسنى مناقب أسد الله الغالب، مفرق الكتائب، ومظهر العجائب ليث بني غالب، أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب، عليه السلام، أردفتها بمسلسلات من حديثه، وبمتصلات من روايته وتحديثه، وبأعلى إسناد صحيح إليه، من القرآن والصحبة والخرقة التي اعتمد فيها أهل الولاية عليه، ثم قال في آخره: وأما لبس الخرقة واتصالها بأمير المؤمنين علي عليه السلام، فإني لبستها من يد جماعة ووصلت إلى منه من طرق، ثم ذكر سنده في الخرقة.

ولما نقل البرزلي في (جامع نوازله) كلام ابن تيمية في الخرقة. تعقبه بقوله: وما ذكره ليس بظاهر من وجوه.

الأول: أنهم حفظوا ومن حفظ حجة على من لم يحفظ، وزيادة العدل الصحيح قبولها.

الثاني: قوله إن معروفاً غير معلوم بصحبته داود الطائي وعلي الرضى، شهادة على النفي: ومن أثبت أولى ممن نفى.

الثالث: ما حكاه عن الحسن من عدم لقياه لعليّ، ليس كذلك، لأنه كان في زمن عليّ قريباً منه في المسافة بحيث يمكن أخذه عنه، لسنه وقربه، وهذا إذا روى رواية عنه قبلت، فإن ثبت لقياه عنه كما ذكر هؤلاء الشيوخ فقد ثبت شرط الأخذ عنه عند البخاري ومسلم، وإن لم يثبت لقياه وثبت كونهما في زمن واحد ثبت الإسناد عند مسلم دون البخاري اهـ.

وقال الحافظ السيوطي في (زاد المسير) الحفاظ مختلفون في سماع الحسن من عليّ فمنهم من لم يثبته كالبخاري ويحيى بن معين، ومنهم من أثبته، ورجحه الحافظ ضياء الدين المقدسي (في المختارة) وذكر الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب حديثاً من رواية الحسن عن علي عليه السلام بالسماع، ثم

قال: قال محمد بن الحسن الصريفيني شيخ شيوخنا: هذا نص صريح في سماع الحسن من عليّ ورجاله ثقات اهـ. قال الحافظ السيوطي: وقد ألفت بسبب ذلك جزء سميته (اتحاف الفرقة برفو الخرقة) اهـ.

قلت: قال في أوله أنكر جماعة من الحفاظ سماع الحسن البصري من علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وتمسك بهذا بعض المتأخرين فخدش به في طريق لبس الخرقة. وأثبته جماعة وهو الراجح عندي لوجوه، وقد رجحه أيضاً الحافظ ضياء الدين المقدسي في (المختارة) فإنه قال: قال الحسن بن أبي الحسن البصري عن علي وقيل لم يسمع منه، وتبعه على هذه العبارة الحافظ ابن حجر في (أطراف المختارة) اهـ.

ولما نقله الصفي القشاشي في (السمط المجيد) قال عقبة فإن قلت جميع ما ذكره في (الإتحاف) إنما ثبت اللقي والسماع، وأما لبس الخرقة وتلقين الذكر فلا، فأين الإتحاف قلت: قد ذكر في أول الكلام أن من خدش في لبس الخرقة من المتأخرين فتمسكه في ذلك عدم سماع الحسن من علي رضي الله عنه، بناء على إنكار جماعة من الحفاظ سماعه، ولم يقم دليلاً على نفي اللبس غير إنكار السماع، فإذا صح السماع. وثبت بأسانيد الأئمة المعتبرة في الكتب المعتمدة، كالإمام أحمد والترمذي والنسائي والحاكم والضياء المقدسي وأبي نعيم والدارقطني وأبي يعلى وغيرهم، لم يبق للخادش النافي متمسك في الخدش، ثم إن لبس الخرقة من طريق الحسن البصري قد رواه جماعة من أكابر أهل الله المرادون بالفرقة في لفظ الترجمة، ومن المعلوم أن فيهم من هو جامع بين الفقه والتصوف، وطرف صالح من الحديث، كالشيخ عبد الكريم بن هوازن القشيري، والشيخ عبد القاهر بن عبد الله السهروردي، وابن أخيه الشيخ شهاب الدين محمد بن محمد بن عبد الله السهروردي، صاحب (عوارف المعارف) فأما القشيري فقد قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في (تبيين كذب المفتري) أخبرنا الشيخان أبو الحسن علي بن أحمد بن منصور وأبو منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن قالا: قال لنا الشيخ أبو بكر أحمد بن علي الحافظ: عبد الكريم بن هوازن ابن عبد الملك بن طلحة بن محمد

أبو القاسم القشيري النيسابوري، سمع أحمد بن محمد بن عمر الخفاف، ومحمد بن أحمد بن عبدوس المزكي، وأبا نعيم عبد الملك وأبا الحسن الأسفراني وعبد الرحمن بن إبراهيم المزكي، ومحمد بن الحسن بن فورك، والحاكم أبا عبد الله بن البيع، ومحمد بن الحسن العلوي، وأبا عبد الرحمن السلمي، وقدم علينا في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، وحدث ببغداد، وكتبنا عنه، وكان ثقة وكان يعرف الأصول على مذهب الأشعري، والفروع على مذهب الشافعي.

ثم قال بعد نحو ورقة: ولقد عقد لنفسه مجلس الإملاء في الحديث سنة سبع وثلاثين وأربعمائة، وكان يملي إلى خمس وستين، يذنب أماليه بأبياته، وربما كان يتكلم على الأحاديث بإشاراته ولطائفه اهـ.

وقال التاج السبكي في (الطبقات الصغرى) في ترجمته: شيخ المشايخ أستاذ الجماعة، ومقدم الطائفة، أحد أحبار الأمة، وعلماء الملة، تفقه على أبي بكر الطوسي، وقرأ الأصول علي ابن فورك، والأستاذ أبي إسحاق إلى آخر ما قال رحمه الله.

وأما الشيخ عبد القاهر السهروردي، فقال التاج السبكي في (الطبقات الصغرى) في ترجمته: أحد أئمة الطريقة، ومشايخ الحقيقة، تفقه بنظامية بغداد على أسعد الميهني وكان من هداة الدين، وأئمة المؤمنين.

وأما ابن أخيه الشيخ شهاب الدين صاحب (عوارف المعارف) فيكفي ما في كتابه المذكور من الأحاديث المسندة عن عمه وغيره مما يشير إلى مشاركتهما في الحديث لا سيما نحو قوله حدثنا الشيخ أبو النجيب إملاء، وغير هؤلاء ممن هو مقبول ثقة عند الفريقين. فإذا انتفى سبب الخدش، وقد رواه من هو ثقة ومقبول، ظهر أن ما توهم انقطاعه موصول، وبذلك يحصل الإتحاف، وبالله التوفيق اهـ بتصرف.

قلت: ومن أكابر مشايخ الصوفية العارفين الذين أثبتوا سماع الحسن من علي، وأخذه الخرقة عنه، وهم من المحدثين الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي، والشيخ نجم الدين الكبرى، والغوث الجيلاني، وجماعة كلهم، قبل ابن تيمية.

وقال ابن حجر الهيثمي في (فهرسته) شنع كثير من الفقهاء والمحدثين على الصوفية رضوان الله عليهم أجمعين في إثباتهم في أسانيدهم بلبس الخرقة وتلقين الذكر وغيرهما سماع الحسن البصري من أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهذا الإنكار لا وجه له، وإنما كان يحسن إيراده أن لو كان أئمة الحديث متفقين على عدم سماعه منه وليس كذلك بل أئمة الحديث مختلفون في ذلك، فمنهم من أثبته، ومنهم من نفاه، لكن انتصر للمثبتين له جماعة من المتأخرين منهم شيخنا السيوطي، فذكر ملخص كلامه في رسالته (إتحاف الفرقة) ثم قال: وإذا تأملت هذا علمت أن ما عليه الصوفية في أسانيدهم التي تنتهي إلى الحسن البصري عن عليّ رضي الله عنه، لا مطعن ولا إنكار عليهم فيه، وأن ما هم عليه من سماع البصرى من عليّ بن أبي طالب، هو الحق الصريح الذي لا يجوز غيره، وأن من اعترض وأنكر عليهم، فاعتراضه وإنكاره زيف، ليس في محله، ولا ينظر إليه، ولا يعول عليه، قال: وقد سبق عن شيخنا زكرياء وغيره: أنهم من المنكرين لذلك أيضاً. فلا تغتر بذلك، وإن كثر المنكرون، وجلت مراتبهم، فإن الحق أحق أن يتبع، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، وكل يؤخذ من قوله ويرد عليه، إلا المعصومين عليهم السلام على أن هؤلاء المنكرين قد أول إنكارهم. وحمل على ما بعد خروج عليّ من المدينة، لأن الحسن لم يجتمع به بعد ذلك. وإذا كان المنكرون يقولون نحن مع قولنا بأن الحسن لم يسمع من عليّ، نروى سند لبس الخرقة وغيره عن الحسن عن عليّ، تبركاً بأولئك السادة الصوفية، رجاء الاندراج في لحظهم ومددهم، وعداد جماعتهم، فإذا كان هذا حال المنكرين، فما بالك أيها المطلع على الحق والصدق الذي لا شك فيه ولا مرية ولا شبهة، وهو صحة سماع الحسن من عليّ، وأن سند الصوفية من هذه الطرق التي تنتهي إلى الحسن عن عليّ كلها متصلة لا انقطاع فيها ولا إنكار على أهلها اهـ.

وقال العارف الشعراني في (قواعد الصوفية) وقد أنكر بعض المحدثين كون الحسن البصري تلقن لا إله إلا الله من علي بن أبي طالب رضي الله عنه لعزة ثبوت ذلك من طريقة مشهورة، بل أنكر بعضهم اجتماع الحسن البصري بعلي رضي الله عنه، فضلاً عن الأخذ للطريق، والحق أنه

اجتمع به، فلقنه الذكر، وألبسه الخرقة، فروى الحافظ ابن حجر وتلميذه جلال الدين السيوطي رحمهما الله تعالى وقال: إن سنده صحيح ورجاله ثقات إن الحسن البصري كان يقول سمعت علياً رضي الله عنه، يقول قال رسول الله ﷺ: «أمتي كالمطر لا يدري أوله خير أم آخره».

وروى عن الحسن البصري قال: سمعت علياً بالمدينة. وقد سمع صوتاً، فقال: ما هذا؟ فقالوا: قتل عثمان، فقال: اللهم اشهد أني لم أرض ولم أمالي. وفي مسند الحافظ بن مسدي عن الحسن قال: صافحت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، قال جلال الدين السيوطي رحمه الله: فقد ثبت عندي وعند جماعة من الحفاظ رواية الحسن البصري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، منهم الحافظ ضياء الدين رحمه الله (في الأحاديث المختارة) وكل ما فيها من الأحاديث صحيح، فعلم أن سند التلقين ولبس الخرقة كان السلف يتداولونها فيما بينهم من غير ثبوت من طريق المحدثين، إحساناً للظن بسلفهم حتى جاء الحافظ بن حجر والجلال السيوطي ومن وافقهما فصححوا سماع الحسن من عليّ وأوصلوا السند بهما اهـ.

وقال: البرهان إبراهيم الكوارني في (إنباه الأنباه) بعد سوقه سند التلقين ما نصه: ثم الراجح أن الحسن البصري سمع من عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فإن الحفاظ مختلفون في ذلك، فأنكره جماعة منهم، وأثبته جماعة.

قال الحافظ السيوطي في (إتحاف الفرقة) والإثبات هو الراجح عندي لوجوه، وقد رجحه أيضاً الضياء المقدسي (في المختارة) وتبعه الحافظ ابن حجر في (أطراف المختارة) ثم ساق الوجوه المرجحة لشعاعه، فمن شاء فليراجعها، في (فتاوى السيوطي) وفي (السمط المجيد لشيخنا نفع الله به، فإنه ساقها مع نصوص جماعات الصوفية، ومنهم الحفاظ، وإذا صح السماع واللقاء، وقد وصل سند تلقين الذكر من طريق الحسن جماعة كالحافظ أبي الفتوح الطاوسي، وصله من طريق شيخه الزين الخوافي، والمثبت مقدم على النافي، كان وصل سند الذكر هو الراجح، هذا بحسب

لسان فن الحديث وأهله، وأما أكابر أهل الطريق فهم على بينة من ربهم في النفي والإثبات، فإذا أثبتوا شيئاً وجزموا به، فهو موافق للواقع، وبالله التوفيق.

الوجه الثالث: أنه إذا بان بطلان ما ادعاه من الاتفاق على عدم اجتماع الحسن بعليّ رضي الله عنه، وثبت اختلاف أهل الحديث في ذلك بين مثبت وناف، فالمثبت مقدم على النافي، إذا استند إلى المشاهدة والعيان، فكيف والنافي في هذه المسألة لا دليل معه أصلاً، فضلاً عن المشاهدة والعيان، بل الدليل مع المثبت المقدم قوله على النافي.

قال ابن حجر الهيثمي في (فهرسته) بعد إيراد حديث أبي يعلى الآتي الذي قال فيه عقبة بن أبي الصهباء: سمعت الحسن يقول: سمعت علياً يقول: وبيان أن رجاله ثقات ما نصه: وإذا ثبت أن رجال هذا السند ثقات، وأن عقبة منهم، قال: سمعت الحسن يقول: سمعت علياً، لم يبقَ لمنكر سماعه منه متمسك، ولا دليل أصلاً، لأنه ثقة أثبت شيئاً وغيره نفاه، والمثبت مقدم على النافي، وإن قل المثبت وكثر النافي كما هو مقرر في الأصول، لأن المثبت معه زيادة علم، لا سيما وهو قد أسند علمه إلى سماعه، حيث قال: سمعت الحسن يقول: سمعت علياً. وإذا كان هذا أعني سماعه هو مستند علمه، وجب تقديم ما أثبته، وأخبر عنه، بهذه الطريق القوية، التي لا تحتمل شبهة، على من نفاه، لأنه إنما نفاه لمجرد قرينة قامت عنده، وهي تحتمل الصحة والفساد، بل صحة إثباته المذكورة عينت احتمال فساد تلك القرينة، فبطل الاحتجاج بها، هذا، وذلك الإثبات المذكور يكفي فيه ما ذكر من صحة طريق مثبته وكونه ثقة أسنده إلى أقوى أسباب العلم، وهو السماع، ومع ذلك فقد انضمت إليه قرائن كل منها يغلب على الظن أنه سمع منه، وبها يزداد تأيد إثبات السماع، ويجب ترجيحه. اهـ.

وقال العلامة المحدث فخر الدين النظامي في (فخر الحسن) لا شك أن من جرح بالإرسال وقدح في الاتصال، ثم لم يأت ببرهان قاطع في سببه، بل مبناه على العدم الأصلي فلا يقبل. لأن الاعتبار لمزيد العلم،

وهو الموجب لتقديم الجرح، وذلك[1] في الوصل اهـ.

الوجه الرابع: أن العبرة بالدليل، لا بالقول المجرد، سواء كان من المثبت أو من النافي ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ والدليل مع مثبت السماع والرؤية والاجتماع، فقوله هو المقبول بالإجماع.

الوجه الخامس: أن النافي الذي يمكن أن يكون نفيه صدر عن علم وشبهة دليل عنده. في هذه المسألة هو رجلان أو ثلاثة كيحيى بن معين، وبعض طبقته، والباقي ممن جاء بعده، إنما قال: ذلك عن تقليد، وعدم بحث ونظر في الدليل، وقول المقلدة لا عبرة به، وإن كثر عددهم، لأنهم بمنزلة العدم، إذ المقلد ينطق بما قال غيره، دون تمييز بين حقه وباطله، ولا فرق بين صوابه وخطئه، فالنفي راجع إلى قول شرذمة قليلة من الأقدمين الذين لم يعطوا للمسألة حظها من النظر، لعدم أهميتها عندهم، ولو عرضت عليهم أدلة سماع الحسن من علي، بل بعضها لما حصل منهم توقف في ذلك، لأنهم قائلون بها، بل متفقون عليها، فهم ملزمون من جهتها بإثبات سماع الحسن واجتماعه بعليّ عليه السلام، وأخذه عنه، وإلا كانوا متناقضين مخالفين لقواعد الرواية، وأصول الحديث، التي بها قد أثبتوا سماع قوم وصححوا أحاديثهم، وقبلوا روايتهم، والفرق بين المتماثلين باطل، فنفيهم سماع الحسن من علي باطل، وإذا كانت الأقوال المخرجة على أصول الأئمة في الفروع والأصول، تنسب إليهم وإن لم ينطقوا بها، فإثبات سماع الحسن من علي عليه السلام، يجب أن ينصب إلى جميع أئمة الحديث والأصول، وَيحكى عليه الاتفاق، دون اعتبار النافين، لمخالفة نفيهم للقواعد والأصول المتفق عليها، كما هي الطريقة في حكاية الإجماعات والاتفاقات في الفروع مع حكاية ضعف قول المخالفين.

الوجه السادس: وإذا علم أن العبرة بالدليل وذكرنا أنه مع المثبتين، فاعلم أن الحسن البصري ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة المنورة، فكان بها إلى أن بلغ من العمر أربع عشرة

---

(١) أي مزيد العلم في وصل سماع الحسن.

سنة ثم خرج إلى البصرة بعد قتل عثمان رضي الله عنه، وهذا لا خلاف فيه بين أهل الحديث المتقدمين والمتأخرين، كمحمد بن عمر الواقدي، وابن سعد، والبخاري، وعليّ بن المديني، وابن زرعة، وأبي حاتم، والترمذي، وابن حبان وآخرين، وذكره نقلاً عن هؤلاء وغيرهم ابن الأثير (في أسماء الرجال من جامع الأصول) والخطيب التبريزي في (رجال المشكاة) وعبد الغني في (الإكمال) والمزي في (التهذيب) والذهبي في (تذهيبه) وغيره، والحافظ في تهذيب التهذيب، وهو منقول عن الحسن البصري بالأسانيد الصحيحة.

قال البخاري في التاريخ: حدثنا الحميدي، ثنا سفيان، عن إسرائيل بن موسى، قال: سمعت الحسن يقول: ولدت لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وقال أنا يوم الدار ابن أربع عشرة سنة.

وقال ابن سعد (في الطبقات) قال: إسماعيل بن إبراهيم، هو ابن علية، عن موسى، عن الحسن، قال: قال لي الحجاج ما أمدك يا حسن؟ قال قلت سنتان من خلافة عمر، قال فقال: والله لعينك أكبر من أمدك.

ورواه أبو عبيد في كتابه (غريب الحديث) عن ابن علية أيضاً وفسر قوله ما أمدك بمنتهى العمر، قال: وإنما أراد المولد، ولم يرد بقوله سنتان مضتا، إنما أراد بقيتا، وقال: وقوله: والله لعينك، يقول: شاهدك ومنظرك، اهـ. بل نقل عن الحسن أيضاً أنه كان أيام خلافة عثمان ابن خمس عشرة سنة كما رواه ابن سعد عن أبي داود الطياسي عن خالد بن عبد الرحمن بن بكير، فقال: حدثنا الحسن، قال: رأيت عثمان يخطب وأنا ابن خمس عشرة سنة قائماً وقاعداً..

فصل

إذا ثبت هذا فعليّ عليه السلام كان طول هذه المدة بالمدينة المنورة لم يفارقها إلا بعد قتل عثمان رضي الله عنه بأربعة أشهر، كما ذكره القضاعي وغيره. لأن مقتل عثمان كان لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين كما ذكره ابن حبان في الثقات؛ وخروج عليّ عليه السلام كان في

آخر شهر ربيع الثاني سنة ست وثلاثين، كما رواه عمر بن شبة في (أخبار البصرة) بسند حسن عن عبد الرحمن بن أبي ليلى فصح يقيناً أنه كان مع عليّ في بلد واحد؛ إلى أن بلغ سنه الرابع عشرة، أو الخامس عشرة، ثم إنه ربى في بيت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، لأن والدته خيرة كانت مولاة لأم سلمة رضي الله عنها، ولذلك كان الحسن يدخل سائر بيوت أمهات المؤمنين رضي الله عنهن. كما قال ابن سعد في الطبقات. فأخبرنا مسلم بن إبراهيم حدثنا حريث بن السائب عن الحسن قال: كنت أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان فأتناول سقف البيت بيدي.

وقال البخاري في الأدب المفرد: أخبرنا عبد الله حدثنا حريث بن السائب به مثله، وعليّ عليه السلام كان يزور أمهات المؤمنين ويتردد إليهن في مصالحهن بوصاية من النبي ﷺ، لا سيما أم سلمة رضي الله عنها، فإنها كانت لها مزيد اتصال بعليّ وآل بيته الكرام، والحسن في بيتها مقيم مع والدته.

وفي مستدرك الحاكم عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: لما سار عليّ إلى البصرة دخل على أم سلمة يودعها، الحديث.

وأيضاً كان علي عليه السلام جاراً لأم سلمة وأزواج النبي ﷺ إذ بيته كان بلصق بيوتهن، وقد أدخل الجميع في الحرم النبوي بعد ذلك. ولا يزال موضع بيت فاطمة عليها السلام معروفاً من المسجد كمواضع بيوت أمهات المؤمنين.

وأيضاً فإن علياً عليه السلام كان يؤم الناس ويصلي بهم الجمعة والعيد أيام حصار عثمان، وهي نحو خمسين يوماً، والحسن إذ ذاك مراهق قد ناهز الاحتلام فهو ممن كان يلازم الصلاة خلفه، تلك المدة جزماً، لأن النبي ﷺ أمر الصحابة أن يأمروا الصبيان بالصلاة وهم أبناء سبع، ويضربوهم عليها وهم أبناء عشر، فكيف بابن أربع عشرة سنة، الذي ربى في بيت النبوة وحجر أم سلمة رضي الله عنها، وبيتها إذ ذاك بلصق المسجد، وبابه مفتوح إليه، وهم لا يعرفون التخلف عن الجماعة، ولا الصلاة إلا في مسجد النبي ﷺ، على أنه ورد ذلك عن الحسن صريحاً كما

سيأتي، فكيف ترد مع هذه القرائن القائمة مقام النص القاطع رواية من روى عن الحسن عن عليّ بالإرسال والانقطاع؟ ويقبل قول من نفي السماع؟ فضلاً عن الرؤية والاجتماع؟

الوجه السابع: أنه نقل عنه رؤية عثمان وسماع خطبته. والرواية عنه، وقد استشهد قبل مفارقة عليّ المدينة بمدة، ولم يكن له من المجاورة والاتصال بأم سلمة رضي الله عنها ما كان لعلي عليه السلام، فكيف لا يثبت اجتماعه بعلي، وأخذه عنه؟

قال عبد الله بن أحمد في زوائد مسند أبيه: حدثني زياد بن أيوب، حدثنا هشيم، قال: زعم أبو المقدام عن الحسن بن أبي الحسن، قال: دخلت المسجد فإذا أنا بعثمان بن عفان متكيء على ردائه، فأتاه سقاءان يختصمان إليه، فقضى بينهما ثم أتيته فنظرت إليه، فإذا رجل حسن الوجه، بوجنته نكتات جدري، وإذا شعره قد كسا ذراعيه.

وقال الطبراني (في الكبير) حدثنا أبو يزيد القراطيسي، ثنا أسد بن موسى، ثنا المبارك بن فضالة، قال: سمعت الحسن يقول: أدركت عثمان، وأنا يومئذ قد راهقت الحلم، فسمعته يخطب وشهدته يقول: ما تنقمون عليَّ؟ قال: وما من يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيراً كثيراً. يقول: يا معشر الناس، أغدوا على أعطياتكم، فيغدون فيأخذونها وافرة، ثم يقول: يا معشر المسلمين أغدوا على كسوتكم، فيجاء بالحلل فتقسم بينهم.

وقال: أنا الثقة عن يونس عن الحسن قال سمعت عثمان يخطب وهو يأمر بذبح الحمام، وقتل الكلاب.

وقال البخاري في الأدب المفرد: حدثنا موسى بن إسماعيل، قال حدثنا مبارك يعني ابن فضالة، عن الحسن، قال: سمعت عثمان يأمر في خطبته بقتل الكلاب وذبح الحمام.

وقال الدولابي في الكنى: حدثنا إسحاق بن سيار النصيبي، ثنا أبو قرة عبد المجيد بن أيوب الواشجي، ثنا عقبة الأصم الرفاعي، قال: سمعت الحسن بن أبي الحسن يقول: ولدت لسنتين بقيتا من خلافة عمر،

وقرأت القرآن في خلافة عثمان، ورأيت عثمان يخطب على المنبر، وعليه قميص لين، يقعد أحياناً ويقوم أحياناً، يأمر بقتل الحمام الطيارة والكلاب، وينهى عن المثلة.

وفي (التمهيد) لابن عبد البر عن الحسن قال: سمعت عثمان غير مرة يقول في خطبته: أقتلوا الكلاب واذبحوا الحمام.

وقال ابن جرير: حدثني المثنى، ثنا إسحاق بن الحجاج، ثني إسحاق بن إسماعيل، عن سليمان بن أرقم، عن الحسن. قال: رأيت عثمان بن عفان على منبر رسول الله ﷺ، عليه قميص فوهى، محلول الزر، وسمعته يأمر بقتل الكلاب وينهى عن اللعب بالحمام، ثم قال: «يا أيها الناس اتقوا الله في هذه السرائر»، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والذي نفس محمد بيده ما أسر أحد سريرة إلا ألبسه الله رداءها علانية، إن خيراً فخير وإن شراً فشر» ثم قرأ هذه الآية ﴿وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ قال: السمت الحسن[1].

وقال ابن أبي شيبة في (المصنف) ثنا ابن علية، عن شعيب بن الحجاب عن الحسن، قال: رأيت عثمان يُصَب عليه من إبريق.

وقال أحمد في الزهد: حدثنا إسحاق بن سليمان، ثنا أبو جعفر، عن يونس، عن الحسن، قال: رأيت عثمان قائماً في المسجد في ملحفة، ليس حوله أحد، وهو أمير المؤمنين.

ورواه أحمد أيضاً وأبو نعيم في (الحلية) والبيهقي في (السنة) من طريق عبد الله بن عيسى أبي خلف الخزاز، عن يونس بن عبيد: أن الحسن سئل عن القائلة في المسجد، فقال: رأيت عثمان بن عفان وهو يومئذ خليفة، يقيل في المسجد وأثر الحصا بجنبه، فيقول الناس: هذا أمير المؤمنين هذا أمير المؤمنين. فإذا ثبت سماع الحسن من عثمان الذي هو أقدم موتاً من عليّ، فسماعه من عليّ أولى بالثبوت.

---

(١) أي لباس التقوى هو السمت الحسن.

فإن قلت: المطالب النقلية لا يكتفى فيها بالإمكان؟ بل لا بد من الوقوع، والوقوع لا يثبت بالقياس، بل لا بد من النقل، لأن الراوي قد يتهيأ له السماع والرواية من شيخ، ولا يتهيأ له ذلك من قرينه ومن في طبقته، لأسباب وموانع.

قلت: الجواب عن هذا في الوجه الذي بعده.

الوجه الثامن: أن الحسن روى عن علي عليه السلام عدة أحاديث، أسندها من جهته جماعة من الرواة، كما أسند الصوفية من جهته الخرقة والتلقين والصحبة والاقتداء، والأصل في رواية العدل الثقة: الاتصال، وعدم الانقطاع، حتى يقوم الدليل على الإرسال، وعدم الاتصال، والدليل قائم ينفي الانقطاع، شاهد بثبوت الاتصال، فالأحاديث المذكورة كلها متصلة غير منقطعة والذي أمكن الوقوف عليها منها عشرة أحاديث[1].

الحديث الأول: قال الإمام أحمد في المسند: حدثنا هشيم. قال: أخبرنا يونس، عن الحسن، عن علي. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «رفع القلم عن ثلاثة: عن الصغير حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستقيظ، وعن المصاب حتى يكشف عنه».

ورواه عن الحسن أيضاً قتادة. قال أحمد: حدثني بهز، وحدثنا عفان، قالا: حدثنا همام، عن قتادة، عن الحسن، عن علي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستقيظ، وعن المعتوه ـ أو قال ـ المجنون حتى يعقل، وعن الصغير حتى يشب».

وقال الترمذي: حدثنا محمد بن يحيى القطعي، حدثنا بشر بن عمر، ثنا همام، عن قتادة، عن الحسن به.

وقال الحاكم في المستدرك أخبرنا أبو بكر بن إسحاق، أنا علي بن عبد العزيز، ثنا همام به، كذا وقع في النسخة المطبوعة وفيه انقطاع.

---

(١) بقي حديث حادي عشر، ذكره الحافظ في تهذيب التهذيب عن الحسن عن علي عليه السلام في أن أولاد الزنا يعتقون. يعني إذا كان أحدهم رقيقاً صح عتقه في كفارة ونحوها.

الحديث الثاني: قال النسائي (في الكبرى) حدثنا الحسن بن أحمد بن حبيب، ثنا شاذ بن فياض، عن عمر بن إبراهيم، عن الحسن عن علي: أن رسول الله ﷺ قال: «أفطر الحاجم والمحجوم».

وقال عبد الرزاق في مصنفه عن معمر، عن قتادة، عن الحسن، عن علي عليه السلام به، وهو حديث متواتر، روى عن النبي ﷺ، من طرق متعددة.

الحديث الثالث: قال الطحاوي في (معاني الأثار) حدثنا ابن مرزوق، قال: حدثنا عمرو بن أبي رزين، قال: حدثنا هشام بن حسان، عن الحسن، عن خمسة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وعمران بن حصين ورجل آخر: أنهم كانوا لا يرون في مس الذكر وضوءاً.

الحديث الرابع: قال الطحاوي أيضاً: حدثنا أحمد بن داود، قال: حدثنا أبو عمر الحوضي، قال: حدثنا حمام عن قتادة، عن الحسن، وخلاس بن عمرو أن علياً قال: في الرهن يترادان الزيادة والنقصان جميعاً، فإن أصابته جائحة برىء.

(تنبيه) أورد الحافظ السيوي في (إتحاف الفرقة) هذا الأثر فوقع له فيه وهم، فإنه قال: قال الطحاوي: حدثنا نصر بن مرزوق، حدثنا الخطيب ثنا حماد بن سلمة، عن قتادة، عن الحسن، عن علي، قال: قال رسول الله ﷺ إذا كان في الرهن فضل ـ فأصابته جائحة فهو بما فيه» اهـ والموجود في (معاني الآثار) حدثنا نصر ثنا الخصيب، ثنا حماد بن سلمة، عن قتادة، عن خلاس، هو ابن عمرو، أن علياً قال: إذا كان في الرهن فضل فأصابته جائحة، فهو بما فيه، وإن لم تصبه جائحة واتهم فإنه يرد الفضل. حدثنا أحمد بن داود، قال: حدثنا أبو عمر الحوضي، إلى آخر الأثر الذي أوردناه فانتقل بصره من السند الذي أراده، إلى المتن الذي قبله، فظن أنه مرفوع، وهو موقوف.

الحديث الخامس: قال الدارقطني في سننه: حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال حدثنا داود بن رشيد، حدثنا أبو حفص الأبار، عن

عطاء بن السائب عن الحسن، عن عليّ عليه السلام، قال: في الخلية والبرية والبتة والبائن والحرام ـ ثلاث، لا تحل حتى تنكح زوجاً غيره.

ورواه ابن أبي شيبة في (مصنفه) مفرقاً في خمسة أبواب بسند واحد، فقال: حدثنا ابن فضيل، عن عطاء بن السائب عن الحسن به.

الحديث السادس: قال الدارقطني (في السنن) أيضاً: حدثنا أحمد بن محمد ابن عبد الله بن زياد القطان، حدثنا الحسن بن علي بن شبيب المعمري، قال: سمعت محمد بن صدران السلمي، يقول: حدثنا عبد الله بن ميمون المرائي، حدثنا عوف، عن الحسن أو خلاس، عن علي رضي الله عنه شك ابن ميمون أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: «يا علي قد جعلت إليك هذه السبقة بين الناس» فخرج علي رضي الله عنه، فدعا سراقة بن مالك، فقال: يا سراقة الحديث.

وهكذا رواه البيهقي أيضاً فقال: أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، أنبأنا أبو سهل بن زياد القطان، ثنا الحسن بن علي بن شبيب المعمري به مثله، بالشك فيه عن الحسن أو خلاس، ونقله الحافظ السيوطي في (الإتحاف) من سنن الدارقطني فأورده عن الحسن وحده، جازماً به فلعله تصرف منه.

الحديث السابع: قال الخطيب في التاريخ، أخبرنا الحسن بن أبي بكر، أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القطان، حدثنا محمد بن غالب، ثنا يحيى بن عمران، في شارع دار الرقيق، حدثنا سليمان بن أرقم، عن الحسن، عن عليّ، قال: كفنت النبي صلى الله عليه وآله في قميص أبيض، وثوبي حبره، سليمان بن أرقم ضعيف، لكن قال بعض الحفاظ: إنه توبع عليه.

الحديث الثامن: قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أبو يحيى الرازي، ثنا هناد، ثنا ابن فضيل، عن ليث عن الحسن، عن عليّ رضي الله عنه. قال: طوبى لكل عبد نؤمة، عرف الناس، ولم يعرفه الناس. عرفه الله تعالى برضوانه، أولئك مصابيح الدجى. يكشف الله

تعالى عنهم كل فتنة مظلمة. ويدخلهم الله تعالى في رحمة منه. ليس أولئك بالمذابيع البذر ولا الجفاة المرائين..

الحديث التاسع: قال الدارقطني: حدثنا علي بن عبد الله بن مبشر، حدثنا أحمد بن سنان، ثنا يزيد بن هارون. أنا حميد الطويل عن الحسن، قال: قال علي: إن وسع الله عليكم فاجعلوه صاعاً من بر وغيره. يعني زكاة الفطر.

الحديث العاشر: قال ابن جرير في التفسير: حدثنا المثنى، قال: حدثنا الحجاج بن المنهال، ثنا سفيان بن عيينة عن إسرائيل، عن أبي موسى، سمع الحسن البصري، يقول: قال عليّ فينا والله أهل بدر نزلت الآية ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

وستأتي أحاديث أخرى في الوجه الذي بعده.

وذكر الحافظ السيوطي حديثاً من كتاب (العروس) لجعفر بن محمد الحسيني أعرضنا عن ذكره لكونه متكلماً فيه، بل الحافظ السيوطي نفسه أورده في ذيل الموضوعات.

فصل

فهذه الأحاديث محكوم باتصالها على قواعد أهل الحديث المتفق عليها، بل على شرط البخاري ومسلم في الاتصال كما سيأتي بيان شروطهما، فالخرقة مثلها.

فإن قيل: إن الحسن البصري وإن كان إماماً ثقة، لكنه مدلس، وعنعنة المدلس لا تقبل، ولا يثبت بها الاتصال، والأحاديث السابقة كلها معنعنة، فلا يثبت بها المطلوب.

قلنا: الجواب عن هذا هو:

الوجه التاسع: وهو أن الحسن قد ثبت عنه بالأحاديث الصحيحة: أنه رأى عليًّا، وسمع منه، وجالسه في حلقته، وصلى خلفه مدة طويلة،

بألفاظ لا تحتمل التدليس، ولا تقبل التأويل، وهي كافية في إبطال قول كل منكر، وناف للرؤية والسماع.

أما الرؤية: فقال البخاري في التاريخ الصغير في ترجمة سليمان بن سالم القرشي أبي داود العطار: سمع علي بن زيد من الحسن قال: رأيت عليًا والزبير التزما ورأيت عليًا وعثمان التزما.

وقال ابن أبي حاتم في المراسيل: سئل أبو زرعة عن الحسن: لقي أحداً من البدريين؟ قال: رآهم رؤية. رأى عثمان بن عفان وعليًا، قال: وقال الحسن: رأيت الزبير يبايع عليًا رضي الله عنهما.

فصل

وأما السماع: فقال أبو يعلى في (مسنده) حدثنا حوثرة[1] بن أشرس، قال: أنا عقبة بن أبي الصهباء الباهلي، قال: سمعت الحسن يقول: سمعت عليًا عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره» أورده الحافظ في تهذيب التهذيب، ثم قال: قال محمد بن الحسن الصيريفيني شيخ شيوخنا: هذا نص صريح في سماع الحسن من عليّ عليه السلام، ورجاله ثقات، حوثرة وثقه ابن حبان، وعقبة، وثقه أحمد، وابن معين اهـ.

وقال الحافظ التركماني بعد نقل عبارة ابن حبان في توثيق حوثرة، مع أنقاله عن أحمد وابن معين وغيره في توثيق عقبة ما نص: فالحديث مسلسلة بأئمة أهل البصرة، ولعمري ما للمنكرين من جواب عن هذه الرواية السالبة عنهم الدراية في الباب اهـ.

حديث آخر: قال الحافظ جمال محمد بن يوسف بن مسدي المتوفى شهيداً بمكة سنة ثلاث وستين وستمائة في مسلسلاته: صافحت أبا عبد الله محمد بن عبد الله ابن عيسوى النغزاوي بها، قال صافحت أبا الحسن علي

---

(١) وقع هذا الاسم في بعض النسخ من زاد المسير، بلفظ: جويرية، وهو تصحيف من بعض النساخ.

ابن سيف الحضرمي بالإسكندرية[1] ح، وصافحت أيضاً أبا القاسم عبد الرحمن بن أبي الفضل المالكي بالإسكندرية، قال صافحت شبل بن أحمد ابن شبل قدم علينا، قال كل واحد منهما: صافحت أبا محمد عبد الله بن مقبل بن محمد العجيبي، قال صافحت محمد بن الفرج بن الحجاج السكسكي، قال: صافحت أبا مروان عبد الملك بن أبي ميسرة، قال: صافحت أحمد بن محمد الثغري بها، قال: صافحت أحمد بن الأسود، قال: صافحت ممشاد الدينوري، قال: صافحت علي بن رزين الخراساني، قال: صافحت عيسى القصار، قال صافحت الحسن البصري، قال: صافحت عليّ بن أبي طالب، قال صافحت رسول الله ﷺ، قال: صافحت جبريل عليه السلام قال صافحت كفي هذه سرادقات عرش ربي عز وجل. قال ابن مسدي: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وهذا إسناد صوفي اهـ.

قال الحافظ التركماني أحمد الأسود ومن فوقه إلى الحسن مشاهير أئمة الصوفية، ومن دونه ليس فيهم من يصلح لأن يتهم بكذب بل ولا يضعف اهـ. كذا قال؟ آخذاً من عدم ذكرهم في كتب الضعفاء كالميزان ولسانه، ثم للحديث طريق آخر.

قال الحافظ شمس الدين بن الجزري في (أسنى المطالب): صافحت الشيخ الإمام العالم الزاهد أبا محمد محمد بن محمد بن محمد بن محمد النسائي الجمالي رحمه الله. وهو صافح الشيخ الإمام المحدث محمد بن مسعود الكازروني، قال: صافحت أبا الخير محمد بن علي بن محمد الأصبهاني الموازيني، قال: صافحت علي بن محمد بن عبد الصمد الدوني، قال: صافحت الشيخ أبا الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن

---

(١) يرمز المحدثون بلفظ ح إلى تحويل السند من شيخ إلى شيخ، لتقوية السند بتعدد طرقه، وقوله بعد: قال كل واحد منهما، يعني أبا الحسن علي بن يوسف الحضرمي، وشبل بن أحمد بن شبل. ونحن نتصل بهذا السند من طريق شيخنا أبي النصر القاوقجي رحمه الله عن والده أبي المحاسن القاوقجي الشاذلي صاحب المؤلفات الكثيرة، المتوفى سنة ١٣٠٥ هجرية، وهو من جملة ثمانين مسلسلاً رويناها من هذا الطريق، كما رويناها من طرق أخرى والحمد لله رب العالمين.

الصغافي، قال: صافحت أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن محمد القرظي، بمدينة عدن، قال: صافحت والدي بعدن، قال: صافحت علي بن أبي بكر بن حمير بن تبع بالمسجد السعيدي في عدن، قال: صافحت سالم بن عبد الله بن محمد بن سالم الإمام، قال: صافحت أحمد بن عبد الله الثغري، قال: صافحت أحمد الأسود بسنده السابق.

فصل

وأما المجالسة، فقال الدولابي في الكنى: أخبرني أحمد بن شعيب النسائي، قال: أنبأنا علي بن حجر، قال: حدثنا حكام بن أسلم، عن أبي حمزة عبد الله بن جابر، عن الحسن، قال: إني لفي حلقة عليّ إذ جاءت الصيحة من دار عثمان فرأيته رافعاً يديه إلى السماء وهو يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان. قال لاحافظ التركماني: رواته كلهم ثقات، فذكر توثيق جميعهم، ثم قال: ومن أعجب كرامة الحسن على ربه، أن رواة هذا الأثر كرواة خبر مثل أمتي المصرح فيه بالسماع، لم يتكلم في سند واحد منهما أحد من الحفاظ اهـ.

قلت: وله مع ذلك طريق آخر، قال: اللألكائي في (السنة) أخبرنا أحمد ابن محمد الفقيه، أنا محمد بن أحمد بن حمدان، ثنا تميم بن محمد، ثنا نصر بن علي، ثنا محمد بن سواء، ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن عامر الأحول، عن الحسن، قال شهدت عليًا بالمدينة وسمع صوتاً، فقال: ما هذا؟ قالوا: قتل عثمان، قال: اللهم أشهد أني لم أرضى ولم أماليء، مرتين أو ثلاثاً.

فصل

وأما الصلاة خلفه، فقال البيهقي في (السنن الكبرى) أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر بن الحسن القاضي، قالا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا العباس الدوري، ثنا الحسن بن بشر، ثنا الحكم بن عبد الملك، عن قتادة، عن الحسن، قال: أمنا عليّ بن أبي طالب في زمن

عثمان رضي الله عنه عشرين ليلة، ثم احتبس، فقال بعضهم: قد تفرغ لنفسه، ثم أمهم أبو حليمة معاذ القاري، فكان يقنت، وتكلم فيه المارديني في (الجوهر النقي) لأنه مما احتج به البيهقي على مخالفة مذهب أبي حنيفة، وترجم للباب الذي أورده فيها، من قال: «لا يقنت في الوتر إلا في النصف الأخير من رمضان» فقال الحكم: هذا ليس بثقة، وليس بشيء، وقال أبو حاتم مضطرب، وقال أبو داود: منكر الحديث، وقتادة مدلس، وقد عنعن. والحسن لم يصح لقاؤه لعليّ اهـ.

قلت: أما كونه لم يلق عليًّا، فقول باطل، لا شبهة فيه، وهو ناشىء عن تقليد وجهل بما أوردناه، وأما التعلق بتدليس قتادة، فأبطل وأبطل، فإن طول ملازمة قتادة للحسن وروايته عنه لا تحتاج إلى تحرز من تدليسه، ثم إن أحاديث قتادة بأسرها لا فرق فيها بين المخرج منها في الصحيحين وغيرهما كلها بالعنعنة كسائر أحاديث تلك الطبقة، فينتج منه أنه لا يوجد في الدنيا حديث صحيح من رواية قتادة البتة، وأما الحكم فقد وثقه العجلي مع تعنته في الرجال، وروى عنه كثير من الحفاظ، واعتبروا حديثه، واحتج به البخاري في الأدب المفرد وغيره، بل صحح له الترمذي، مع أن من يتكلم فيه إنما يصفه بالانفراد: بما لا يتابع عليه، وهذا من أوهام الجارحين وتعنتهم، وأي ضرر على الحافظ في الانفراد؟ لا سيما مع التوسع والإكثار، وقد سكت البيهقي عن الحديث المذكور، وذكره في كتابه (المعرفة) بصيغة الجزم محتجاً به، فهو ثابت صحيح، لا سيما مع شواهده الصحيحة، ووجود البراهين القاطعة على اجتماع الحسن بعليّ عليه السلام.

الوجه العاشر: أنه ورد عن الحسن البصري أيضاً التصريح بالإكثار من الرواية عن عليّ، والسماع منه، وأن جل مراسيله سمعها من عليّ عليه السلام.

قال الحافظ المزي في (التهذيب): أخبرنا أبو إسحاق بن الدراجي، عن أبي جعفر الصيدلاني إذناً، قال: أخبرنا أبو علي الحداد، قال: أخبرنا أبو نعيم، حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا الأطروش، حدثنا أبو حنيفة محمد بن حنيفة الواسطي، ثنا محمد بن موسى الحرشي، ثنا ثمامة بن عبيدة، قال: حدثنا عطية بن محارب، عن

يونس بن عبيد، قال: سألت الحسن قلت: يا أبا سعيد إنك تقول: قال رسول الله ﷺ، وإنك لم تدركه، قال ابن أخي إنك سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك، ولولا منزلتك مني ما أخبرتك، إني في زمان كما ترى، وكان في عمل الحجاج، كل شيء سمعتني أقول: قال رسول الله ﷺ فهو عن علي بن أبي طالب غير أني في زمان لا أستطيع أن أذكر عليًا.

الوجه الحادي عشر: أن الحسن سئل عن عليّ، فأجاب السائل بقوله: كان عليّ والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوه، ورباني هذه الأمة، وذا فضلها، وذا سابقتها، وذا قرابتها، من رسول الله ﷺ لم يكن بالنؤمة عن أمر الله، ولا بالملومة في دين الله، ولا بالسروقة لمال الله، أعطى القرآن عزائمه، ففاز منه برياض مونقة، ذلك عليّ بن أبي طالب يا لكع. ذكره ابن عبد البر في (الاستيعاب). فقد أجاب عنه جواب من عرف أحواله، وشاهد سيرته، ثم إن السائل لم يسأله عنه، حتى كان مشهوراً عندهم أنه رأى علياً. وخالطه، فلذلك سأله عنه.

الوجه الثاني عشر: أن الحسن ثقة باتفاق الأمة، وإجماع الأئمة[1] وقد روى عن عليّ عليه السلام تارة بالعنعنة، وأخرى بالسماع، وصرح مع ذلك بأنه رأى علياً، وجالسه، وصلى خلفه، وشهد له التاريخ، وصدقه العيان، في كونه كان معه في بلد واحد، بل جاراً له، إلى أن بلغ سنه الرابع عشرة، ولم يرد عنه تكذيب لذلك، ولا رجوع عنه، فكيف يشك مع هذا في لقائه وصحة روايته عنه؟ إذا صح السند إليه بذلك؟ وسند الخرقة والصحبة رجاله في أعلى درجة الثقة والعدالة والصدق والأمانة، فسند الخرقة والصحبة صحيح، متصل لا شك فيه، ولا شبهة.

فإن قيل: سلمنا الرؤية واللقاء والمجالسة والاجتماع، ولكن الحسن كان صغير السن لا تتهيأ له الرواية والسماع، وحفظ الأحاديث والأخبار قلنا: جوابه.

---

(١) وقد ذكره الذهبي في الميزان، استطراداً، في ترجمة مشابهة له في اسمه، وهو الحسن بن أبي الحسن المؤذن البغدادي الضعيف، وصرح بإمامته قال: إلا أنه كثير التدليس، فإذا قال: حدثنا فهو ثقة بلا نزاع.

الوجه الثالث عشر: وهو أن سماع من سنه أربع عشرة سنة أو خمس عشرة كما كان سن الحسن يوم خروج عليّ من المدينة، من أعلى ما يطلب في سن بداية السماع وكتابة الحديث في العصور المتأخرة، فضلاً عن عصر الصحابة والتابعين.

قال يحيى بن معين: حد الغلام في كتابه الحديث أربع عشرة سنة.

وقال أبو نعيم الفضل بن دكين: سمعت الحديث وأنا ابن أربع عشرة سنة، بل جمهور العلماء على أن السماع يصح ممن هو دون السن المذكور، وهو الصحيح من مذاهب أهل الحديث والأصول، لأن كثيراً من الصحابة حفظوا عن رسول الله ﷺ ورووا الأحاديث الكثيرة عنه، وهم لم يبلغوا السن المذكور، بل منهم من لم يقاربه. فقد روى سهل بن سعد الساعدي عن النبي ﷺ أزيد من مائة وثمانين حديثاً، وكان سنه يوم انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى خمس عشرة سنة.

وروى الحسن بن عليّ عليه السلام عن النبي ﷺ أربعة عشر حديثاً، وكان سنه يوم انتقال النبي ﷺ عشر سنين أو دونها.

وروى أخوه الحسين الشهيد عليه السلام، عشرة أحاديث أيضاً أو نحوها، وهو أصغر من أخيه الحسن.

وروى عبد الله بن الزبير عن انبي ﷺ أزيد من ثلاثين حديثاً، وكان سنه يوم انتقال النبي ﷺ تسع سنين.

وروى النعمان بن بشير عن النبي ﷺ أزيد من مائة وعشرين حديثاً، وإن لم يصرح بالسماع منها إلا في العدد اليسير، وكان سنه يوم انتقال النبي ﷺ تسع سنين أو عشراً، لأنه أكبر من ابن الزبير بستة أشهر.

وروى أبو الطفيل عن النبي ﷺ نحو عشرة أحاديث، وأدرك من حياة النبي ﷺ نحو عشرة أعوام أو أقل[1].

---

(١) وهو آخر الصحابة موتاً على الإطلاق، توفي بالبصرة سنة ١١٠هـ وجهل ابن حزم صحبته، وجرحه في المحلى، ورد عليه مصحح الكتاب بأنه تابعي ثقة.

وروى السائب بن يزيد عن النبيﷺ أزيد من عشرين حديثاً، وأدرك من حياة النبيﷺ ثمان سنين.

وروى المِسْوَر[1] بن مخرمة عن النبيﷺ أزيد من عشرين حديثاً، وأدرك من حياة النبيﷺ ثمان سنين أيضاً.

وروى عمر بن أبي سلمة عن النبيﷺ إثني عشر حديثاً، وأدرك من حياة النبيﷺ تسع سنين.

وروى يوسف بن عبد الله بن سلام عن النبيﷺ نحو أربعة أحاديث وتركه صغير السن، روى عنه أنه قال: سماني رسول اللهﷺ يوسف وأقعدني في حجره، ومسح على رأسي، وكذلك عبد الله بن جعفر ومسلمة بن مخلد، وآخرون.

وهذه عائشة[2] أم المؤمنين رضي الله عنها. روت عن النبيﷺ أكثر من ألف ومائتي حديث، وضبطت الكثير من أحواله وسننه، وقد تزوجها رسول اللهﷺ وهي ابنة تسع سنين، فحفظت عنه في ذلك السن فما بعده إلى أن انتقل وسنها ثمان عشرة.

وكذلك أنس بن مالك رضي الله عنه أتت به أمه إلى النبيﷺ يخدمه وهو غلام صغير يلعب مع الصبيان، فحفظ عنه السنن والشرائع، وروى أكثر من ألفي حديث، ومائتي حديث بالتثنية فيهما.

وكذلك عبد الله بن عباس روى عن النبيﷺ أزيد من ألف وستمائة

---

(١) بكسر الميم وسكون السين وفتح الواو، ومخرمة: بفتح الميم والراء بينهما خاء ساكنة.

(٢) وهي أحد حفاظ الصحابة السبعة الذين رووا أكثر من ألف حديث، وهم مجموعون في هذين البيتين:

سبع من الصحب فوق الألف قد نقلوا ... عن المصطفى المختار خير مضر

أبو هريرة سعد جابر أنس ... صديقة وابن عباس كذا ابن عمر

سعد هو أبو سعيد الخدري، لأن اسمه سعد بن مالك بن سنان، ويلاحظ أن معظم هؤلاء السبعة كانوا صغار السن.

حديث وملأ الدنيا علماً وتفسيراً لكتاب الله تعالى، ببركة دعائهﷺ، ولم يدرك من حياتهﷺ إلا أربع عشرة سنة.

وكذلك أبو سعيد الخدري وآخرون يطول ذكرهم.

وأما التابعون ومن بعدهم فلا يدخلون تحت الحصر، وقد روى الخطيب (في الكفاية) عن سعيد بن عامر، قال: حملني خالي على عاتقه فسمعت شميلاً، يحدث عن أنس عن النبيﷺ «مثل الجليس الصالح مثل العطار إن لم تصب من عطره، أصبت من ريحه، ومثل الجليس السوء مثل القين إن لم يحرق ثوبك، أصابك من ريحه».

وعن الفضل بن زياد، قال: سمعت أحمد، وذكر ابن عيينة، فقال: أخرجه أبوه إلى مكة، وهو صغير، فسمع من الناس: عمرو بن دينار وابن أبي نجيح في الفقه، ليس تضمه إلى أحد إلا وجدته مقدماً.

وعن نصر بن علي، حدثني أبي، قال: ذكر ابن عيينة، عند شعبة، فقال: رأيت ذلك الغلام عند عمرو بن دينار وبيده ألواح، وفي أذنه قرط من ذهب.

وعن النضر الهلالي، قال: كنت في مجلس سفيان بن عيينة، فنظر إلى صبي دخل المسجد، فكأن أهل المجلس تهاونوا به لصغر سنه، فقال سفيان: «كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم» ثم قال لي يا نضر لو رأيتني ولي عشر سنين، طولي خمسة أشبار، ووجهي كالدينار، وأنا كشعلة نار، ثيابي صغار، وأكمامي قصار، وذيلي مقدار، ونعلي كأذان الغار، اختلف إليّ علماء الأمصار، مثل الزهري، وعمرو بن دينار، وأجلس بينهم كالمسمار، محبرتي كالجوزة، ومعلمتي كالموزة، وقلماً كاللوزة، فإذا دخلت المجلس قالوا: وسعوا للشيخ الصغير، ثم تبسم ابن عيينة، وضحك، وتسلسل[1] ذلك منه إلينا فسمعناه من أبي النصر القاوقجي، وأبي حفص العطار، وأبي عبد الله بن جعفر، وغيرهم، من طريق عابد السندي، وأبي المحاسن القاوقجي، وابن عقيلة، وآخرين.

---

(١) هذا من المسلسلات الثمانين التي أشرنا إليها في مسلسل المصافحة.

وروى الخطيب أيضاً عن ابن المديني، قال حدثنا حفص بن غياث، قال سمعت طلق بن معاوية يحدث عن أبي زرعة عن أبي هريرة فذكر خبراً، ثم قال حفص: سمعت هذا الحديث منه منذ سبعين سنة ولم أبلغ عشر سنين، وعن أبي بكر بن عياش، قال: قال رجل للأعمش: هؤلاء الغلمان حولك، قال: اسكت هؤلاء؛ يحفظون عليك أمر دينك.

وعن الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد: أن الأوزاعي سئل عن الغلام يكتب الحديث قبل أن يبلغ؟ فقال: إذا ضبط الإملاء، جاز سماعه وإن كان دون العشر، واحتج بحديث سبرة بن معبد «مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر».

وعن إبراهيم الحربي قال: مات عبد الرزاق وللدبري[1] ست سنين أو أربع سنين والدبري هو رواية كتب عبد الرزاق كلها. وقد شحن الأئمة والحفاظ كتبهم بالرواية عن عبد الرزاق من طريق الدبري، وكذلك أبو عمرو الهاشمي، راوية سنن أبي داود. عن اللؤلؤي، سمعه عليه أربع مرات، آخرها وهو ابن خمس سنين، فاعتمد الحفاظ راويته وسمع من لا يحصى منهم السنن، من طريقه، إلى غيرهم من يستحيل على المخلوق إحصاؤهم، فمن القرن الثاني إلى أواخر القرن التاسع، وآلاف المخلوقات تسمع الحديث وتسمع أبناءها في سن الطفولة[2] والصبا، بل وفي سن الرضاع، كما هو معلوم، لأهل هذا الشأن، وما في كتب الرجال وطبقات المحدثين وإن كثر فإنما هو قطرة من بحر.

---

(١) اسمه إسحاق الدبري، بفتح الدال والباء.

(٢) وكثيراً ما تجد في الأجزاء الحديثية، وفي كتابة الطباق: حضوراً في الخامسة أو الرابعة مثلاً، يعنون أن الراوي حضر وهو في سن الخامسة أو الرابعة وهذا لا يكاد يخلو منه جزء ولا طباق. وقد بلغ درجة الاجتهاد الشريف التلمساني أحد أئمة المالكية الواصلين إلى درجة الاجتهاد. نبغ في العلم وهو دون البلوغ وتصدر للتدريس في ذلك السن، فرآه رجل يدرس للطلبة في رمضان وهو مفطر، فسأله على سبيل التنكيت بقوله: أحائض الشيخ أم نفساء؟ فأجابه الشريف: لم أبلغ الحلم يا طويل الآذان! وللشريف هذا كرامات عديدة رضي الله عنه.

وقد نص على هذا شيوخ الفن وأئمته، كابن الصلاح، وابن الأثير، والنواوي والبلقيني، والعراقي، وآخرين.

قال ابن الصلاح: يصح التحمل قبل وجود الأهلية فتحمل رواية من تحمل قبل الإسلام، وروي بعده، وكذلك رواية من سمع قبل البلوغ، وروى بعده، ومنع من ذلك قوم فأخطأوا، لأن الناس قبلوا رواية أحداث الصحابة كالحسن بن عليّ وابن عباس وابن الزبير والنعمان بن بشير وأشباههم، من غير فرق بين ما تحملوه قبل البلوغ وما بعده، ولم يزالوا قديماً وحديثاً يحضرون الصبيان مجالس التحديث والسماع، ويعتدون بروايتهم لذلك. اهـ بل قد حددوا السن الذي يصح معه التحمل بخمس سنين، وترجم البخاري لذلك في الصحيح (باب متى يصح سماع الصغير) ثم أخرج حديث محمود بن الربيع، قال: عقلت من النبيﷺ مجة مجها في وَجهي، وأنا ابن خمس سنين من دلو، بل جوز بعضهم السماع في سن الأربع، على ما في بعض الروايات لحديث محمود.

قال القاضي عياض: حدد أهل الصنعة في سن التحمل والسماع أن أقله من محمود بن الربيع، فذكر الحديث ثم قال وفي رواية أخرى له أنه كان ابن أربع سنين، أسنده عنه ابن الصلاح، ثم قال: والتحديد بخمس هو الذي استقر عليه عمل أهل الحديث المتأخرين فيكتبون لابن خمس فصاعداً سمع ولمن لم يبلغ خمساً حضر أو أحضر، فأين سن الخمس من سن الأربع عشرة التي كان فيها الحسن البصري يوم خروج عليّ من المدينة، على أن الذي ارتضاه المحققون هو عدم التحديد بالخمس وأن المدار على الفهم والتيقظ والتمييز الذي قد يحصل لبعض الأفراد دون سن الخمس.

قال ابن الصلاح: والذي ينبغي في ذلك أن يعتبر في كل صغير حاله على الخصوص فإن وجدناه مرتفعاً عن حال من لا يعقل فهماً للخطاب ورداً للجواب ونحو ذلك صححنا سماعه، وإن كان دون خمس، وإن لم يكن كذلك لم نصحح سماعه وإن كان ابن خمس بل ابن خمسين، وقد بلغنا عن إبراهيم بن سعيد الجوهري قال: رأيت صبياً ابن أربع سنين وقد

حمل إلى المأمون قد قرأ القرآن ونظر في الرأي غير أنه إذا جاع بكى، وعن القاضي أبي محمد عبد الله بن محمد الأصبهاني قال: حفظت القرآن ولي خمس سنين وحملت إلى أبي بكر المقري لأسمع منه، ولي أربع سنين فقال بعض الحاضرين لا تسمعوا له فيما قرأ فإنه صغير فقال لي ابن المقري إقرأ سورة الكافرين، فقرأتها فقال: اقرأ سورة الكوثر فقرأتها؛ فقال لي غيره: إقرأ سورة المرسلات فقرأتها، ولم أغلط فيها، فقال ابن المقري: اسمعوا له والعهدة على، قال: وأما حديث محمود بن الربيع فيدل على صحة ذلك من ابن خمس مثل محمود. ولا يدل على انتفاء الصحة فيمن لم يكن ابن خمس، ولا على الصحة فيمن كان ابن خمس، ولم يميز تمييزاً محمودًا. اهـ.

وقال النووي: إن التقييد بالخمس أنكره المحققون، وقالوا: الصواب أن يعتبر كل صبي بنفسه، فقد يميز لدون خمس، وقد يتجاوز الخمس ولا يميز؛ اهـ. بل نقل الزركشي في (البحر المحيط) عن أبي نصر القشيري حكاية إجماع أهل الحديث على أن الصبي المميز يصح منه التحمل. وإن لم يفهم المعنى. بدون تقييد بسن مخصوص.

فصل

فإذا صح أن المعتبر هو التمييز فقط، وصح التحمل في سن الرابعة فالحسن أولى بذلك الأمور.

الأمر الأول: أنه كان في سن المراهقة قد ناهز الاحتلام، وجاوز سن التمييز.

الأمر الثاني: أنه كان قد حفظ القرآن، ولازم الصلاة في الجماعة فريضة ونافلة وحضر خطب عثمان، كما تقدمت الأسانيد بذلك.

الأمر الثالث أنه كان كامل المنظر وافر العقل، متفوقاً على أقرانه، ومن هو في سنه كما تقدم في قول الحجاج له: والله لعينك أكبر من أمدك، فإن من يكون كذلك يكون متفوقاً على أقرانه في العقل والتمييز.

الأمر الرابع: أنه أتى موهبة كبرى، وفتوحاً خاصاً من صغره، بسبب ارتضاعه من بعض أزواج النبيﷺ، وهي أم سلمة رضي الله عنها.

قال أبو نعيم في الحلية. حدثنا عبد اللَّه بن محمد بن جعفر، ثنا عبد اللَّه بن محمد بن أبي كامل، ثنا هوذة بن خليفة، عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي، قال: كان الحسن ابنا لجارية أم سلمة زوج النبيﷺ، فبعثت أم سلمة جاريتها في حاجتها فبكى الحسن بكاء شديداً فرقت عليه أم سلمة، فأخذته فوضعته في حجرها فألقمته ثديها فدر عليه، فشرب منه فكان يرى أن المبلغ الذي بلغه الحسن من الحكمة بذلك اللبن الذي شربه من أم سلمة زوج النبيﷺ.

وقال ابن سعد في الطبقات بعد ذكره أن أم الحسن كانت مولاة لأم سلمة رضي الله عنها: فيذكرون أن أمه ربما غابت فيبكي الصبي، فتعطيه أم سلمة ثديها تعلله به إلى أن تجيء أمه، فدر عليه ثديها فشربه، فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك. اهـ.

وهكذا رواه محمد بن سلام الجمحي عن أبي عمرو الشعاب، وذكره غير واحد من المتقدمين كابن قتيبة وابن الجوزي وآخرين.

فصل

فبان مما ذكرنا من الوجوه ثبوت الاتصال وعدم الانقطاع، وأن الخرقة بالنسبة لرواية الحسن البصري عن عليّ عليه السلام صحيحة متصلة على شرط البخاري ومسلم، وجميع أهل الحديث والأصول، من مخفف ومتشدد، ففي (تقريب) النواوي وشرحه للحافظ السيوطي: الإسناد المعنعن قيل أنه مرسل حتى يتبين اتصاله، والصحيح الذي عليه العمل. وقاله الجماهير من أصحاب الحديث والفقه والأصول: أنه متصل، قال ابن الصلاح: ولذلك أودعه المشترطون للصحيح في تصانيفهم، وادعى أبو عمر والداني إجماع أهل النقل عليه، وكاد ابن عبد البريدعي إجماع أئمة الحديث عليه، قال العراقي: بل صرح بادعائه في مقدمة التمهيد بشرط أن لا يكون المعنعن مدلساً، وشرط إمكان لقاء بعضهم بعضاً، وفي اشتراط

ثبوت اللقاء وطول الصحبة ومعرفته بالرواية عنه خلاف، منهم من لم يشترط شيئاً من ذلك واكتفى بإمكان اللقاء، وعبّر عنه بالمعاصرة، وهو مذهب مسلم بن الحجاج، ادعى الإجماع فيه في خطبة صحيحة، وقال: إن اشتراط ثبوت اللقاء قول مخترع لم يسبق قائله إليه، وإن القول الشائع المتفق عليه بين أهل العلم بالأخبار قديماً وحديثاً: أنه يكفي أن يثبت كونهما في عصر واحد، وإن لم يأت خبر قط أنهما اجتمعا أو تشافها.

ومنهم من اشترط اللقاء وحده، وهو قول البخاري وابن المديني والمحققين من أئمة هذا العلم، إلا أن البخاري لا يشترط ذلك في أصل الصحة، بل التزمه في جامعه فقط، وابن المديني يشترطه فيها. ونص على ذلك الشافعي في الرسالة.

ومنهم من اشترط طول الصحبة، وهو أبو المظفر السمعاني.

ومنهم من اشترط معرفته بالرواية عنه، وهو أبو عمرو الداني.

واشترط أبو الحسن القاسي أن يدركه إدراكاً بيناً، حكاه ابن الصلاح قال شيخ الإسلام الحافظ من حكم بالانقطاع مطلقاً شدد، ويليه من شرط طول الصحبة، ومن اكتفى بالمعاصرة سهل، والوسط الذي ليس بعده إلا التعنت مذهب البخاري ومن وافقه. اهـ.

فهذه الشروط كلها متوفرة في رواية الحسن عن علي عليه السلام، بالعنعنة فإنه عاصره وأدرك من حياته نحو عشرين سنة، وكان معه في بلد واحد، إلى أن بلغ خمس عشرة سنة أو أربع عشرة كما هو شرط مسلم، ولقيه، واجتمع به وجلس في حلقته، وصلى خلفه في الفريضة، منذ بلغ سن السبع أو دونه، وصلى خلفه في رمضان عشرين ليلة، كما هو شرط البخاري وطالت صحبته إياه في المدينة المنورة، لأنه كان جاراً له في بيت أم سلمة، وكان يجلس في حلقته كما هو قول أبي المظفر السمعاني، مع أنه قول باطل مخالف لأشد الناس شروطاً، وهو البخاري، فضلاً عن غيره، وهو معروف بالرواية عنه كما سبقت أحاديثه وأخباره في ذلك كما هو قول أبي عمرو الداني، مع أنه قول باطل أيضاً. وقد أدرك علياً إدراكاً بيناً أبين

من إدراك كثير من الصحابة الذين أجمعت الأمة على صحبتهم وصحة أحاديثهم كما بينا ذلك سابقاً، كما هو قول أبي الحسن القابسي ولا يغيب عنك أن هذه الشروط كلها في الحديث المعنعن، وأما ما صرح فيه بالسماع مع الثقة والعدالة فهو بمعزل عن كل هذا. لأن تصريحه بالسماع مع ثقته وعدالته تقضي على كل احتمال ولا تحتاج إلى شرط، ولا احتياط، وإلا كان كاذباً غير عدل ولا ثقة، والمفروض خلاف ذلك. وقد علمت تصريح الحسن بالسماع من عليّ فاتضح سماع الحسن من عليّ، وصحة رواية الخرقة عنه وضوح الشمس في رابعة النهار.

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

فإن قيل: هذا فيما يتعلق بالرواية وسماع الحديث والصوفية لا يروون من طريق الحسن عن علي مجرد الإلباس والتلقين اللذين هما من قبيل الرواية كما قررته سابقاً، وشرحته، بل يسندون من جهته الصحبة والاقتداء والأدب والسلوك وما ينشأ عنها من مواهب وأسرار وعلوم ومعارف، وذلك يحتاج إلى طول صحبة وملازمة وإلى سن يليق بذلك، وسن الحسن البصري وصحبته لعلي لا تكفي في المطلوب على ما يريده الصوفية.

فالجواب من وجوه:

الوجه الأول: أن الحسن صحب علياً من سن تمييزه، وهو سن الخمس إلى أن بلغ من العمر أربع عشرة سنة فصحبه نحو تسع سنين أو ثمانية، وتأدب بأدبه واهتدى بهديه، لأنه كان جاراً له في بيت أم سلمة التي كانت حريصة على تأديبه وتعليمه، وكانت ترسله لأفاضل الصحابة يحنكونه، ويبركون عليه ويدعون له، فكيف تغفله عن الاتصال بأعلم الصحابة وأعرفهم بالله في عصره علي بن أبي طالب الذي كان لها به وبأهل بيته مزيد اتصال وكامل محبة.

الوجه الثاني: أن فوائد الصحبة للكمل والتأدب بأدبهم واهتداء بهديهم تحصل للراغب فيه في أقرب وقت، وأقل اتصال، كما حصل لكثير من الصحابة برؤية النبيﷺ، والتابعين برؤية الصحابة، وغيرهم بصحبة

العارفين، فكيف بالحسن البصري المخصوص بالعناية والتربية في بيت النبوة، وحجر أزواج النبيﷺ، والذي كان ينطق بالحكمة حتى قيل فيه إن كلامه يشبه كلام الأنبياء؟ وقد صحب أفضل الصحابة في عصره وأعرفهم بالله تعالى، وعميد أهل بيت النبوة، وباب مدينة العلم، وأخا النبيﷺ وخليفته الباطني، وموضع علمه وسره ومرجع الصوفية، ومدد الأولياء لا جرم أن يكون أولى من جميع من بعدهما فيذلك.

قال أبو حامد الفاسي في (مرآة المحاسن) لما تكلم على الحسن البصري: ولو لم يثبت له من عليعليه السلام غير الرؤية لكفت، فإن خصوصية الصحبة والتابعية تكفي في حصولها الرؤية، ومن المشايخ من يوصل إلى الله بنظرة وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي في تلميذه أبي العباس رضي الله عنهما: أبو العباس هذا إذا نظر إلى رجل أغناه، فذلك في حق عليعليه السلام من أقرب القريب بالأولولية الواضحة، لا سيما في حق الحسن المستعد لقبول ذلك النور، ويكفيه خصوصية التقام الثدي الطاهر، فإنه به متأهل لذلك (والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) اهـ.

وقال أخوه أبو العباس أحمد (في المنح الصافية) ولا مانع من أخذ الحسن رضي الله عنه عن عليعليه السلام كما يقوله الصوفية أهل البصيرة الصافية رضي الله عنهم، حيث ثبتت الرؤية، لأن هذه الطريقة لما كانت ليس المعتبر فيها أخذ المريد وتلقينه من الشيخ باللسان، بل المقصود منه أن يحصل على سبيل الهمة والحال هداية المريد، وإشراق الأنوار في قلبه، ويحصل له بسببه تجليات وأنوار من ربه، ويطلع على حقيقة العلم، ومكنون السر، حتى ينقطع إليه، ويؤثر خدمته ويقبل عليه ويرفض ما سواه، إلى غير ذلك من المواهب التي هذه من أوائلها، كما قال قطب زمانه أبو الفضل ابن عطاء الله في (المنن) وليس شيخك من سمعت منه، إنما شيخك من أخذت عنه، وليس شيخك من واجهتك عبارته، إنما شيخك الذي سرت فيك إشارته، وليس شيخك من دعاك إلى الباب، إنما شيخك الذي رفع بينك وبينه الحجاب، وليس شيخك من واجهك مقاله، إنما شيخك الذي ينهض بك حاله، شيخك هو الذي أخرجك من سجن

الهوى، ودخل بك إلى المولى، شيخك هو الذي ما زال يجلو مرآة قلبك، حتى تجلت فيه أنوار ربك، نهضك إلى الله فنهضت إليه، وصار بك حتى وصلت إليه، وما زال محاذياً لك حتى ألقاك بين يديه، فزج بك في نور الحضرة وقال: ها أنت وربك، هنالك محل الولاية من الله، وموطن الإمداد من الله، وبساط التلقي من الله إلى آخر كلامه. وإذا كان في أولياء الله تعالى من يغني بنظرة ويكسب الطالب الصادق حالاً وحياة، كما قيل: لله عباد إذا نظروا إلى الشخص أكسبوه سعادة، وكما قال القطب أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في تلميذه أبي العباس المرسي رضي الله عنه: فوالله إنه ليأتيه البدوي يبول على ساقيه، فلا يمسي عليه المساء إلا وقد وصله إلى الله تعالى، وقال القطب أبو العباس المرسي في نفسه والله ما بيني وبين الرجل إلا أن أنظر إليه نظرة، وقد أغنيته. فكيف لا يكون هذا فيمن قال فيه ﷺ: «علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» كما رواه الشيخان في صحيحهما، وقال فيه أيضاً النبي ﷺ: «عليّ مني وأنا منه، لا يؤدي عني إلا أنا أو عليّ» أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم.

وقال فيه الشيوخ رضي الله عنهم: إنه أعطى العلم اللدني، ولا تصح النسبة إلى الولاية الحقيقية والمعارف الأهلية إلا من جهته وحقيقته، فهو إمام الأولياء المحمديين كلهم، وأصلهم، ومنشأ إنتسابهم. إلى الحضرة المحمدية، إلى آخر ما سبق عنه.

وقال الشيخ زورق في (عدة المريد الصادق): اعلم أن الأولياء الأوائل من القوم، لم يكن لهم ترتيب في المشيخة معروف، ولا اصطلاح مألوف، وإنما كانت المحبة واللقاء، فكان الأدنى منهم إذا لقي الأعلى، استفاد برؤيته أحوالاً، لأن من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها، والأحوال موروثة، فلذلك قال ابن العريف: كيف يفلح من لم يخالط مفلحاً؟ وكان الصحابة ينتفعون برؤيته عليه الصلاة والسلام، حتى قال أنس رضي الله عنه: ما نفضنا أيدينا من تراب عند دفنه ﷺ، حتى أنكرنا قلوبنا. اهـ.

وقال العارف ابن عراق في رسالته في الخرقة والتلقين: واعلم أن من

شرط الذكر أن يتلقى من أفواه سادات الرجال، فإن لذلك شأناً عجيباً، وخاصية غريبة ولهذا شبه النبيﷺ الرجل المسلم بالنخلة حيث قال لأصحابه: «إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل الرجل المسلم حدثوني ما هي» قال الراوي وهو عبد اللّه بن عمر فوقع الناس في شجر البوادي، ووقع في نفسي أنها النخلة، ثم قالوا حدثنا: ما هي يا رسول الله؟ قال: «هي النخلة» وذلك ليعلم أن النخلة لا تثمر أبداف ما لم تؤبر[1] فكذلك المريد الصادق ما لم يتلقن الذكر من شيخ داع إلى الله على بصيرة، ويمده بها ويلحظه ببصره، لا تثمر شجرة وجوده، ولا يرطب بلحه ولقد أحسن من قال من العارفين بالله الدالين عليه: يبلغ المريد الصادق بنظر شيخه إليه ما لا يبلغه باجتهاده ألف سنة. ولقد صدق الفقيه الأجل محمد بن الحسين البجلي نفع الله به في رؤياه للنبيﷺ قال: قلت يا سيدي يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: وقوفك بين يدي ولي من أولياء الله كحلب شاة، أو شيّ بيضة، خير لك من أن تعبدا لله حتى تنقطع إرباً إرباً. فقلت له يا سيدي حياً كان أو ميتاً؟ قال: حياً كان أو ميتاً، فالمريد الصادق لا يشوص[2] نخيله، والشيخ السابق لا يخيب نظره. اهـ.

وقال ابن الميلق في حق الشيخ المربي الكامل:

والعبد هذا هو الحر الذي حصلت ... له الخلافة جل الله معطيه
أوصافه ظهرت من وصف مبدعه ... وكله مظهر يبدي تجليه
إذا رؤى ذُكر المولى برؤيته ... وفاز بالسعد والتقريب رائيه

قال ابن علان في شرح البيت الأخير إذا رؤى هذا العبد ذكر المولى برؤيته، كما ورد في وصف الصالحين (الذين إذا رؤوا ذكر الله) لأن نور قلبه مشرق على وجهه (سيماهم في وجوههم) فمن رآه، رأى نور الحق الساطع من قلبه على وجهه، ومن تم له ذاك فاز بالسعد

---

(١) تأبير النخل: تلقيحه.

(٢) يقال تشيص النخل إذا لم يثمر لعدم تلقيحه، أما الشوص فهو التنظيف. شاص فمه بالسواك نظفه به والمضارع يشوص بضم الشين.

والقرب، قال ابن علوان رضي الله عنه.

سعدت أعين رأتك وقرت وكذا أعين رأت من رآك

ومثلوا ذلك بالشمس إذا أشرقت على جدار، وفي مقابل ذلك الجدار، جدار آخر، فيشرق ذلك الجدار الآخر، لمواجهته للجدار الذي أشرقت عليه الشمس، وهذه طريقة معروفة عند المشايخ، يسمونها بالرابطة، وهي رؤية وجه الشيخ، فإنها تثمر ما يثمر الذكر، بل هي أشد تأثيراً لمن عرف شروطها وآدابها، وذلك إنما يكون للشيخ الكامل الفاني المشرق بالتجليات الذاتيات، ومن ذلك كانت تربيته ﷺ للصحابة، فكانوا يستغنون برؤية طلعته الشريفة عن كل رياضة ومجاهدة، وينتفعون بأنوار طلعته السعيدة أكثر ما ينتفعون بالأذكار في مدة مديدة، ولهذا كانت درجة الصحابة لا تضاهي، والاجتماع بالمشايخ ولو ساعة مرتبة بها يتباهى، اجتمع شخصان في طريق ضيق، فقال أحدهما للآخر: تقدم، فقال: بم استحق التقدم عليك: فقال: لأنك صحبت الجنيد نصف يوم، فجعل مصاحبته للجنيد نصف يوم، فضيلة يستحق بها التقدم عليه. وهكذا أهل الإنصاف. اهـ.

وقال ابن عجيبة في شرح تائية شيخه العارف البوزيدي رضي الله عنهما: فيا سعد من كان له مجاوراً، يقول رضي الله عنه: يا سعده، يا بشراه من كان مجاوراً لصاحب هذه الروح الصافية، التي سبقت لها العناية، ولاحت عليها أنوار الولاية، لأنه يدرك بصحبته في ساعة واحدة على سبيل التعظيم والمحبة من العلوم والأسرار والمعارف والتمكين، ما لا يدركه في سنين متطاولة بالرياضة والمجاهدة فما بالك إذا طالت الصحبة والخدمة؟

وقال ابن عباد في شرح الحكم عند قول ابن عطاء الله: لا تصحب من لا ينهضك حاله، بعد أن ذكر وصف المنتفع بصحبتهم، وفي صحبة أمثال هؤلاء يحصل للمريد من المزيد، ما لا يحصل له بغيرها من فنون المجاهدات، وأنواع المكابدات، حتى يبلغوا من ذلك إلى أمر لا يسعه عقل عاقل، ولا يحيط به علم ناقل، قال سيدي أبو العباس رضي الله عنه ماذا أصنع بالكيمياء؟ والله لقد صحبت أقواماً يعبر أحدهم على الشجرة

اليابسة، فيشير إليها فتثمر رماناً للوقت، فمن صحب مثل هؤلاء الرجال، ماذا يصنع بالكيمياء؟ وقال أيضاً رضي الله تعالى عنه: والله ما سار الأولياء والإبدال من قاف إلى قاف، إلا حتى يلقوا واحدًا مثلنا. فإذا لقوه كان بغيتهم، وقال أيضاً رضي الله تعالى عنه الولي إذا أراد أغنى. وقال أيضاً رضي الله تعالى عنه: ما بيني وبين الرجل إلا أن أنظر إليه نظرة وقد أغنيته. وقال في شيخه أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: أبو العباس هو الرجل الكامل، والله إنه ليأتيه البدوي يبول على ساقيه، فلا يمسى عليه المساء، إلا وقد أوصله إلى الله اهـ.

وقال الشيخ زروق في شرح الحكم، عند قول ابن عطاء الله: سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه، ما نصه: وقد استقر صحيحاً أنه ما خالط أحد صادقاً إلا نفعه الله تعالى على قدر همته، كما قيل: على قدر أهل العزم تأتي العزائم، وقد قال شيخنا أبو العباس الحضرمي رضي الله عنه في كتابه: (صدور المراتب) فهنيئاً مريئاً لمن ذاق، أو ذاق بعض ما ذاق. أهل الأذواق، أو رأى من ذاق. فقد قال: «المطر قريب عهد بربكم» فيستحب البروز فيه، والتبرك عند نزول المطر، هكذا ذكره الشارعﷺ وهو مطر من السحاب، فما ظنك بالمؤمن العارف بالله فمن الأحرى والأولى النظر إلى العارف بالله والصادق بالله والسائر لله النظر إليه بالتأثير فيه سعادة الدنيا والأخرى عند مصادفة المحل والتوفيق، وقد تقدم من كلام الشيخ أبي محمد عبد السلام بن مشيش يوصي الشيخ أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنهما، وأصحب من إذا ذكر ذكر الله. فالله يغنى به إذا شهد، وينوب عنه إذا فقد، ذكره نور القلوب، ومشاهدته مفتاح الغيوب اهـ، ومما يدل على أن رؤية العارف تزيد من نور المعرفة وغيرها، قول أنس رضي الله عنه: ما نفضنا التراب من أيدينا من دفن رسول اللهﷺ حتى وجدنا النقص في قلوبنا، وبالجملة فأولياء الله تعالى أبواب الله، ومعرفتهم مفتاح تلك الأبواب اهـ.

وقال الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) في ترجمة الحسن

البصري: وقال يونس بن عبيد: كان الرجل إذا نظر إلى الحسن انتفع به وإن لم يسمع من كلامه ولم ير عمله. اهـ.

قلت: هذا والله حال كبار العارفين الذي أخبر به كل من رآهم وترجم لهم، ورأيناه عياناً والحمد لله: فكيف لا يكون عليّ كذلك؟ وقد شهد له النبيﷺ بذلك. وأشاد إليه بقولهﷺ: «النظر إلى علي عبادة» فلم يكن عبادة إلا لكون الرائي يستفيد بالنظر إليه حالاً وخشية وإيماناً ورغبة في الآخرة. محبة في الله تعالى، فكيف بمن جالسه وخالطه وسمع منه، ولا سيما مثل الحسن البصري. قال: الحاكم في (المستدرك) حدثنا دعلج ابن أحمد السجزي، ثنا علي بن عبد العزيز بن معاوية، ثنا إبراهيم بن إسحاق الجعفي، ثنا عبد اللّه بن عبد ربه العجلسي، ثنا شعبة، عن قتادة، عن حميد ن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري، عن عمران بن حصين، قال: قال رسول اللهﷺ: «النظر إلى عليّ عبادة» قال الحاكم: هذا الحديث صحيح الإسناد، وشواهده عن عبد اللّه بن مسعود صحيحة، وتعقبه الذهبي، فقال: بل موضوع.

قلت: كذب والله الذهبي افترى، إذ حكم على الحديث بالوضع، دون أن يبين سبب ذلك، ولا أن يكون في سنده راوٍ ضعيف، ولا ذكر هو واحداً منهم في الضعفاء. فقبح الله النواصب أعداء آل البيت الكرام، والحديث صحيح، كما قال الحاكم، وله طرق كثيرة بلغ بها حد التواتر، على رأي جماعة. إذ زادت على عشرة. ولحديث عمران هذا طريق آخر. قال أبو مسلم الكشي: حدثنا أبو نجيد عمران بن خالد بن طليق، عن أبيه، عن جده، عن عمران بن حصين، قال: قال رسول اللهﷺ: «النظر إلى وجه عليّ بن أبي طالب عبادة» قال أبو عبيد: قال ابن الأعرابي: تأويله أن علياً كان إذا برز، قال الناس: لا إله إلا الله، ما أشرف هذا الفتى، لا إله إلا الله، ما أشجع هذا الفتى، لا إله إلا الله، ما أعلم هذا الفتى، لا إله إلا الله، ما أكرم هذا الفتى. كذا أسنده ابن الأبار في (معجم أصحاب الصرفي) من طريق الكشي. ورواه الطبراني عن الكشي به، وفيه: رأيت عمران بن حصين يحد النظر إلى عليّ، فقيل له، فقال: سمعت رسول

الله ﷺ يقول: «النظر إلى عليّ عبادة» وهذا سند حسن. وقد ذكر الذهبي في (الميزان): عمران بن خالد، فقال: روى عن آبائه حديث النظر إلى علي عبادة. رواه عنه يعقوب الفسوي، وهذا باطل في نقدي.

قلت: نقدك باطل فاسد، فيه كل حديث ورد بفضل عليّ فهو موضوع، فقبح الله نقداً يبطل أحاديث رسول الله ﷺ بالهوى، مع بغض آل بيته الكرام، وقد تعقبه الحافظ صلاح الدين العلائي، فقال: الحكم عليه بالبطلان بعيد، ولكنه كما قال الخطيب: غريب اهـ، أي والغريب يجامع الصحيح كما هو حال أكثر الأحاديث الصحيحة، ومع ذلك فليست غرابته مسلمة، ولا يقصدون الغرابة من جهة الإسناد، ولكن من جهة المعنى، إذ لم يفهموا كون النظر إلى عليّ عبادة، ولا تصوروا معناه، لبعده عنهم، فاستغربوه، وهو أولى وأسلم من تهجم الذهبي الخبيث، ومع كونه لم يذكر في عمران جرحاً، فعمران أيضاً لم ينفرد به، بل توبع عليه.

قال أبو بكر أحمد بن شاذان في مشيخته: حدثنا أبو بكر محمد بن يزيد البوشنجي يعرف بابن الأزهر، ثنا العباس بن بكار بالبصرة، حدثني خالد بن طليق الخزاعي به. وخالد وإن قال الدارقطني ليس بالقوي، فقد ذكره ابن أبي حاتم، وقال: إنه كان قاضي البصرة ولم يذكر فيه جرحاً، وقال: الساجي صدوق يهم، وذكره ابن حبان في الثقات، فكل من طريقي عمران صحيح على انفراده، فكيف باجتماعهما، فكيف مع وروده من حديث عبد الله بن مسعود وعائشة وأبي بكر وعثمان وثوبان وأبي هريرة وابن عباس وجابر بن عبد الله وأنس. فالحديث بمجموع طرقه صحيح البتة، أو متواتر على رأي من يكتفي في التواتر بعشرة، ومعناه ما قررناه من انتفاع الرائي لعليّ عليه السلام في الباطن، لمن كان فيه الاستعداد لذلك، كالحسن البصري، والله أعلم.

الوجه الثالث: أن الانتفاع المذكور، والفتح الإلٰهي لا يختص بالكبار دون الصغار، فقد فتح على قوم في سن الصبا، أو ظهرت لهم بوادر الفتح، ثم حصل الفتح التام في حال الكبر، وحال الحسن البصري مع عليّ عليه السلام، لا يخرج عن هذين الأمرين إما أن يكون الله تعالى أكرمه بالفتح

في صباه على يد عليّ عليه السلام أو حصلت له على يديه مقدمات ذلك وتم له الأمر بعد الكبر.

وقد ذكر ابن عطاء الله: في بعض نسخ لطائف المنن عن أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه قال: سلك سيدي عبد السلام الطريق وهو ابن سبع سنين، وظهر له من الكشف أمثال الجبال، ثم خرج إلى السياحة، وأقام بها ستة عشر سنة، قال: فدخل عليه يوماً شيخ في مغارة، فقال له: من أنت؟ قال له: أنا شيخك، قد كنت ابن سبع سنين، وكل ما كان يصلك من المنازلات فهو مني، وهو كذا وكذا لجميع ما جرى له من الأحول، وكان سكناه بالمدينة، وكان يجيء إليه ويعلمه ويفيده؛ فقلت له: يا سيدي كان يأتيك طياً أو سفراً؟ قال: في ساعة يأتيني ويروح، قلت يا سيدي: وكنت أنت تروح إليه؟ قال: نعم اهـ، وهذا الشيخ هو سيدي عبد الرحمن المدني العطار، وتقدم أن سيدي علياً وفتح له على يد والده سيدي محمد، وأنه شيخه لا شيخ له في الطريق غيره، مع أنه لما توفي تركه ابن ست سنين.

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: كنت مع أستاذي يعني القطب ابن مشبش؛ ومعه ابن له صغير. فخطر ببالي أن أسأل الأستاذ عن الاسم الأعظم فكاشفني الصبي وقال لي: يا أبا الحسن ليس الشأن أن تعرف الاسم.

إنما الشأن أن تكون أنت عين الاسم؛ فتبسم الأستاذ. وقال لي: أجابك عنا ولدنا. وكم لهؤلاء من نظير. وأول من حصل له ذلك السبطان عليهما السلام. واسطة جدهما الرسول الأعظم ﷺ، وقد تركهما عند انتقاله إلى الرفيق الأعلى دون عشر سنين. وقد نص أكابر الأقطاب على أن أول الأقطاب هو سيدنا الحسن السبط عليه السلام.

فصل

وقد أدخل جماعة في سند الخرقة والتلقين بين الحسن البصري وعليّ ابنه الحسن السبط عليهما السلام، منهم الساحلي في (البغية) والفاسي في (المنح البادية) والبدير في (الجواهر الغوالي) وآخرون، فإن كان ثابتاً من جهة

النقل فهو من المزيد في متصل الأسانيد. لأن سماع الحسن من عليٍّ ثابت لا يحتاج إلى واسطة.

فصل

ومع ثبوت لقاء الحسن علياً عليه السلام ثبوتاً لا شك فيه ولا شبهة، كما يعلم مما أسلفناه، فالخرقة لم ينفرد بها الحسن البصري عنه، بل وردت عنه من طرق أخرى.

الطريق الأول عن الحسن السبط عليه السلام عنه كما سبق في سند الطريقة الشاذلية من رواية جبار عنه.

الطريق الثاني عن أويس القرني، عن عمر، وعلي، كما سبق أيضاً مع الكلام على كل من الطريقين.

الطريق الثالث عن الحسين السبط عليه السلام عنه، ويتصل من جهته عدة طرق منها الطريقة العلوية، وقد أفرد سندها وتراجم رجاله بمؤلفات منها (البرقة الشيقة في ذكر لباس الخرقة الأنيقة) للسيد أبي الحسن عليّ بن أبي بكر السكران المتوفى سنة خمس وتسعين وثمانمائة وكنز (البراهين الكسبية) للسيد شيخ بن محمد الجفري المتوفى سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف (وعقد اليوقيت الجوهرية) لشيخ بعض شيوخنا السيد عيدروس بن عمر الحبشي. وغيرها. قال: السيد علي بن أبي بكر السكران في البقرقة المشيقة وفي كتابه (الأنموذج اللطيف في مناقب الفقيه) المقدم محمد بن علي باعلوي: أخذ الفقيه المذكور وتأدب بأبيه الحسيب النسيب علي بن محمد، وعلي بن محمد تأدب بأبيه الإمام المحقق والبحر المدفق الشيخ محمد بن الشيخ علي علوي، والفقيه محمد تأدب بأبيه الشيخ الكبير صاحب الكرامات الخارقة والمكاشفات المشرقة، علي بن الشيخ علوي والشيخ علي هذا من كراماته: أنه كان إذا قال في تشهده في الصلاة السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، يسمع النبي ﷺ يقول له وعليك السلام يا شيخ ورحمة الله وبركاته، والشيخ علي بن علوي المذكور تأدب بوالده الشيخ الشريف علوي بن الشيخ محمد بن علوي والشيخ علوي تأدب

بأبيه الشيخ الحسيب النسيب الشريف محمد بن علوي والشيخ محمد بن الشيخ علوي بن الشيخ عبد اللّه تأدب بالشيخ الحسيب السني علوي بن الشيخ عبد اللّه بن الشيخ أحمد، والشيخ علوي بن عبد اللّه تأدب بأبيه الشيخ أبي المشايخ سلالة المبشر والنبوة، ومعدن العلم والفتوة، أبي علوي عبد اللّه بن الشيخ أحمد بن عيسى، والشيخ عبد اللّه تأدب بوالده الشيخ الكبير سلالة المجد الأنيل كمال الدين أحمد بن الشيخ عيسى، وأحمد بن عيسى هذا هو الذي خرج إلى حضرموت من البصرة، والشيخ أحمد تأدب بأدب أبيه الشيخ السيد الإمام الفاضل، والبحر الكامل مجموع أنواع المحاسن نور الدين علي بن الإمام جعفر الصادق، وبأدب أخيه موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، والإمام جعفر تأدب بوالده الشيخ الإمام محمد الباقر، ومحمد الباقر تأدب بوالده الإمام زين العابدين علي بن الحسين، وعلي بن الحسين تأدب بوالده سبط الرسول نجل البتول الحسين، والحسين تأدب بوالده الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعلي بن أبي طالب بالنبيﷺ، والنبيﷺ يقول: «أدبني ربي فأحسن تأديبي» اهـ.

ومنها الطريقة البخارية الشاهية المنسوبة إلى جلال الدين البخاري وإلى الشاه عالم.

قال الشيخ فقير الله بن عبد الرحمن الحنفي منذرية محمد بن الحنفية في كتابه (قطب الإرشاد): أخذتها عن الشيخ العلامة المحقق محمد هاشم التتوي عن السيد الشريف الجامع بين كمال الظاهر والباطن السيد محمد سعد اللّه بن السيد علام محمد الورتي، عن شيخه القطب الكامل، مظهر النور شاه عبد الشكور، عن السيد الشريف شاه صوفي الجهنجهاني، عن السيد شاه أبي الوقاء، عن السيد تاج الدين، عن السيد فريد عالم، عن شاه عالم، عن السيد قطب عالم، عن السيد محمود، عن السيد جلال الحق والدين البخاري، المعروف بمخزوم جهانيات، عن السيد أحمد الكبير، عن السيد حسين جلال الدين البخاري الكبير، عن السيدعلي، عن السيد جعفر، عن السيد محمد، عن السيد محمود عن السيد أحمد عن السيد عبد اللّه، عن الإمام السيد علي الأسقى، عن الإمام السيد جعفر،

عن الإمام السيد علي، عن الإمام السيد محمد الجواد، عن الإمام السيد علي الرضى، عن والده السيد الإمام موسى الكاظم، عن والده السيد الإمام جعفر الصادق، عن والده السيد الإمام محمد الباقر، عن والده السيد الإمام زين العابدين، عن والده السيد الإمام حسين الشهيد، عن والده الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، عن مرجع الكل سيدنا محمد صلى الله عليه وآله.

ومنها: الطريقة الشطارية إلا أن فيها الاتصال الروحاني بين الشيخ محمد المغربي، وأبي زيد البسطامي، وبين أبي يزيد البسطامي، وجعفر الصادق، لأن كلاً منهما لم يدرك الآخر، وإنما تلقن من روحانيته، كما في (الجواهر والسمط المجيد وقطب الإرشاد) وغيرها وساقها محمد بن عبد الرحمن الفاسي في (المنح البادية) مساق الطرق المتصلة من غير تنصيص على الأخذ الروحاني بين المغربي وأبي يزيد البسطامي، ولا بين أبي يزيد وجعفر الصادق، فوهم. وأوهم.

الطريق الرابع عن كميل بن زياد عنه، ومن جهته تتصل الطريقة الكُبروية المنسوبة إلى نجم الدين أحمد بن عمر بن محمد بن عبد اللّه الخوارزمي المعروف بالكبرى[1]، فإنه أخذ عن أبي إياس عمار بن ياسر بن محمد بن عماد بن مظهر، عن جمال الدين أبي المظفر عبد الصمد الزنجاني، عن أبي الفتوح أحمد بن محمد الغزالي، عن أبي بكر النساج، عن أبي القاسم الكركاني.

(ح) وأخذ نجم الدين الكبرى أيضاً عن أبي الحسن إسماعيل بن الحسن بن عبد اللّه القصري، عن محمد بن مالكيل، عن داود بن محمد المعروف بخادم الفقراء، عن أبي العباس بن إدريس، عن أبي القاسم بن رمضان، عن أبي يعقوب الطبري، عن أبي عبد اللّه عثمان المكي، عن أبي يعقوب النهرجوري، عن أبي يعقوب السوس، عن عبد الواحد بن زيد، عن كميل بن زياد، عن علي عليه السلام.

وتتصل من جهته أيضاً الطريقة الجشتية، فإن شيخها قطب الدين مودود ابن يوسف الجشتي، أخذ عن والده يوسف بن محمد بن سمعان.

---

(١) بضم الكاف ثم باء مفتوحة بعدها راء مفتوحة أيضاً.

عن والده محمد عن والده سمعان عن خاله محمد بن أبي أحمد أبدال الجشتي عن والده أبي أحمد ابن فرشناقة، عن أبيه. عن أبي إسحاق الشامي. عن ممشاد الدينوري. عن هبيرة البصري. عن حذيفة المرعشي. عن إبراهيم بن أدهم. عن الفضيل ابن عياض. عن عبد الواحد بن زيد. عن كميل بن زياد. عن علي عليه السلام.

فصل

وقول ابن خلدون: إن الصوفية جعلوا لبس الخرقة أصلاً لطريقهم، كذب منه وافتراء، فليس هو عندهم شرطاً للدخول فيها، فضلاً عن أن يكون أصلاً لها، وإنما جعله بعضهم علامة على الانتساب إلى الطريق، وعتبة على الدخول فيها، وأكثرهم أو كثير منهم كالشاذلية والنقشبندية لا خرقة في طريقهم أصلاً، كما بيناه سابقاً، فقول ابن خلدون كذب منه على الصوفية أو جهل بطريقتهم اليت لا يختلف اثنان من أهل العلم والإنصاف في أن أصلها العمل بالعلم على وجه الإخلاص، والأخذ بالعزائم، دون الرخص، وقد ذكر الناس للتصوف حدودًا بلغت الألفين ليس في شيء منها. أن التصوف لبس الخرقة، بل هي كلها راجعة كما قال الشيخ زروق إلى صدق التوجه إلى الله تعالى، واختلاف تلك الحدود. إنما هي وجوه فيه، وصدق التوجه مشروط بكونه من حيث يرضاه الحق، بما يرضاه ولا يصح مشروط بدون شرط، ولا يرض لعباده الكفر. فلزم تحقيق الإيمان (وإن تشكروا يرضه لكم) فلزم العمل بالإسلام، فلا تصوف إلا بفقه، إذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة إلا منه، ولا فقه إلا بتصوف، إذ لا عمل إلا بصدق توجه، ولا هما إلا بإيمان، إذ لا يصح واحد منهما بدونه. فلزم الجمع لتلازمهما في الحكم كتلازم الأرواح للأجساد، إذ لا وجود لها إلا فيها كما لا كمال له إلا بها، ومنه قول الإمام مالك رضي الله عنه: من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق، فتزندق الأول، لأنه قائل بالجبر الموجب لنفي الحكمة والأحكام، وتفسق الثاني لخلوه عن صدق التوجه الحاجز عن معصية الله تعالى، وعن الإخلاص المشروط في الأعمال، وتحقق الثالث لقيامه في

الحقيقة في عين تمسكه بالحق اهـ. فأصل التصوف هو الإيمان والإسلام، والعمل بمقتضاهما، بل هو روحهما اللازم لهما ملازمة الروح للجسد، بحيث يكون وجودهما بعدمه كوجود جسد بلا روح، ولذلك حكم الإمام رضي الله عنه على الفقيه الذي لم يتصوف بالفسق، لأن أعماله كلها مبنية على غير إخلاص، وجارية على مقتضى هواه وطبيعته، لا على هدى الشريعة وما جاءت به، وقد قال النبيﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تابعاً لما جئت به» وما جاء به هو ما عليه الصوفية رضي الله عنهم، بدليل أنه يصدر على يديهم من الكرامات مثل ما كان يجري على يد الأنبياء من المعجزات. وما ذلك إلا لكمال المتابعة وتمام التمسك بما جاء به النبيﷺ، ووراثة علمه كما قالﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء» فهم الوارثون وحدهم، لظهور ما كان عند المورثﷺ من الأحوال والأخلاق والأعمال عندهم، لا عند الفقهاء، وعلماء الظاهر الذين يظنون أنهم العلماء الوارثون جهلاً منهم، واغتراراً وادعاء وافتراء، فإن من ترك ذهباً وفضة وياقوتاً وجوهراً ظهرت عند بعض أصحابه، ثم ظهر عند البعض الآخر حديد ونحاس وقصدير ورصاص، وادعى الكل أنه الذي ورث ما كان عند صاحبه، فإن الأول صادق يشهد له العيان ويصدقه ما بيده من الذهب والجوهر، والثاني كاذب في دعواه، لأنه ليس بيده شيء مما كان عند صاحبه، فالصوفية رضي الله عنها يشهد لوراثتهم وجود التركة عندهم، وهي العمل والتقوى والخشية والزهد والورع والكرم والحلم والصبر والاحتمال وملازمة الذكر والمراقبة وغير ذلك من المقامات التي هي سيرة النبيﷺ، وأخلاقه المعروفة في كتب الحديث، والمروية بنقل الكافة عن الكافة، لا بنقل الصوفية وحدهم فإن ادعى الفقهاء وعلماء الظاهر أنهم متمسكون بذلك أيضاً كما هو الواقع، كذبهم فراغ اليد من النتيجة فإن الصوفية رضي الله عنهم تظهر على يديهم نتيجة متابعة النبيﷺ في تلك الأعمال والأخلاق، وهي العلم اللدني الذي تتفجر ينابيعه من صدورهم، دون تعلم ولا مدارسة، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ وهم القوم الذين يعلمهم الله لا غيرهم، فدل على أنهم المتقون لا غيرهم، إذ لو كانوا متقين مثلهم لعلمهم الله تعالى، كما علمهم. وأيضاً لو اتبعوا النبيﷺ لأحبهم

الله: «فاتبعوني يحببكم الله» ولو أحبهم الله، لكان سمعهم وبصرهم كما في الحديث الصحيح، ومن كان الله سمعه وبصره ويده ورجله سمع البعيد، ونظر إلى المغيب، وجرى على يده ما يعجز عنه البشر، ومشى برجله إلى ما لم يصل إليه غيره، وصار العالم كله عنده بمنزلة نقطة واحدة، وهذا إنما يصدر على يد الصوفية رضي الله عنهم. فدل على أنهم المحبوبون الفائزون بكمال المتابعة، وأن الفقهاء وعلماء الظاهر لاحظ لهم في كمال المتابعة، وإنما لهم منها الصور الظاهرة. والله تعالى لا ينظر إلى الصور وإنما ينظر إلى القلوب والبواطن، وبهذا تحقق صدق ما قاله الإمام مالك رضي الله عنه. وأن كل من لم يتصوف من الفقهاء، فهو فاسق، والفاسق لا تقبل شهادته لسقوط مروءته وانخرام ديانته، هذا فيمن يكون متظاهراً بالصلاح، والميل إلى الخير والدين، فكيف بالفجار من العلماء الذين لا رغبة لهم إلا في الدنيا، ولا نظر لهم إلا في الأسباب، والطرق الموصلة إليها، ولاشغل لهم إلا بها، نسأل الله السلامة والعافية، وابن خلدون كان من رؤوس هذه الفرقة مع الفسق الظاهر، والميل إلى الأحداث وخدمة الملوك والأمراء، وبغض أهل البيت الأطهار، وعداوة أهل الله، فلا جرم ينطق فيهم بمثل ما نقلناه عنه، فإن من سخط الله عليه وسقط من عينه، ابتلاه بالوقيعة في الصوفية الذين هم صفوة الله من خلقه، وألقى في قلبه عداوتهم حتى يبارزهُ بالمحاربة، ويلقي الله تعالى على ذلك نعوذ بالله من الخذلان.

فصل

ولو كان لبس الخرقة أصل طريق الصوفية كما يقول ابن خلدون، لكان جل الرواة وأهل الحديث صوفية فقد لبس الخرقة أمم لا يحصيها إلا خالقها ولا يحيط بها إلا ربها، من القرن السادس إلى وقتنا هذا، بل لبسها حتى أشد الناس عداوة للصوفية، وأكثرهم إنكاراً عليهم، وطعناً في طريقهم، كما يعلم من كتب الرجال وتواريخهم، ورواة السنن والمسانيد ومعاجم المتأخرين وإثباتهم، وفهارسهم ومسلسلاتهم، وقد لبسها الحافظ ابن حجر من يد جماعة كما في (معجمه) وألبسها أيضاً لجماعة، مع طعنه فيها، وجزمه بانقطاع سندها. وكونه من أبعد الناس عن التصوف والصوفية

وكذلك تلميذه الحافظ السخاوي، بل ولبسها من هو أشد الناس عداوة للصوفية منهما كالذهبي وأمثاله، فلو كانت هي أصل طريق التصوف والتخلي كما يقول ابن خلدون، لكان هؤلاء من مشايخ الصوفية، ويكفي في بطلان هذا سماعه.

قال الحافظ السخاوي في (المقاصد الحسنة) قال: شيخنا يعني الحافظ: إنه ليس في شيء منطرقها ما يثبت، ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبيﷺ ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه، ولا أمر أحداً من أصحابه بفعل ذلك إلى آخر ما سبق عنه. ثم قال: ولم ينفرد شيخنا بهذا، بل سبقه إليه جماعة حتى من لبسها وألبسها كالدمياطي والذهبي والهكاري وأبي حيان والعلائي ومغلطاي والعراقي وابن الملقن والأبناسي والبرهان الحلبي وابن ناصر الدين وتكلم عليها في جزء مفرداً وكذا أفردها غيره ممن توفي من أصحابنا، وأوضحت ذلك كله مع طريقها في جزء مفرد، بل وفي غيره من تآليفي، هذا مع إلباسي إياها الجماعة من أعيان الصوفية امتثالاً لإلزامهم لي بذلك حتى تجاه الكعبة المشرفة تبركاً بذكر الصالحين، واقتفاء لمن أثبته من الحفاظ المعتمدين اهـ.

وقال أيضاً في كتابه (الجواه المكللة في الأخبار المسلسلة) وكنت بحمد الله ممن لبست الطاقية الصوفية من جماعة كثيرين منهم الإمام الزاهد الحبر مفيد القاهرة الزين رضوان المقري. الحافظ بلباسه لها من الشيخ الرحلة[1] الصدر محمد بن محمد البكري، بلباسه لها من القطب أبي بكر محمد بن أحمد القسطلاني، بلباسه لها من الإمام الشهاب أبي حفص السهروردي، بلباسه لها من قطب الأقطاب المحيوي أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح الكيلاني، بلباسه لها من أبي سعد المبارك بن علي المخرمي، وهو من أبي الحسن علي بن أحمد الهكاري، وهو من أبي الفرج الطرسوسي، وهو من أبي الفضل عبد الواحد التميمي، وهو من والده عبد العزيز، وهو من أبي بكر الشبلي، وهو من سيد الطائفة أبي

---

(١) بضم الراء المشددة وفتح الحاء واللام.

القاسم الجنيد البغدادي، وهو من خاله أبي الحسن السري السقطي، وهو من أبي محفوظ معروف الكرخي وهو فيما يزعمه الصوفية من أبي سليمان داود بن نصير الطائي، وهو كذلك من أبي محمد حبيب العجمي، وهو فيما هو ممكن من الإمام أبي سعيد الحسن البصري وهو فيما عند الصوفية من علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: وإنما أثبت هذا هنا تبركاً بذكر الصالحين، واقتفاء لكثير من أئمة الحديث الماضين. اهـ.

وقال ابن الصلاح فيما نقله عنه الحافظ السيوطي في (زاد المسير) ولي في الخرقة إسناد عال جداً، ألبسني الخرقة أبو الحسن المؤيد بن محمد الطوسي، قال أخذت الخرقة من أبي الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد بن أبي القاسم القشيري، قال: أخذت الخرقة من جدي الإمام أبي القاسم، وهو أخذها من أبي علي الدقاق وهو أخذها من أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن حمويه النصرآباذي، وهو أخذها من أبي بكر الشبلي، بسنده السابق.

وقال الحافظ شمس الدين بن الجزري في (أسنى للطالب بمناقب علي بن أبي طالب) لبست الخرقة المباركة من يد شيخي وأستاذي الشيخ الصالح المسند المعمر أبي حفص عمر بن الحسن بن زيد بن أميلة المراغي، ثم الحلبي، ثم المزي، في يوم الثلاثاء ثامن عشر شوّال سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة وأخبرني أنه لبسها من يد شيخه الإمام العلامة الزاهد العارف العابد الناسك عز الدين خطيب الخطباء أبي العباس أحمد بن الشيخ الإمام العالم الصالح الزاهد محي الدين إبراهيم بن عمر ابن الفرج بن أحمد بن شابور الواسطي الفاروثي، شيخ القراءات والتفسير والتصوف في سنة تسعين وستمائة، وللشيخ عز الدين المذكور في خرقة التصوف ثلاث طرق أحمدية وقادرية وسهروردية. فأما الأحمدية فإنه لبسها من يد والده الشيخ محي الدين إبراهيم المذكور، وهو لبسها من يد والده الشيخ أبي حفص عمر بن الفرج، وهو لبسها من يد شيخه ومربيه الشيخ الصالح الإمام العالم سيد مشايخ زمانه سيدي أحمد ابن الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعة المغربي المعروف بابن الرفاعي، رحمه الله عليه. وأما القادرية فإنه لبسها من يد شيخه الإمام شيخ

العارفين وإمام السالكين شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد بن عبد اللّه المعروف بعمويه[1] بن سعد بن الحسين البكري السهروردي، وهو لبسها من يد الشيخ الإمام العالم السيد الكبير صاحب المواهب والكرامات والعجائب الظاهرات أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست ابن عبد اللّه بن يحيى الكيلاني، وأما السهروردية، فإن الشيخ شهاب الدين السهروردي رحمة الله عليه لبس من يد شيخه وعمه الشيخ الإمام العارف الكبير ضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر، ثم ذكر سنده السابق إلى الجنيد، ثم إلى النبيﷺ.

وقال الحافظ السيوطي في (زاد المسير): ذكر سندي بلبس الخرقة وتلقين الذكر، لبست الخرقة عن الشيخ الإمام العالم الصالح كمال الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن الشافعي المعروف بابن إمام الكاملية تجاه الكعبة المشرفة في شوال سنة تسع وستين وثمانمائة، وأجاز لي أن ألبسها من شئت وكتب لي خطة بذلك، وأخبرني أنه لبسها من الشيخ شمس الدين محمد بن محمد الجزري، وهو لبسها من الشيخ زين الدين أبي حفص عمر بن الحسن بن أميلة المراغي، إلى آخر ما سبق عنه.

وقال الحافظ تقي الدين الفاسي في (ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد) في ترجمة محمد بن أحمد الرفا: ولبس خرقة التصوف من العز بن جماعة، وأبي الحزم القلانسي، والعفيف اليافعي، والصدر الميدومي، وناصر الدين الفارقي، والشيخ خليل المالكي، والشيخ حيدر الفارسي، وألبسها عنهم.

وقال في ترجمة قطب الدين محمد بن أحمد القسطلاني وسمع علي الشيخ شها الدين عمر السهروردي، كتاب (عوارف المعارف) ولبس منه خرقة التصوف اهـ.

وقال ابن حجر الهيتمي في (فهرسته): حكى التاج السبكي في طبقاته عن القاضي عز الدين الهكاري بن خطيب الأشمونين في مصنف ذكر فيه

---

(١) بفتح العين وضم الميم وفتح الياء بعدها ساكنة.

سيرة الشيخ عز الدين بن عبد السلام: أن الشيخ عز الدين لبس خرقة التصوف من الشيخ شهاب الدين السهروردي وأخذ عنه. اهـ.

وقال قبل ذلك: ذكر طريق القوم السالمين من المحذور واللوم، في تلقين الذكر، ولبس الخرقة جرياً على قاعدتهم في ذلك. أخذت ذلك عن جماعة كثيرين من أئمة الطريق الجامعين بين العلوم الظاهرة والباطنة، والأحكام والحكم، والحقائق الموجودات، المتحركة والساكنة. لكن منهم من غلب عليه الأول كشيخنا العارف المحقق الشمس بن أبي الحمائل، ومنهم من غلب عليه الثاني كأشياخنا الثلاثة السابقين، يعني شيخ الإسلام زكريا الأنصاري وعبد الحق السنباطي والحافظ جلال الدين السيوطي، نعم شيخنا زكريا ممن تربى بتربية القوم، فتلقن الذكر، ولبس الخرقة، واختلى وجاهد نفسه إلى أن أشرقت عليه أنوار القبول، وخضعت لديه من أكابر العلماء الفحول، ولقد قال يوماً لشيخه العارف السراج النبتيتي، وكان الخضر يجتمع به كثيراً: يا مولاي لعلكم تجمعوني على الخضر فقال حتى أستأذنه، ثم سأل شيخه هل اجتمعتم بالخضر؟ وما الذي ذكره لكم في أمري؟ فقال: استأذنته لك في أنك تجتمع به، فقال: إلى الآن ما جاء إبان الاجتماع، أنه رجل صالح، قال شيخنا زكريا: أخذت طريق القوم وتلقنت ولبست الخرقة من السادة المنتدبين للإرشاد والإفادة، وذكر أسماءهم، لكنا نقتصر على بعضهم إيثاراً للاختصار، وهو العارف السراج النبتيتي السابق ذكره أيضاً، قال: أخذت ذلك كله عن الجمال بن أبي المحاسن يوسف بن الصفي، عن التاج محمد العجمي، عن قطب الوقت سيدي يوسف العجمي الكوراني، (صاحب الزاوية المشهورة بقرافة مصر) وقبره مشهور بها مجرب لإجابة الدعاء عنده، بل قيل إنه يربى وهو في قبره، ولقد رأينا من انقطع بتلك الزاوية سنين عديدة، فلاحت عليه لوائح أهل الطريق، وكثرت أتباعه، وسيدي يوسف أخذ عن النجم محمود الأصفهاني، عن المظفري، عن النجيب علي بن برغوش الشيرازي، عن شيخ الإسلام عمر السهروردي، بإسناده.

قال: ومن طرق شيخنا زكريا في ذلك: أنه أخذ ذلك عن أحمد

الدمياطي الشهير بالزلباني، وهو عن الزين أبي بكر الخوافي، وهو عن الزين الشبرشتي القاهري، عن سيدي يوسف العجمي، إلى آخر السند المذكور. اهـ.

وقال القسطلاني في المواهب اللدنية بعد نقل كلام شيخه السخاوي في الخرقة ما نصه: نعم ورد لبسهم لها مع الصحبة المتصلة إلى كميل بن زياد، وهو صحب علي بن أبي طالب من غير خلف في صحبته له بين أئمة الجرح والتعديل، وفي بعض الطرق اتصالها بأويس القرنى، وهو اجتمع بعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، وهذه صحبة لا مطعن فيها، وكثير من السادات يكتفي بمجرد الصحبة كالشاذلية وشيخنا أبي إسحاق المتبولي، وكان يوسف العجمي يجمع بين تلقين الذكر وأخذ العهود واللبس، وله في ذلك رسالة (ريحانة القلوب) قرأتها على ولد ولده العارف بالله تعالى المسلك سيدي علي مع إلباسه لي الخرقة والتلقين والعهد، وللشيخ قطب الدين القسطلاني (ارتقاء الرتبة في اللباس والصحبة) اهـ.

وقال الشيخ أبو عبد اللَّه محمد بن سليمان الروداني في (صلة الخلف بموصول السلف) سلسلة لبس الخرقة الصوفية طرقها كثيرة متشعبة. أفردها بالتصنيف ابن أبي الفتوح الطلوسي الصوفي، وسماه (جمع الفرق لرفع الخرق) اقتصر منها على الخرقة المدينية: نسبة إلى أبي مدين الغوث، فأقول: لبست الخرقة الصوفية المدينية من يد شيخنا أبي عثمان الجزائري، قدس الله روحه، وأكبر ظني أن الذي قاله لي عند ذلك خالدة تالدة، لا تباع ولا توهب، وهو لبسها من يد شيخه أبي عثمان المقري، وهو لبسها من يد أبي العباس أحمد بن حجي[1] الوهراني، وهو لبسها من يد شيخ الطريقة التازية أبي سالم سيدي إبراهيم التازي، وهو لبسها من يد أبي الفتح محمد بن أبي بكر بن الحسين المراغي المدني، بالمسجد النبوي ومن يد سيدي صالح بن محمد بن موسى الزواوي.

أما المراغي فلبسها من يد أبي المعروف إسماعيل بن إبراهيم

---

(١) بفتح الحاء وكسر الجيم المشددة.

الجبرتي، وهو من يد الشيخ الضجاعي، من يد برهان الدين العلوي، عن أبي العباس أحمد بن إبراهيم بن الجماس، عن أبي الفضل القاسم بن سعد بن محمد العذري، عن الحافظ أبي عبد اللّه يوسف الخلاسي، عن أبي بكر محمد بن يوسف بن مسدي الأزدي عن أبي أحمد جعفر بن عبد اللّه بن سيديونه الخزاعي.

وأما الزواوي فلبسها من يد المعمر محمد بن مخلص الطيبي، من الشيخ مغلطاي بن قليج، من أبي عبد اللّه العريان، من والده الشيخ جماعة الطويل الناصري، من الشريف أبي محمد التاجوري، من القطب أبي محمد صالح، وهو والخزاعي من يد الغوث الفرد الجامع أبي مدين شعيب بن الحسن القطنياني، إلى آخر سنده السابق. وقد لبسها من يد الروداني جماعة منهم عبد اللّه بن سالم البصري كما في ثبته.

وقال أبو سالم العياشي في (مسالك الهداية إلى معالم الرواية) البسني سيدي أبو مهدي عيسى الثعالبي كما لبس هو من العالم الحجة أبي عثمان سعيد بن إبراهيم الجزائري بسنده السابق عند الروداني.

وقال أبو عبد اللّه محمد بن عبد الرحمن الفاسي (في المنح البادية) في الخاتمة التي عقدها لذكر الخرقة وتلقين الذكر، أما القادرية فقد ألبسنيها السيدان الشريفان أبو العز السلاوي، وأبو الجمال الجزائري، وهما عن أبي عثمان سعيد بن إبراهيم قدورة، وهو من سيدي سعيد بن أحمد المغربي، وهو من سيدي أحمد حجي الوهراني، وهو من الولي الشهير سيدي إبراهيم التازي، دفين وهران المتوفى سنة ست وستين وثمانمائة وهو من العارف سيدي صالح بن محمد بن موسى الزواوي، وهو من أحمد بن محمد بن مخلص الطيبي، ومن محمد إبن أيدمر، وهما من شرف الدين العادلي، وهو من ناصر السنة عبد اللّه بن شجاع بن القاسم المعدني، وهو من أبي عبد اللّه محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد ابن علي بن سرور المقدسي، وهو من الشيخ عبد القادر الجيلي، ثم ذكر طرقاً في نحو ثلاث ورقات.

وقال المقري في (أزهار الكمامة في أخبار العمامة) وقد ذكر ابن فهد

في مؤلف له، سنده في إرخاء العذبة، ولبس الخرقة، وتلقين الذكر. فقال: لقنني الذكر وألبسني العذبة في عمامة لفها بيده المباركة سيدي الشيخ محمد ابن عراق، وقال لي: تلقنت الذكر، وأخذت العذبة من القطب سيدي الشريف زين الملة والدين أبي الحسن علي بن ميمون الفاسي ثم الصالحي الحسني المالكي، وهو أخذ ذلك عن أستاذه صاحب الكرمات سيدي أبي العباس أحمد بن محمد التباسي التونسي المغربي، وهو أخذ عن شيخه الولي الكبير أبي العباس أحمد بن أبي سعيد مخلوف الشابي القيراوني الهذلي، وهو أخذ عن الشيخ عبد الوهاب الهندي وهو أخذ عن مشايخ أجلاء، مكملين، هنديين، وسنديين، وهم أخذوا عن الشيخ القدوة أبي مدين شعيب التلمساني، فذكر سنده السابق.

قال المقري: كتب لي هذا السند من هذا الطريق إلى شيخه عبد الوهاب الهندي سيدي الشيخ الأستاذ الشهير أبو الغيث القشاش التونسي، رضوان الله عليه، وقد ألبسني قلنسوته وجبته، ولم أر وجهه، ولكن سمعت كلامه، لكونه حين قدمت تونس المحروسة، كان لا يظهر للناس، وقد كتبت ذلك في غير هذا الموضع، وممن لبست منه الخرقة سيدي الشيخ أحمد بن أبي القاسم الهروي التادلي، بحضرة مراكش، سنة عشر وألف، عن شيخه الخروبي الطرابلسي، عن شيخه الكبير الشهير سيدي أحمد زروق البرنوسي، بسنده المعروف.

ولنعد إلى كلام ابن فهد فنقول:

قال ابن فهد بعد أن ذكر السلسلة المتقدمة، ما صورته: هذه السلسلة جليلة المقدار عظيمة الافتخار، متضمنة لجماعة من العلماء والصوفية الكبار، لكن في كثير من رواتها جهالة، وغير ذلك مما لا يعرج عليه في مثل هذه الحالة، وإنما القصد التبرك بها، والاقتداء بمن أخذها من أعيان الصوفية أرباب الولايات، والأحوال السنية، وكلهم متفقون عليها، لا يختلف اثنان فيها، ولها طرق كثيرة، بروايات شهيرة، مذكور في بعضها: أن النبي ﷺ أخذ عن جبريل عليه السلام، وهو أخذ عن الله تبارك وتعالى، فقيل لأحد رواتها سيدي الشيخ القطب الرباني عبد

القادر الجيلاني، نفع الله به: ما أخذ عنه؟ قال: العلم والأدب.

وسئل الحافظ قاضي القضاة بمكة المشرفة جمال الدين محمد بن عبد اللَّه بن ظهيرة القرشي الشافعي رحمه الله تعالى، عن لبس الخرقة المتداولة بين طائفة الصوفية، وهل لها أصل في الشرع؟ أم لا؟ وهل سندها متصل بالنبيﷺ اتصالاً محكوماً به؟ أم لا؟ وغير ذلك مما يذكر في الجواب.

فأجاب: لبس الخرقة أمر مشهور معمول به من زمن السلف إلى اليوم، ولها أصل في الشرع، وهو: أن النبيﷺ خلع بردته على كعب ابن زهير لما أنشده قصيدته المشهورة التي أولها (بانت سعاد) كما ذكره أهل السير وغيرهم، وقد ألبس النبيﷺ غير واحد من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، ومن تتبع مثل ذلك وجده كثيراً في رجال ونساء، ولم يزل أكسابر الصوفية والعارفون بالله، يستعملونها كمعروف والسرى والجنيد وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين، كسيدنا الشيخ قطب الأولياء سيدي عبد القادر الجيلاني، والإمام أبي النجيب السهروردي، وقبلهما الإمام أبو حامد الغزالي، وشيخه إمام الحرمين، وغيرهم ممن لا يحصى كثرة، وهي عمل الناس في الأقطار، على اختلاف الأعصار، بها يتبركون، ولها يستعملون، ولهم فيها طرق كثيرة صحيحة متصلة بأرباب الولايات، والأحوال السنية، وأعيان الصوفية وكلهم متفقون عليها، لم يختلف فيها اثنان فيما علمت فمنكرها غبي جامد، وما للفقهاء الجامدين والكلام في ذلك؟ وطريق معروف عن مولانا السيد أبي الحسن الرضى متصلة عن آبائه السادة الأكرمين، وهي واضحة، وأما طريق الحسن البصري عن علي رضي الله عنه، فأهل الحرمين ينكرون سماعه منه، وروايته عنه، لعدم اتصاله به، وإن كان ممكناً. وأما أهل الطريق، فمتفقون عليها، ومن زعم أنها بدعة، فقد أخطأ الطريق، وهي موجودة في الصدر الأول ونجوز روايتها بالأسانيد، ولا مانع من ذلك، بل ينبغي لمريد الخير أن يرغب في ذلك، لتحصل له بركة السادة أولياء الله الصالحين، ويحصل له الاتصال بهم، والانتظام في سلكهم، نفع الله بهم، وقد لبسناها ولنا فيها طرق كثيرة،

وكذلك مشايخنا العلماء ومشايخهم، وعلى ذلك عمل الناس في ديار مصر، والشام والعراق، وخراسان، والمغرب وسائر بلاد الإسلام. اهـ.

وقال: أبو الحسن علي بن إبراهيم البوتيجي في (السمط المجيد للطالب المجيد) ألبسني شيخنا الشهاب أحمد العجمي، وهو لبسها من الشيخ أحمد السحيمي، ولقنني الذكر وألبسني طاقيته شيخنا شرف الدين الأنصاري، بحق أخذه عن جده الشيخ الصالح المسند محيي الدين، بأخذه عن جده لأبيه جمال الدين بأخذه عن والده شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: أخذت عن غير واحد من السادة، منهم أو حد الجماعة القائم في النصيحة بين العباد، بما استطاع، الشمس أبو محمد عبد اللّه بن محمد بن عمر الواسطي الأصل الغمري. والشهاب أبو العباس أحمد بن علي بن موسى الأنصاري. والشمس أبو الفتح محمد ابن أحمد بن أبي بكر القوي. والسراج أبو حفص عمر بن علي النبتيتي. والشهاب أحمد بن الفقيه علي بن محمد بن تميم الدمياطي الشهير بالذلباني. والزين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن إسحاق بن محمد التميمي الخليلي الشافعيون. وهم مفترقون بالقاهرة. إلا النبتيتي. فبزاويته بقرب خانكة سريافوس. نفعنا الله ببركاتهم. وتلقنت الذكر. ولبست الخرقة جرياً على قاعدتهم في ذلك. ممن عدا الأول. وأذنوا لي في التلقين والإلباس ونحو ذلك. بأخذ الأول عن الشيخ أبي العباس أحمد الزاهد. والثاني والثالث عن الشيخ برهان الدين إبراهيم بن عمر بن محمد الأنقاوي. والرابع عن الشيخ جمال الدين أبي المحاسن يوسف الصفي. والخامس عن الزين أبي بكر بن محمد بن محمد علي الخوافي، وعبد العزيز الغزنوي. والسادس عن الشيخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد الناصح. بأخذ الزاهد عن الشهاب الدمشقي. وهو عن عبد الرحمن الشرفي. وهو عن عبد الرحمن الروذباري. وهو عن علي الألاء وهو المجد البغدادي. وهو عن النجم أبي الجناب أحمد بن عمر بن محمد عرف بالبكري. وهو عن عثمان. وبأخذ كل من الخوافي والغزنوي والأنقاوي عن الزين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام القرشي الشبرتيشي ثم القاهري. وبأخذ الصفي عن كل من الشيخين التاج

أبي عبد اللّه محمد بن أبي المحاسن يوسف بن عبد اللّه بن عمر بن علي ابن خضر الكوراني العجمي، بل وبلغني أن الشيخ يوسف الصفي اجتمع به، فلعله أخذ عنه، بأخذه عن الفقيه حسن الشمشيري، والنجم محمود الأصفهاني، بأخذ أولهما عن ثانيهما، وكذا عن البدر محمود الطوسي، وهما عن النور عبد السلام الطنزي، وهو عن النجيب علي بن برغوش الشيرازي بسنده السابق اهـ.

وقال أبو الفيض محمد مرتضى الزبيدي في (الفوائد الجليلة بتعليق مسلسلات عقيلة) لبست الطاقية والقميص من يد شيخي الشيخ عبد الخالق ابن أبي بكر، وهو لبس من ابن عقيلة بسنده.

ولست أيضاً من شيخي السيد وجيه الدين عبد الرحمن العيدروس، وشيخي السيد سليمان بن يحيى بن عمر الأهدل الحسيني، وهما لبسا من يد السيد وجيه الدين عبد الرحمن بن عبد اللّه بَلْفقيه[1] الحسيني التريمي، قال الثاني: إجازة مكاتبة من بلده إلى زبيد، وهو لبس من القطب السيد عبد اللّه بن علوي باحداد، بسنده.

ولبست من شيخي محمد بن الطيب الفاسي، وشيخي إسماعيل بن عبد اللّه النقشبندي، وهما لبسا من السيد عمر البار، وهو لبس من يد السيد باحداد، بسنده.

سند آخر: لبس الشيخ محمد عقيلة من السيد علي بن عبد اللّه صاحب سورة إجازة مكاتبة بسنده.

ولبست من يد السيد الوجيه عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس، والحسين ابن عبد الرحمن بن محمد العيدروس، وهو من شيخه علي بن عبد اللّه صاحب سورة، بسنده.

وسند آخر في إلباس الخرقة القادرية: لبست من شيخي عبد الخالق، وهو لبس من ابن عقيلة وهو لبس من قاسم بن محمد البغدادي، من شيخه السيد علي القادري، بسنده.

---

(١) بفتح الباء وسكون اللام، وهذه الباء في لغة حضرموت تفيد معنى: آل فلان.

ولبست من يد السيد عماد الدين محمد، وهو لبس من يد جده السيد أبي عبد اللَّه محمد، وهو من يد السيد ياسين الحموي، من يد والده السيد عبد الرزاق، من يد والده السيد شرف الدين بسنده.

ولبست من يد السيد علي بن موسى بن شمس الدين الحسيني، وهو لبس من يد الشيخ عبد الغني النابلسي، وهو لبس من يد السيد ياسين بسنده.

ولبست من يد السيد محمد أبي بكر بن عبد الرحيم الحسيني البغدادي، وهو من يد الشيخ قاسم البغدادي بسنده.

ولي طرق في إلباس الخرقة القادرية غير ما ذكره ابن عقيلة، فمن العوالي: أني لبست من الشيخ الزاهد محمد بن عبد الكريم القادري المدني، من يد شيخه عبد النبي البصري، من الشيخ حسين البصري، من محمد صادق، من محمد قاسم، من عبد الفتاح، من الشيخ غريب الله، المعمر أربعمائة سنة، من الشيخ داود الهداد، من الشيخ القطب عبد القادر الجيلاني، قدس الله سره.

ويلي ذلك أني لبست من يد السيد محيي الدين نور الحق الحسيني المكي، من السيد سعد الدين غلام محمد، من يد المعمر السيد عبد الشكور الحسيني، من يد المعمر السيد شاه مسعود الأسفرايني، ثم ذكر سند آخر مسلسلاً بالأهدليس.

قلت: وإنما لم أذكر سند الأصل الذي هو مسلسلات عقيلة، لأنه لم يقع له ذلك بشرطه، إنما رواه بالإجازة، فإنه قال: أخذت الإجازة والإلباس بالمراسلة والمكاتبة، عن السيد الجليل، والسند المثيل، العلامة القدوة المحقق السيد عبد اللَّه بن علوي الحداد، وهو أخذ ولبس من مولانا العارف بالله الكبير السيد محمد بن علوي باعلوي، نزيل مكة المكرمة، فذكر سنداً مسلسلاً بالسادات العلويين.

ثم قال: وسند آخر بالمكاتبة أيضاً: ألبست الخرقة من السيد الجليل، والسند المثيل، العارف الكبير، الولي الشهير، السيد علي بن عبد

اللَّه العبدروس، الساكن بندر سورت من أرض الهند، وصورة ما كتبه لي، ثم ذكر نص إجازته.

فصل

فهذا ما يتعلق بالخرقة وسماع الحسن من كلام ابن تيمية، وابن خلدون. وأما ما يتعلق بالأبدال، والمهدي المنتظر، والطعن في الصوفية من كلام ابن خلدون، فسنفرد لكل من المسائل الثلاثة كتاباً خاصاً إن شاء الله تعالى، وقد سبق ردي على ابن خلدون طعنه في أحاديث المهدي في كتاب سميته (إبراز الوهم المكنون) وهو مطبوع[1]، وسنعود للكتابة فيه مرة أخرى، إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) بدمشق بمطبعة الترقي سنة ١٣٤٧، وجدير لهم بأن يعاد طبعه لأهمية فائدته وللشوكاني كتاب مطبوع في الهند، بين فيه تواتر أحاديث المهدي ونزول عيسىﷺ والدجال. أما حديث الأبدال، فهو ثابت صحيح مخرج في سنن أبي داود وغيرها من كتب السنة، واشتهر في زمن السلف ووصف به كثير منهم، قال قتادة: لا نشك أن الحسن البصري من الأبدال. وقيل في حماد بن سلمة: إنه من الأبدال، لأنه تزوج نحو مائة امرأة فلم يولد له. ومن علامة الإبدال أن لا يولد لهم وقال إبراهيم الخواص في الإمام الشافعي: إنه في الأبدال، ومن اطلع على كتاب تهذيب التهذيب والميزان ولسانه لوجد أسماء كثيرة نحو كراستين وصفوا بالإبدال وللحافظ السخاري يضعف حديث الأبدال لكنه اعترف مع ذلك باشتهار استعمال هذا اللفظ بين السلف وهلم جرا. وهذا كاف في تصحيحه لو أنصف وتأمل، لأن من المقرر في علمي الحديث والأصول، أن الحديث الضعيف يصححه تلقي الأمة له بالقبول، كحديث تلقين الميت، ولا وصية لوارث، أخذ بهما الأئمة (رحمهم الله تعالى) مع ضعفهما، لتلقي الأمة لهما بالقبول، فكذلك حديث الأبدال، ثم كيف سها السخاوي عن حديث أم سلمة في سنن أبي داود، وفيه ذكر الأبدال بإسناد صحيح؟! وهذا آخر ما رأينا كتابته، راجين التوفيق من الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

المقدمة ٥

خطبة الكتاب وذكر الباعث لتأليفه ٢٥

مقدمة وفيها بيان لزوم الشيخ في العلم والطريقة ٢٧

الاتصال بالشاذلي من طريق الجزولي وزرّوق ٢٩

سند الطريقة الصديقية ٣٥

لأبي الحسن الشاذلي طريقتان: طريقة تحكيم وإرادة، وطريقة خرقة وتبرك، وبيانهما بتفصيل ٤٥

طريقة الخرقة لأبي الحسن الشاذلي ٥٨

بقية شيوخ الشاذلي في طريق الخرقة ٦٦

محيي الدين ابن العربي من شيوخ الشاذلي ٦٧

طعن في خرقة التصوف جماعة ٧٢

نص طعن ابن تيمية في الخرقة ٧٢

نص طعن ابن خلدون فيها أيضاً ٧٤

حكم العلماء بنفاق ابن تيمية لثبوت بغضه لعليّ عليه السلام ٧٦

ابن خلدون كان ناصبياً منحرفاً عن عليّ عليه السلام ٧٨

كذب ابن تيمية في حكاية الاتفاق على تقديم أبي بكر رضي الله عنه ... ٧٩
قال الشيوخ: أعطى عليّ عليه السلام العلم اللدني ٨٢
حديث صحيح يفيد تقديم عليّ عليه السلام على الشيخين رضي الله عنهم ... ٨٥
كان عمر رضي الله عنه يقول: لولا عليّ عليه السلام لهلك عمر ٩٠
أعلم الأمة وأقضاهم عليّ عليه السلام بدون استثناء ٩٣
يضرب المثل بعلم عليّ عليه السلام وشجاعته ٩٤
التفضيل بين الصحابة ظني لا قطعي ٩٥
فضل جمع من الصحابة عليًا عليه السلام على جميع الصحابة ٩٨
كذب حكاية الإجماع على تفضيل الشيخين رضي الله عنهما ١٠٥
عليّ عليه السلام مرجع أهل التوحيد والتفسير والتصوف وغيرهم ١٠٨
مزايا عليّ عليه السلام على جميع الصحابة ١١٠
بيان بطلان كلام ابن خلدون أيضاً ١١٥
اختصاص جماعة من الصحابة كل في علم معين ١١٧
عهد النبي عليه الصلاة والسلام إلى عليّ عليه السلام سبعين عهداً لم يعهدها لغيره ١٢٢
رجوع إلى إبطال بقية كلام ابن تيمية ١٢٤
الصوفية لا يعرفون الخرقة، وإنما يعرفون الصحبة والاقتداء ١٢٧
كلام الشيخ الأكبر في معنى لبس الخرقة، وهو نفيس ١٣٠
العجلة مذمومة إلا في سبعة مواضع وبيانها ١٤١
المقصود من الخرقة، الصحبة سواء حصل لبس أم لا؟ ١٤٦

غلط ابن تيمية في فهم حديث: رأيت ربي في أحسن صورة ١٤٨
ألبس النبيﷺ الخرقة لجماعة من الأولياء ١٥٤
حديث نزول الخرقة من الجنة موضوع ١٥٨
تروى الخرقة من جهة الصديق، رواية نادرة ١٦١
رجوع إلى إبطال كلام ابن تيمية أيضاً ١٦٦
ابن تيمية لا يتكلم بالعلم والإنصاف ساعة الرد والمناظرة ١٧٠
من تدليس ابن تيمية ١٧٤
كرامة لأبي محمد حبيب العجمي ١٧٨
طعن ابن تيمية في رواية معروف الكرخي والرد عليه ١٧٩
للخرقة طرق لم يتعرض لها ابن تيمية ١٨٤
طعن ابن تيمية في سماع الحسن من عليّ عليه السلام والرد عليه من وجوه .. ١٨٥
الحسن رأى عثمان وسمع خطبته فكيف لا يسمع من عليّ عليه السلام؟ ١٩٤
ذكر الأحاديث التي رواها الحسن عن عليّ عليه السلام ١٩٨
تصريح الحسن بالسماع من عليّ عليه السلام ٢٠٢
تصريحه بمجالسة عليّ عليه السلام وبالصلاة خلفه ٢٠٤
تصريحه بكثرة سماعه من عليّ عليه السلام ٢٠٤
بيان متى يصح سماع الصغير؟ ٢٠٧
سند الخرقة من طريق الحسن عن عليّ عليه السلام، صحيح على شرط البخاري ومسلم ٢١٣
الدليل على أن الحسن صحب علياً واقتدى به كما هو شرط الصوفية ... ٢١٥

حديث النظر إلى عليّ عليه السلام عبادة صحيح، وادعاء الذهبي وضعه كذب .. ٢٢٠
من ضعف الحديث لم يفهم معناه ٢٢١
لم ينفرد الحسن بأخذ الخرقة عن عليّ عليه السلام، بل وردت عنه من طرق أخرى أيضاً ٢٢٣
رد كلام ابن خلدون ٢٢٧
ذكر من لبس الخرقة من الحفاظ والفقهاء وأهل الصلاح ٢٢٩

موسوعة الإمام علي (ع)

إمام العارفين (ع)